صلاح الدين
النسر الأحمر

عبد الرحمن الشرقاوى

دار المعارف بمصر

1976

صلاح الدين النسر الأحمر

عبد الرحمن الشرقاوى

1- النسر والغربان مسرحية شعرية

2- النسر وقلب الأسد مسرحية شعرية

مقدمة الناقل الإلكترونى :

أحب أن أقول أن لى بعض ملاحظات على المسرحية وعلى شخصية صلاح الدين الأيوبى .. أولا بالنسبة للمسرحية فإنها قدمت على هيئة فيلم الناصر صلاح الدين عام 1963 من إخراج يوسف شاهين وبطولة أحمد مظهر ونادية لطفى وصلاح ذو الفقار وليلى فوزى وآخرين .. ولعل المقصود أو الإسقاط بصلاح الدين فى الفيلم والمسرحية هو عبد الناصر نفسه .. حتى أن صلاح الدين (وهذا لقبه لا اسمه كما يظن الكثيرون فقد كان من الشائع لدى العلماء والقادة فى زمن الأيوبيين والمماليك اتخاذ لقبا مضافا للدين تحول لاحقا إلى اسم كما هو الآن فى عصرنا .. فاسمه هو يوسف بن أيوب ..) لقب بالملك الناصر .. كما نعلم .. وقد يكون المقصود هو السادات وحرب أكتوبر 1973 وميله لإبرام معاهدة صلح مع إسرائيل وميله للرأسمالية والتبعية لأمريكا .. وأما شخصية عليش الجحش فلعله قصد بها الوهابيين والإخوان ورجال الدين المتزمتين والظلاميين المعادين للتمثيل والغناء والموسيقى والفنون والثقافة والكتب والتحضر والاشتراكية ، والمعادين لتجسيد الأنبياء والرسل والصحابة .. وأؤيد الشرقاوى فى ذلك .. لكن لا أؤيده فى الدعاية للسادات ويلاحظ أن المسرحية صدرت بعد الفيلم بسبع سنوات بعد وفاة عبد الناصر وبعد أكتوبر 73 وخلال أوج العهد الساداتى .. وأنها صدرت قبل توقيع معاهدة كامب ديفيد بثلاث سنوات .. فلم يكن الكاتب يعلم بالمستنقع الخائن الذى سيسقط السادات فيه مصر من يومها للآن وقد سار خلفه من بعده على خطاه فكان شر خلف لشر سلف .. أما أمير المغرب فهو ربما رمز لآل سعود تحديدا مؤسسى وحكام الكيان السعودى ورعاة الإخوان والوهابية ومنشئى الوهابية وملقبى أنفسهم بخدام الحرمين الشريفين ، أو ربما تلميحا لملك الأردن الحسين بن طلال العميل المتصهين ، أو ملك المغرب الحسن الثانى العميل المتصهين وقاتل المهدى بن بركة ، ونؤيده فى ذلك أيضا .. وقد يكون تهجماً على القذافى وهذا لا نؤيده فيه بل نعارضه (فقد كان هناك خلاف شديد بين السادات والقذافى .. وخلاف بين السادات المطبع المتصهين وكل الحكام العرب الاشتراكيين والناصريين والممانعين والصامدين مثل السودان وليبيا والعراق والجزائر آنذاك) .. كذلك فشخصية عيسى القبطى خيالية والمسيحيون - لو يعلم الشرقاوى وغيره - فى الشرق سواء بمصر أو سواها لا يستخدمون اسم عيسى ولا يسوع ولا المسيح لتسمية أنفسهم وأولادهم اللهم إلا عبد المسيح .. فاسم عيسى قرآنى إسلامى لا يعترفون به أصلا .. واسم يسوع إلههم أو ابن إلههم فكيف يسمون أنفسهم باسمه أفرأيت مسلما يسمى نفسه الله مثلا .. فقط سكان دول أمريكا اللاتينية يتسمون - لأنهم أحفاد العرب الأندلسيين ومتأثرين بهم - باسم خيسوس أى يسوع .. فقد أخطأ الشرقاوى فى اختيار الاسم .. كما أنه لو رأى تمادى وبشاعة المسيحيين الشنوديين 2010

و2011 .. وما فعلوه بوفاء قسطنطين التى أسلمت هى وكاميليا شحاتة ومارى عبد الله والطفلين ماريو وأندرو لكان سكت عن اختلاق هذه الشخصية الخيالية وعن التشدق بما يسمى بالوحدة الوطنية .

ولعل الشرقاوى فى الجزء الثانى (النسر وقلب الأسد) يقصد بصور وكونراد ثغرة الدفرسوار وشارون وعدم تقدم الجيش المصرى فى 1973 لاجتياح سيناء بأكملها ثم إزالة الكيان الصهيونى تماما .. ويقصد تنازل السادات عن الأسرى الصهاينة كما فعل صلاح الدين بأسرى الصليبيين .. ولعله يقصد بريتشارد قلب الأسد وجيوش الدول الـ 12 ، الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوربيين فى حلف الناتو . والشرقاوى ولا شك يغمز السادات بأقوال معينة لصلاح الدين حيث اشتهر عن السادات ـ وشاركه فى ذلك خلفه مبارك شر خلف لشر سلف ـ احترامه للصهاينة ووصفهم بصفات من المدهش والعجيب وصفهم بها مثل النبالة والشهامة ، والثقة الزائدة فى نبل الأعداء الصهاينة والأمريكيين إلى حد البله والعته ، ولعلها ليست ثقة يؤمن بها السادات وخلفه بل هى نوع من خداع الشعب المصرى والتأثير على عقول أبنائه بمدح الأعداء (الأمريكيون والإسرائيليون) وشتم الأصدقاء (الليبيون والسودانيون والجزائريون والسوريون والإيرانيون والفلسطينيون والحمساويون وحزب الله اللبنانى) .. وربما قصد الشرقاوى بالخليفة الفاطمى الملك المخلوع فاروق .. وقصد بالصليبيين إسرائيل والناتو وأمريكا.

أما من جهة صلاح الدين فى التاريخ فهو ليس مثاليا مئة بالمئة أو ملائكيا فله أخطاؤه أيضا ومنها قتله للسهروردى الصوفى بوشاية وتحريض من علماء دين ظلاميين .. ومنها اضطهاده للمسلمين الشيعة .. ومنها مهادنته للصليبيين بعد حطين ولريتشارد .. مما أدى إلى بقاء الصليبيين فى أجزاء من فلسطين ومن لبنان لقرنين لاحقين حتى قضى بيبرس وقلاوون على آخر آثارهم فى الشام نهائيا .. فهو فى ذلك ليس مثلا يحتذى به بل ينبغى للقائد محرر فلسطين أن يشتد ويغلظ على الصهاينة والصليبيين الجدد لا أن يهادنهم تحت أى مسمى . ولقد اشتهر صلاح الدين بكونه مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر والشام وموحد مصر والشام واليمن والحجاز تحت رايته وحكمه وتحت سيطرة صورية من الخلافة العباسية والتى خرج الشام ومصر فعليا من سيطرتها منذ قيام الدولة الطولونية ومن بعدها الإخشيدية فى مصر ثم قيام الخلافة الفاطمية فى مصر والتى أثرت مصر كثيرا وملأتها بمشاهد ومقامات عظيمة لآل البيت ومأكولات وعادات ومساجد رائعة .. وجعلتها محبة لآل بيت النبى ومتسامحة مع المذاهب الإسلامية جميعا ، فأصبحت متفردة بكونها سنية المذهب شيعية الهوى وهذه من أهم مزاياها عن السعودية

الوهابية التكفيرية الظلامية مثلا . واتخذ نسر صلاح الدين المنقوش على قلعته (علم الأيوبيين أصفر اللون دون شعارات ولكن النسر شعارهم المنقوش على القلاع) والظاهر فى طابع مصرى من فئة 10 مليمات فى عهد عبد الناصر (الجمهورية العربية المتحدة) ، اتخذ شعارا لمصر وعلمها منذ قيام ثورة يوليو 1952 ، وزوال الملكية وقيام الجمهورية ، ثم اتخذ علم مصر (علم التحرير) ثلاثى الألوان الأحمر والأبيض والأسود بالإضافة لشعار الجمهورية النسر تباعا فى عدد من الدول العربية مثل سوريا والعراق واليمن وليبيا والسودان وفلسطين .. هذا وتعد معركة حطين من المعارك العربية الإسلامية المجيدة والكبرى والفاصلة شأنها فى ذلك شأن بدر واليرموك والقادسية وعين جالوت .. وكانت سببا فى تحرير فلسطين ومعظم الشام من الوجود الصليبى .. ولا شك أن صلاح الدين من القادة العظام أمثال حمزة بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وطارق بن زياد وسيف الدين قطز .

ومن الجدير بالذكر أنه للكاتب اللبنانى سيار الجميل مسرحية بنفس الاسم (صلاح الدين النسر الأحمر) طبعها 1997 ..


UAR
الجمهورية العربية المتحدة
10M
بريد
١٠م

1

النسر والغربان

مسرحية شعرية

الشخصيات حسب ترتيب الظهور على المسرح

محمود الخياط : مثقف وطنى

الإسكافى : حرفى صديق محمود

النساج : حرفى صديق محمود

عليش : زعيم سياسى

الحمَّار : من أتباع عليش

كوكب : ممثلة وصاحبة خيال الظل

همام : فلاح مصرى

صلاح الدين : حاكم مصر والشام

العادل : شقيق صلاح الدين

عيسى : قائد مصرى

أرناط : أمير الكرك

ملكة أورشليم

الملك جى : ملك أورشليم

إيزابيل : شقيقة الملكة

نائب السلطان : أمير مصرى

أمير المغرب

كونراد : أمير صور

ريتشارد قلب الأسد : ملك إنجلترا

فيليب أوغسطوس : ملك فرنسا

رجال ونساء وأطفال من مختلف الطوائف والطبقات .

زمان المسرحية : الربع الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى

مكان المسرحية : مصر وفلسطين والمغرب

*** أورشليم أو أوراشيم هى القدس أو بيت المقدس عند العرب .**

ـ هذه المسرحية مستوحاة من التاريخ ، تراعى حقائقه الأساسية البارزة .. ولكنها ليست مسرحية تاريخية تلتزم بكل التفاصيل ، والشخصيات ليست كلها تاريخية .

الفصل الأول

(ساحة لها مدخل فسيح من صدر المسرح تتفرع منها دروب ، تقوم على الجوانب حوانيت حرفيين .. نحن بالقرب من الأزهر والمآذن تبدو من بعيد .. الليل والقناديل مضاءة .. حركة بيع وشراء .

بين الحرفيين نساج وإسكافى وهما فى نحو الستين .. على قمة أحد الدروب يمين المسرح يقع حانوت محمود الخياط وهو شاب متوقد ريفى النشأة سريع الحركة له وجه حالم يخالطه الأسى ، ضاحك مع ذلك ، فى حانوته بعض كتب ومحبرة وريشة ، وهو عندما لا يعمل ينشغل بالكتابة أو القراءة .. وقد كان يكتب عندما ارتفع صوت من بعيد فى الليل المرتعد من البرد والكل يتدثر .. الصوت يقترب ويبتعد .. وينقطع أحياناً ، إلى جوار بعض الحوانيت تتناثر مصاطب للجلوس) .

الصوت : عباد الله عباد الله

دعوا ما أنتم فيه الآن

محمود : (بضيق) خمس دقائق هى ما أرجو كى أفرغ مما أكتب !

كى أعطيه خيال الظل .. !

الإسكافى : ما هذا الصوت ؟! أتسمع هذا يا محمود !

محمود : دعونى كى أفرغ من قصة عنترة العبسى ، دعونى ..

فى بيتى شغب الأطفال ، وحتى فى حانوتى الآمن
أفلا آمن من يشغب !

الصوت : (يقترب) عباد الله .. الويل الويل ! ..
يا أهل القاهرة الويل .. !

محمود : (يسير مستطلعاً) من هذا الزاعق خلف الليل ؟

الصوت : دعوا ما أنتم فيه الآن ..
والتمسوا العفو من الرحمن .

محمود : فليرحمنا الله جميعاً . (يتجه إلى حانوته)

النساج : من ذا تحسبه يزعق ؟

محمود : درويش أو متصوف

حرفى 1 : أو مكروب يستنفر

حرفى 2 : أو جاسوس متنكر

محمود : أو شحاذ يتكفف

الإسكافى :   تلك الصيحة يا محمود هى الإنذار ، ولن يتبعها إلا الشر ..
إما السيف وإما النار !

محمود : يا عم الإسكافى .. !

الإسكافى :   من ذا يفهم إن لم تفهم يا محمود ؟ . ألم تتعلم فى الأزهر ؟
(يطوف مهرولاً على الحوانيت)
أغلق دكانك يا خياط
أغلق دكانك يا نساج ..
(للآخرين) أغلق .. أغلق .

محمود :   لا يا عم الإسكافى لماذا نغلق ؟ .
(يسلم ثوباً لرجل)
ثوب عرايس سلطانى ..

الإسكافى : (لامرأة) صباح غد أعطيك مداسك .. لا تأتى بعد المغرب ..

(ويلم حاجاته والصوت يقترب)

الصوت : أصغوا قبل فوات الأوان .. فلا ينفعكم بعد ندم .

محمود : أعرف صاحب هذا الصوت ، أنا لا أخطئ تلك الغنة .

الإسكافى : الصيحة إنذار بالمحنة

محمود : نقض أمير الكرك الهدنة .. !

النساج : أهاجم قافلة الحجاج ؟

محمود : القافلة الكبرى فصلت من شهرين لبر الشام ،
وما من أخبار عنها !

الإسكافى : وما يدريك وما يدرينى ؟ ما يدرينا ؟

محمود : صلاح الدين وزير الدولة لن يسكت عن هذا الغدر ..

الصوت : الويل .. الويل !!

الإسكافى : الصيحة إنذار صديق ذى صلة برجال الدولة
إن أميراً ما يتأهب كى يقتحم علينا الحى ..

محمود : (مستخفاً) أمير ما ؟! لا .. طِب نفساً ،
فصلاح الدين وزير الدولة وهو الورع اليقظ الحازم
قلـَّم أظفار الأمراء .

الإسكافى : الأمراء هم الأقوى

النساج : فلديهم بعض رجال الدين من المرتزقة

حرفى 2 : ولديهم فرق الحشاشين

حرفى 1 : ولديهم غيلان الشرطة .

محمود : صلاح الدين لديه الجيش وأهل التقوى
من صفوة علماء الدين ... ونحن معه !

الإسكافى : أنت حديث العهد بنا .. لم تشهد يا ابنى بعد هنا
ما يلقاه الحرفيون من الأمراء النهابين ..

النساج : لكم عانينا يا محمود !

حرفى 1 : أذكر أبويك !

محمود :   أذكر بالعرفان لكم أن كنتم عوضاً عن أبوىّ

توليتم عنى الدكان فظل يدر علينا الرزق

يعيل الإخوة ثم الزوجة والأولاد ،

وظللت أنا فى الأزهر لا يشغلنى إلا طلب العلم ..

وإلا أن أوقد شمعاً يتحدى الليل إذا أظلم

النساج : ترك أبوك القرية هرباً

حرفى 2 : من بطش أمير متغطرس ..

الإسكافى : فمات هنا يرحمه الله ببطش أمير آخر أشرس .

حرفى 1 : لئن كنا لم نتعلم ، إن العيش هنا علمنا ألا نتحدى الأمراء

النساج : أو نعترض الثور الهائج أو نسبح ضد التيار ..

محمود : ولهذا شاع الظلم بمصر !

الإسكافى : أجئت هنا ترعى رزقك أم تتفلسف وتضيعنا ؟!

النساج : عد لجراية أهل العلم

محمود : الظلم ضعيف بطبيعته .. الظلم جبان ..

لكن تأتيه القوة من ضعف المظلوم وخوفه

الإسكافى : يسترها الله فما نطمع إلا فى الستر

النساج : وما نحيا إلا فى كنفه .

محمود : بل فلنثبت ونقاوم

الإسكافى : أتخبط رأسك فى حائط ! ؟

محمود : معنا الآن صلاح الدين ،

وهو يمر طوال الليل ليرعى الأمن كما نعرف ..

فلو أنكم قاومتم معه الأمراء لما كابدتم هذا العسف ..

لكن لعن الله الخوف ..

فهو إذا لقحه البغى فما يستولد غير الذل

النساج : دعنا نتصرف يا محمود كعادتنا .

محمود : تلهث تحت لهيب الشمس ولا تتحرك ثم تقول أريد الظل .. !

اصنع شيئاً كى تستروح ظل العدل .. !

النساج : اذهب أنت فعش بجراية أهل العلم .

الإسكافى : ولا تحرجنا ، وسنرعى نحن هنا دكانك يا محمود كما كنا ..

رح فتفلسف يا ولدى عند العلماء .. ولا تتفلسف فى الحارات

الصوت : (من بعيد) يا أهل القاهرة .. الويل .. التمسوا العفو من الرحمن

النساج : دعنا واذهب كى تتمتع بالرزق الموقوف على

أهل التقوى ، والفقهاء .

محمود : (منتفضاً) ما يدخل جوف المرء طعام أزكى مما اكتسب بكده

كان السلف الصالح من فقهاء الدين يكد ويكدح

ويعيش بما كسبت يمناه ،

لا بعطاء منتزع من حق سواه ،

ولا بجرايات هى حق الأمة لا من عمل يده ..

وبهذا صلح السلف وأصلح ،

وبهذا كشفوا عن وجه الأرض الغمة ،

فمهما يبطش بهم البغى

فقد ظلوا أحراراً حقاً فوق الحاجة والإغراء

ما قالوا إلا الصدق

فقد عرفوا أن الدنيا هى دار غرور ، دار فناء .

وبهذا حفظوا دين الله .

ما قدروا العمل بعامله ، بل وزنوا الرجل بما يعمل ،

وبهذا كانت حكمتهم إشعاعاً فى الليل الداجى

يضئ طريق المستقبل .

كلماتهم كانت سحراً فجر طاقات الأشياء .

جسارة أفكارهم اقتحمت آفاق المجهول الغامض

ذاك الفكر الواعى الحذر الراضى الرافض !

كلمات تتحدى الخطر وتعبر أسوار الرهبة ..

كلمات نورانية ..

أنغام علويات تعزفها الأيدى القدسيات على أوتار الحرية

الإسكافى : (يصفق طرباً) الله .. الله ..

فليرزقنا الله تعالى هذا الصنف من القادة

حرفى 1 : لتصح البلد من الخيبة

النساج : ما كانوا طلاب منافع بل كانوا رواد حقيقة .

محمود : (مستمراً) لم يشبع منهم أحد قط

وفى أمته فرد جائع ..

ما كان لهم فى كل متاع الدنيا الرحبة من مطمع ..

قصارى كل مطامعهم أن يهدى بهم الله الناس ،

لهذا كانوا كالنبراس ..

ملأوا القلب الإنسانى بنبل الحب ،

ليصوغوا من نبضات القلب زمان الروعة

الإسكافى : (كأنه يحلم) فإذا الإنسان أخو الإنسان

محمود : (مستمراً) رهبان إن طغت الحاجات ،

فإذا كان الصمت نجاة فهم فرسان الكلمات ..

وبهذا ارتفع منار العدل بكل مكان ..

وأضاءت قيم الإسلام .

الإسكافى : كلامك يا ولدى مشبع

النساج : كلامك يجعلنا أشجع

الإسكافى : لكنك تحيا فى الأحلام !

محمود : لابد لنا من أن نحلم كى يمكن تغيير العالم

الصوت : (وقد اقترب حتى أصبح يأتى من مدخل الساحة)

عباد الله ، دعوا ما أنتم فيه الآن .

والتمسوا العفو من الرحمن ..

يا أهل القاهرة الويل ..

محمود : (متأملاً) أنا لا أخطئ هذا الصوت بغنته وتقعره وبحذلقته ..

(يدخل عليش وهو يقترب من الستين .. قوى فخيم .. متكرش فاخر الثياب فاقع الألوان مكحول العينين واضح الخضاب والتصابى ، يسبقه عطر فواح .. يتحدث بتقعر مستمتعاً بالكلام .. ومن خلفه عدد من الرجال عليهم العباءات تخفى أيديهم وقد أمسكوا بأسلحة .. أشكالهم مريبة . بعضهم يبدو كأنه مغيب العقل بتأثير مخدر)

محمود : (يخف إليه ساخراً باستخفاف) أهذا أنت !! ؟

عم عليش .. عليش الجحش ؟ ..

لماذا تزعق تحت الليل ؟

لماذا تنذرنا بالويل !

عليش : عسى يتدبر من يخشى أو يذ ّكَّر ..

محمود : (باستخفاف) فأنت إذن يا عم عليش صوت يصرخ فى البرية !!

(ضحك)

الإسكافى : (متأملاً أتباع عليش) لماذا جئت بهذا الجمع إلينا الآن ؟

محمود : هم بعض زبانية جهنم ..

عليش : بل هم من أشراف الخلق ..

محمود : لِمَ جئت بهم ؟ . من هم ؟! من هم ؟

عليش : أتيت بهم لأحق الحق .
ستعلم بعد قليل من هم .
لكن سلمنى ثوبى وخذ الدينار

(فى حرص شديد يخرج ديناراً من كيس كبير مملوء بقطع النقد)

محمود : هو ذا ثوبك ينتظرك ..
(يسلمه لفافة) ثوب ملكى !
حقى عندك ديناران

عليش : (متحرجاً) ما عندى إلا دينار يا خياط ..

أعوذ برب العرش تعالى من طمع الدنيا ، وأعوذ

به من جشع الخياطين !

الإسكافى : (لمحمود) أهو أميرٌ هذا الرجل المتبختر كالتختروان ؟!

(ما زال يتأمل عليش الجحش وأتباعه . وشيئاً فشيئاً ينشغل الحرفيون بعملهم) .

النساج : كدنا نغلق لما صاح ونقطع أرزاق الأولاد .

حرفى 2 :   أنا عطار .. من عطرك أعرف من أنت

(يتشمم عطر عليش) ..

هذا العطر الفائح لا تستعمله إلا جاريةٌ

عند أمير ، أو غانية ، أو غلمان الحمامات !

حرفى 2 : وهذا الكحل بعينيه ؟! .. أرأيت أميراً يتكحل ؟

محمود :   عليش ليس أميراً لكن يخشاه كل الأمراء

(واضح السخرية) وينشد بركته الكبراء ،

وكل بطانته فقراء !

عليش : أتهجونى أم تمدحنى ؟ ما معنى هذا الهذيان ؟

محمود : (مستمراً) وهو يُقاد إلى السجناء يبارك آلات التعذيب ،

ويخفف آلام السجناء بما يضربه من أمثال

للترهيب أو الترغيب ،

ويستنطقهم ما كتموه لينقله لولى الأمر ،

ويمنحهم صك الغفران أو الحرمان ..

(ضحك)

عليش : (منتفضاً محنقاً وهو يهتز على إيقاع كلماته)

قسما بالعرش وسُدته

وجلال الله وعزتهِ ،

قسماً بصلاتى وصيامى ،

قسماً بخشوعى وقيامى لتذوقن عذاب سقر .

الإسكافى : (لجاره) أنظر .. أنظر .. يتراقص كالراقصة الحامل !

(ضحك) .

عليش : ما شانئنا إلا الأبتر !

محمود : يا عم عليش الجحش اهدأ لا تغضب .

عليش : إن عقابك يا ابنى بالنص القرآنى ..

محمود : (مقاطعاً بخفة) لا تقحم كلمات الله

على ما ليس يليق بها ، جلت كلماته !

فلنسمع كلماتك أنت .. فلنسمع كلمات الجحش .

عليش : الجحش ؟! الجحش ؟! أأنت قرأت علوم الدين ؟!

أتسخر منى ؟! لا يسخر قوم من قوم

أم تلمزنى باسم الجحش ؟

هماز لماز آثم ! (بعظمة)

ثم .. أيعرف مثلك يا خياط السوء مكانتنا يا آل الجحش ؟

مثلك لا يصلح حمَّاراً يجرى خلف حمير الأسرة .

محمود : (باستخفاف) حكى لى عنكم بعض أساتذتى القدماء

لم ينسوا شيئاً من أمجاد الأسرة .. حتى دود المش !

(ضحك .. ويدخل شاب قوى هو همام ـ واضح أنه من أصل ريفى ـ يتجه إلى عليش صائحاً فى ضيق وهو يكاد يلهث) .

همام :   يا عم عليش الجحش ، حَفِيت

هأنذا أتصبب عرقاً من تعبى فى هذا البرد !

لم يقبل أحد أن يمشى من خلفك إلا

من جاءوا من قبل إليك ..

عرضت على غيرهم بدل العشرة حتى عشرين ،

ولكن لم يقبل واحد ..

حسبك هذا الجمع الحاشد ..

هم أحسن حشاشى الدنيا ..

عليش : (ينقض على همام بضيق) يا ذمى اخرس .. هُس اخرس .

لا تفضحنا يا فلاح !

همام : (بضيق) اسمى همام . أنا همام !!

عليش : (متجهاً لمحمود فى عتاب) ما كنت سفيهاً يا محمود ..

ولكنك عاشرت السوقة .

الإسكافى : (فى غضب شديد) السوقة ؟! احفظ أدبك يا ابن الجحش

عليش : ما شاء الله ! أصبح والله لكم صوت !

ما أفسدكم إلا كفر صلاح الدين .

محمود : بماذا كفر صلاح الدين .. بحمايته حق الشعب ؟
بحماية شرع الله من المرتزقة تجار الكلمات اللزجة ؟

النساج : أم إذ أمَّن كل الطرق لبيت الله
لمن يبغى منا حجه ؟

عليش : (مشيراً إلى أتباعه بثقة) فلنسأل زعماء الشعب
لماذا قاموا من خلفى فى هذا البرد ؟

(يندفع إليه شاب شبه مخدر هو الحمّار) .

الحمّار : ومتى قام وراءك غيرى ؟! أعرفتهم قبل اليوم ؟

عليش : لا تتكلم يا حمّار بلا إذنى .. (هامساً) لا تحرجنى !

محمود : أأولئك هم زعماء الشعب ؟ ..
كأنهم خشبٌ لم تُسند !
من كل عتل متبلد !

(ضجة مرحة من الخارج تسبقها موسيقى ، تدخل كوكب صاحبة فرقة خيال الظل .. قادرة على أن ترتفع إلى قمة الشاعرية أو تهبط بكلامها إلى الابتذال والسوقية .. حتى ليمكنها أن تضرب . فقد ربتها الحياة وأودعتها أسلحة الدفاع عن بقائها .. وهى مع ذلك عاطفية رقيقة بالغة الإرهاف .. طيبة تفيض بالحنان . وهى فتاة ذات جمال صارخ متفجر .. مليئة بالحيوية . وهى ترتدى قميصاً فرعونياً .. ومن حولها وخلفها بعض رجال خيال الظل يحملون آلاته ، وبعضهم فى ملابس فرعونية .. يأتى من الدروب بعض رجال ونساء وصغار متهللين ... كوكب تدخل متواثبة مرحة من مدخل الساحة فى صدر المسرح) .

أصوات : جاءت كوكب .. جاءت كوكب ..

خيال الظل .. خيال الظل ..

كوكب : (تطوف بالموجودين متواثبة فى مرح) إيه هيه .

جئنا الليلة كى نسعدكم بحكايات فيها العبرة ..

الآن سنلعب .. أم لا نلعب ؟!

أصوات : فلتلعب كوكب .. فلتلعب

خيال الظل .. خيال الظل .

(يشرع بعض رجال خيال الظل فى إقامة الشاشة) .

عليش : خيال الظل ؟! معاذ الله !

صلاح الدين يشجعهم ويفسد أخلاق الأمة .

كوكب : لا تذكر بالسوء أمامى هذا الرجل الحر الرائع ..

من ذا بين رجال الدولة

يملك مثل صلاح الدين الأفق الواسع ،

وله مثل شجاعته ومروءته

هو معبودى

(بدلال تعرف أنه مستحب) .

أنا أعبده

(همام ينظر إلى كوكب مبهوراً ويتابعها بنظراته حيثما تحركت .. وأحياناً يسير خلفها متأملاً)

عليش : (محنقاً) هو معبودك ؟!

ما هذا إلا شرك بالله تعالى .

فهو عشيقك يا ملعونة يا مفضوحة ؟!

كوكب : (مأخوذة فى ضيق) ما هذا ؟ ما هذا المحمل ؟! ..

من هو هذا الرجل الفظ المتعطر والمترهل ؟

(مندفعة إليه) لِمَ تقذفنى يا هذا

أأسأت إليك !

(بسوقية) أأنا المفضوحة والملعونة وهو عشيقى ؟!

أهو عشيقك يا هذا وحرمتك منه ؟!

(ضحك)

محمود : خذى هذا فالبرد شديد يا كوكب ..

(يضع عباءته على كتفيها)

والنظرات تعرى جسدك كى تلتهمك !

كوكب : هيه .. الآن سنلعب ..

(تتواثب فينكشف صدرها وساقاها)

محمود : فى ثوبك هذا ما يغرى ويثير عليك الظن السئ .

هو أفضح مما ترضى عنه العفة يا كوكب

حسبك أن مظاهر حسنك لا تصدق مع جوهر طهرك .

كوكب : (ضاحكة فى بساطة)

فى أول عهدى ببلوغى سن الأنثى

خجلت كثيراً من جسدى ومفاتنه

لكنى الآن تعودته ،

وما ذنبى ؟ أنا ما ذنبى ؟ جسدى هذا خلقة ربى !

محمود : وهذا الثوب ؟!

كوكب : ثوب زليخا

(تنشر بين يديها منديلاً وتتنقل فى مرح بين الناس) .

عليش : دارى صدرك يا مفضوحة يا ملعونة
دارى نهديك وفخذيك !

كوكب : ولماذا تنظر فى صدرى أو فى ، (بحياء)
ساقى !؟ يوسف لم ينظر لزليخا .
(تضحك) هيا ، هيا ، فالآن سنلعب ،
عشر دراهم كى تشهد كيد زليخا بالصِدِّيق
(تمر على محمود فتتوقف قائلة) ألم تفرغ من قصة عنترة العبسى ؟ ..
هيا .. هيا .. (تدور بعيداً)
عشر دراهم لتشاهد
(تميل برأسها إلى محمود وقد ابتعدت عنه) ..
لا تظلم عبلة يا محمود ويكفيها أن حرموها
من عنترة فى قسوة !

(تعاود الطواف وهمام يتابعها مبهوراً بها ثم يتأمل أحياناً أدوات خيال الظل والناس يضعون نقوداً فى المنديل) .

البنت : ما عندى إلا درهم !

كوكب : (تقبل البنت) خذى هذا ،

(تعطيها قطعة فضية من المنديل)

البنت : مائتى درهم ؟ الآن أشاهد

(تضع القطعة فى منديل كوكب وكوكب تعيد القطعة إلى البنت) .

ولد : وأنا ما عندى حتى درهم ..

كوكب : (تربت على شعره) ستشاهدنا مجاناً .
(ثم تطوف) شاهد يوسف وزليخا .

عليش : أى فساد يغشى الناس ولا يترك حتى الأطفال ؟!

كوكب : (ما زالت تطوف فى خفة) اتخذوا العبرة من يوسف ..
قهر بعصمته الإغراء ،
حماه الصدق من الحساد وسوده فوق الأعداء

عليش : أيُشخــَّص يوسف وهو نبى ؟ إن مآلكم للنار .

كوكب : (ما زالت تطوف) .. شاهد فرعون الجبار

محمود : سيشخص يوسف فى عصمته كى يعتبر أولو الألباب .

عليش : أتحلل ما حرمه الله ؟! أثِمتَ ، أثمت ورب الكعبة !

كوكب : (ببراءة محاولة إقناع عليش)

أنا شخصتُ فتاة المجدل مريم أمس ،

وزميلى هذا شخــَّص عيسى فبكى القس

وأعطانا من رزق الله .

همام : يا عم عليش أترك كوكب ،

دعها تلعب

دعنا نتفرج وحياتك يا عم عليش .

كوكب : (بنبرة خاصة) أأنت عليش الجحش إذن ؟

سمعتُ كثيراً عن ورعك .

(تضحك)

همام : (تتعالى قهقهته) ما أظرفها والله يا عم عليش !

عليش : لماذا تضحك يا فلاح ؟!

همام : يا فلاح ؟ .. اسمى همام . أتنسى اسمى ؟!

كوكب : (لمحمود) أنا لن أبرح هذا الحى
حتى آخذ قصة عنترة العبسى ..
(ضاحكة) وعبلة لا تظهر إلا فى ثوب محتشم جداً !

عليش : (لمحمود بازدراء) تباً لك ....
أتركت العلم لكى تكتب لخيال الظل ؟

همام : أى والله حكاية عنترة العبسى .. وهذا دينار ذهبى

(يعطيها ديناراً من كيس كبير يخفيه ملئ بالنقود) .

عليش : (يضرب هماماً بعصاه) لا تنفق من مال سواك
لكى تظهر أنك معطاء

همام : (يمسك العصا ويطرحها بعيداً) لا تضرب قدام الحلوة !

عليش : لم أعطك مالى للإغداق على امرأة عارية الساق !

كوكب : (لمحمود وهى تصر المنديل بما جمعته من أموال على مائدة دكانه)
أتعرف ؟ . نقض أمير الكرك الهدنة غدراً ..

عليش : (مستمراً) أعطيتك مالى كى تستأجر حشاشين من الأسواق

كوكب : من أسبوع عاد مُغنٍ
كان سيمضى لدمشق فى تلك القافلة السنوية ..
وحكى لى كيف انقض عليها عند الكرك أمير الكرك
سلب الأموال الطائلة
ولم يفلت إلا عشر من ألف مسافر .

(همام وعليش يتهامسان ناحية . خلال إشارات حادة) .

همام : وماذا فى أنى أعطى ديناراً ذهبياً
لمشخصة ذات شرف ؟ .
ماذا يعنى ! ماذا يعنى ؟!

عليش : اخرس يا ذمى .. اخرس .

همام :   أليست هى أولى بالمال من الحشاشين الأوغاد ؟

هه ؟ .. لكنك .. لكنك .. يعنى .. لكنك ..

(يصفع عليش وجه همام فيقذف همام يد عليش) .

عليش : قلت لك اخرس يا ذمى !

(همام يناطح عليش برأسه والصدر فى الصدر ، وعليش يحاول أن يحتفظ بهيبته عبثاً) .

همام :   أتخبطنى بالكف على خلقة ربى

قدام الخلق ..

وأمام خيال الظل وقدام الحلوة ؟!

فلولا أنك مثل أبى ...

عليش : ما أغباكم فلاحين !! فلاح ذمى جاهل !!

همام :   نوِّر لى عقلى بدل الخبط ..

علمنى حتى فك الخط ..

(ثم ينصرف مهمهماً) خبطك عفريت أزرق !

كوكب : الآن سنلعب ..

(تتجه إلى ما وراء الشاشة)

عليش : (لرجاله) فلتحرق أدوات خيال الظل الآن ...
وأما كوكب فلترجم .. هيا .. هيا ..

(يدفع بالحمّار)

الحمّار : هذا يلزمه أموال أخرى .. كلٌ بحسابه .

عليش : لا تتمرد يا حمَّار ! .
يا نمرود أطع مولاك بلا نمردة !

الحمّار : أنا منسطل يا همام ، أعندك حلوى لنسَيِّح !
(متجهاً لعليش) .. يا عم عليش ! إ .. عمِّر رأسى بحشيشك ،
املأ كيسى بنقودك ،
وسأفعل ما تطلب منى وأريك النور .

همام : (زاعقاً) ما استأجرنا الحشاشين لكوكب بل لصلاح الدين .. هه !

عليش : هُس .. اخرس .. هس !

محمود : (تاركاً ما بيده فى خفة) لا بل أكمل بكم استأجرت الزعماء ؟
أكمل أكمل يا همام .

(ضحك)

عليش : محمود كفى ، يا أفسق خلق الله كفى .

محمود : أأنا أفسق خلق الله .. جزاك الله
(برنة خاصة) لكنى لم أعرف قط غلاماً أو قاصرة .. أو ..
(ثم ضاحكاً) ولم يعرفنى الحمارون

(ضحك من بعض الحرفيين) .

الحمّار : (منتفضاً على عليش)
أتعرف حمَّاراً غيرى ؟
لن أقف وراءك بعد اليوم ..

كوكب : (تظل ضاحكة عند طرف شاشة خيال الظل) .

ألهذا سموك ابن الجحش ؟ تشرفنا يا عم عليش ..

(ثم تختفى وراء الشاشة .. ضحك) .

الجمع : خيال الظل .. خيال الظل .. فلتبدأ كوكب .. فلتلعب .

عليش : (محنقاً) على جثتى خيال الظل وقصة يوسف وزليخا

همام : (مستعطفاً) يا عم عليش بحياتك ،
بحياة صفيك وخليلك ،
بحياة الحمَّار الفحل ..
دعنا الليلة نتفرج ، وغداً تفرج !

عليش : أيشغلكم حب الدنيا عن ذكر الله ؟ أيشغلكم لهوٌ باطل ؟ .

الإسكافى : يا عم ارحل لا تقطع رزق الأيتام

النساج : كوكب ترعى أيتاماً

عليش : لن تنجوا من غضب الله
يا فسقة .. آه يا فجرة يا كفرة إن مآلكم للنار .

كوكب : (تطل عليه وتحدثه بلهجة فيها يأس ورجاء وملل)
يا عم عليش !!
الدنيا ملأى بالأشرار وبالفجار ،
بشيوخ باعوا حكمتهم ، بشباب فقدوا عزتهم ،
برجال كبغايا السوق وتحسبهم فرسان الليل ..

عليش : (مشيحاً بوجهه) .. الويل .. الويل !!

كوكب : (مستمرة) بنساء لا يخجلن من الفحشاء وأحياناً يزهون ..
بعذارى يبدين الطهر وهن .. وهن .. (تضحك) .

عليش : (يلتفت ناحيتها) فلتبتعدى إنك فتنة

كوكب : أيعذبنا الله تعالى ؟ بل هو أعلم بعباده

عليش : (كالمجذوب) يا غضب الله !! .. الويل .. الويل .

كوكب : (تختفى ضاحكة)
أم تحسب أن الله تعالى لا يشغله إلا نحن !؟
(ثم للذين ينتظرونها لتلعب)

الآن سنلعب .. فليأخذ كل منكم موضعه الثابت من قبل العرض ..

فليسكت أثناء العرض ولا يتحرك

(حركة استعداد خلف الشاشة وحركة بين المتفرجين لترتيب أماكنهم .. وتدافع بعض الصبية . عليش محنق يلوح بعصاه مهدداً) .

عليش : ونساء أيضاً يتفرجن ؟!

فأين النخوة يا أزواج ويا آباء ؟

أصوات : دع كوكب تلعب .. أتركنا

عليش : (يزداد حنقاً) خليفة هذا البلد يموت ويتركنا لصلاح الدين

يهد لنا الدنيا والدين .

وأمير الكرك يصادر كل قوافلنا

لينهب ثروة مصر ويهدر هيبتنا ..

وصلاح الدين وزير الدولة أضعف من أن يتصدى ،

يتقاصر عمداً

وأنتم حول خيال الظل ؟!

محمود : يضيق الشعب بما يلقاه من الأمراء ..

فكيف تفجر هذا الضيق الكامن ضد صديق الشعب صلاح الدين ؟

عليش : (مستمراً) وأنتم ويحكم تلهون ولا تبكون ؟!

فليتحد المصريون جميعاً فى الأيام الصعبة ! .

فلتمنع تلك الكارثة .. ألا تدرون ؟ ..

سيرث الملك صلاح الدين إذا ما مات خليفتنا !

والرجل الآن يلاقى ربه !!

فوا ضيعة مصر المحروسة !!

يا للضيعة للإسلام .. إذا ما صار صلاح الدين ولى الأمر ! .

سيروا من خلفى كى نمنع تلك النازلة المرتقبة

الإسكافى : فليتول صلاح الدين المُلك اليوم لينقذنا ويخلصنا .

عليش : أصلاح الدين ؟! صلاح الدين ؟! فقد فسدت والله الدنيا .

محمود : من ذا عندك خير منه !

عليش : رجل من أهل التقوى ..

محمود : من ذا تعنى ؟! ومن الرجل ؟

عليش : أمير المغرب يا محمود . ومن غيره ؟!

محمود : كان يجاورنى فى الأزهر هذا الممسوس الأهوج ..

هذا المهووس المتهور .. ! .. الدمية فى كف متشنج ..

(ضاحكاً) كنا فى حلقات الدرس نحاذر أن نجلس جنبه ..

فمن عادته أن يتفزز رغماً عنه

ويلكز جَارَيْهِ فجأة !

فإذا ابتعد الطلبة عنه احتج وصاح بأنهم يزرون عليه !!

أنا أعرفه .

نفس ملأى بالتعقيد وعقل أعرج ، متردد !

عليش : أمير المغرب أولى الناس بأن يتحد العرب جميعاً

تحت خلافته الراشدة

كما كانوا فى عهد أبى بكر أو عمر ..

محمود : (يقاطعه) خرج من البيمارستان .

يناضل حتى الموت ويحلم

أن يصبح سلطان العرب ..

وظل يغامر ويغامر .

عليش : أمير المغرب أفقه من كل الحكام وحتى من كل الفقهاء

حرفى 1 : ما من أحد فى مصر المحروسة يجهل أطماعه .

حرفى 2 : هو يعمل كى يحكم مصر

النساج : يأبى هذا شرف الأرض .

حرفى 2 : ومنها يثب لحكم العرب

النساج :   أنحن حمير يركبها ويهز عليها رجليه
حتى يصل لأهدافه ؟!

الإسكافى : أمير المغرب هذا الأحمق يحكم مصر ؟!

حرفى 1 : هذا شئ يرفضه حتى الأطفال .

محمود : (مستمراً) فلما استيأس من أن يحكم مصر تخبط فى الأوحال ،
وغدا شيطاناً مجنوناً يرشو الناس لكى يقتل بعضهم البعض ..
وينخر مثل السوس القذر أساس الأمة كى ينقض !

عليش : بل هو أكبر داعية للوحدة فى أرض الإسلام
وأعظم حامٍ للإسلام .

النساج : ما يدعو للوحدة إلا كى يحكم مصر المحروسة ..

الإسكافى :   له جاسوس طبال أعرفه حافى القدمين ..

فغدا يملك مركبة بجياد ستة ..

النساج : وقصراً فوق البركة فى حى الكبراء ، وقصراً عند خليج الـ ...

(موسيقى تنبعث من خلف شاشة خيال الظل) .

حرفى 1 : بدأ خيال الظل .. سكوت .

(خلف الشاشة يبدو ظل كوكب فى وضع إغراء .. ورجل فى ثوب فرعونى) .

كوكب : يوسف .. غلقتُ الأبواب جميعاً .. هيت .

عليش :   (مقاطعاً فى انفعال شديد) .. لا . لا .. أبداً ..

(ثم فى غضب جنونى ينقض على الشاشة بعصاه)

هذا فـُجر .. هذا كفر ..

سأغير بيدىّ المنكر

(هرج وصياح وأصوات تختلط) .

الإسكافى : أنصف من سمَّاك الجحش .

همام : أفسدت علينا ليلتنا

النساج : أتضرب أنثى يا مجنون ؟

البنت : هذا الرجل ثقيل الظل

الولد : مثل البغل

حرفى 1 : ارحل عنا

الإسكافى : إنك فظ يا هذا وغليظ القلب .

حرفى 2 : أتفسد للبنت المسكينة ما كانت تتعيش منه

النساج : وتطعم منه إخوتها الأيتام جميعاً

الإسكافى : فكيف ستأكل لقمتها ؟!

النساج : وكيف ستطعم أسرتها ؟!

(الحرفيون وأهل الحى يحاصرون عليش الآن) .

عليش : (لرجاله وقد حوصر تماماً)

ألا يتحرك أحد منكم كى ينقذنى

يا همام .. يا حمَّار .

أصوات : ارحل عنا .. ارحل عنا .

كوكب : (بعد وجوم تأتى مندفعة)

ما هذا .. أجننت ؟ ادفع لى تعويضاً عما أفسدت !

عليش : كفوا عنى سفهاءكم وبغاياكم .

(كوكب تشهق وتكتم انفعالها وتضع وجهها فى يديها ثم تكاد تعض بعض قبضتها .. محمود يحاول أن يسيطر على رد الفعل فى نفسه .. ويلوح حرفيين وآخرون فى وجه عليش غاضبين) .

النساج : من ذا تعنى ببغايانا ؟

الإسكافى : احفظ أدبك قلنا لك

حرفى 1 : كوكب يا هذا حرمتنا

حرفى 2 : كوكب تحيا فى شرف من ستر الله

حرفى 3 : صالح كوكب أو لن تخرج حياً من أبواب الحى

الإسكافى : طيِّب خاطر كوكب

عليش : أأهان أنا من أجل بغى .. وأنا من زعماء الشعب !

محمود : أبغى هى ؟ فانظر فى حالك
يا هذا ، وانظر كوكب !
أى ثيابكما تزعق فيه الألوان ..
أى عطوركما أفضح ..
أى عيونكما أكحل ..

عليش : أتقارننى بمشخصة ؟ هذا كفر !

محمود : أيكما يرتحض كنوز النفس فيعرضها للبيع
بثمن مجزٍ أو حتى بالثمن البخس ؟

أيكما أصون للطهر وأيكما أدنى للفـُجر ؟

كوكب ما باعت أحداً شيئاً منها ،

ولا بثراء الأرض جميعاً .. تبذل كوكب ! أما أنت ..

عليش : احمونى يا أتباعى ..

كيف أهان ولا يتحرك أحد منكم ؟!

أيقارننى هذا الآثم بمشخصة وبغى ...

محمود : ما هو أغلى شئ عند الرجل الحق ؟

ما أثمن شئ فى الإنسان ؟ ..

أليس هو الموقف والفكر ؟

ما الإنسان سوى موقف !

ومثلك يبذل ما يملكه فى الأسواق ليثرى من نخاسى الرأى !

وتزعم أنك أنت الفاضل . أما كوكب فهى بغى ؟

أيكما أدنى لله وأيكما أجدر بالوصف ؟

عليش : أتقارننى بفتاة تتعرى كى تشرى وتباع

وأنا من قادة هذا البلد وما هى إلا سقط متاع ؟!

يلعنك الله ويلعنها وعليكم كلكم اللعنة

فى الدنيا والآخرة معاً

(لكوكب) أنتِ بغى .. أنت بغى .. أنت بغى ..

كوكب : (منقضة على عليش فى انفجار مباغت وكلماتها تغص أحياناً بالمرارة وتبل بالدموع وتتوالى كقذائف مشتعلة)

ماذا تعرف عنا أنت لتدمغنا أو تلعننا .

ماذا تعرف ؟!

أعرفت الجوع وأنت تقاسى كيلا تهدر ما قدّستَ ؟!

أنـَّى لك ولأمثالك

أن تعرف شيئاً عن أنثى تملأ رئتيها

بغبار الطرق المتربة لكى تحتفظ بعفتها

وهى تشق طريق العيش ؟

عليش : ويل عليش .. فسد الزمن وضاع الدين .. !!

(ثم لأتباعه) أأنتم صمٌ بكمٌ عمىٌ يا أتباعى ؟!

كوكب : ماذا تعرف عنى أنت ؟ ..

أعرفت عذاب صغار مات أبوهم عنهم فى سجنه ،

ولعلك قد صليت عليه ؟!

ماذا تعرف عنى أنت ؟ .

أعرفت مرارة بنت فى العاشرة تناضل فى وحدتها ،

وبرغم صفاء طفولتها ،

لتعود ببعض فتات الخبز لأسرتها

وتصبح فى يوم فإذا بالجسد الطفل غدا يتفجر بالإغراء ،

ويثير عليها ظن السوء

فتستعصم بطهارتها !

ماذا تعرف عنا أنت ؟!

أعرفت الحاجة حين تلح لكى تركع

وضميرك يأبى هذا العار ؟!

أعرفت البسمة إذ تـُغتَصَب على شفتيك

وقلبك يتمزق يأساً

وجراحك مع هذا تنزف ؟!

ماذا تعرف عنا أنت لكى تدمغنا أو تلعننا

ماذا تعرف ؟!

أعرفت الذلة حين تنوشك نظرات تنتزع الثوب

وتنهش لحمك كالأظفار ؟!

أعرفت الحب إذا ما وُئِدَ وليداً بين حنايا القلب ؟! ..

أتعرف كيف تخوض الوحل وتبقى بعد نظيف الثوب ؟

أعرفت الرجفة حذر الذنب ؟!

أعرفت معاناة الشرفاء ؟

أعرفت شماتات الأعداء ؟!

أعرفت الخيبة إذ ينطفئ شعاع الصدق بعين صديق

أحببناه ونحن صغار ؟!

ماذا تعرف عنا أنت ؟! ..

أتعرف نكران جميلك ممن سمنوا من جوعك ؟!

ممن تظمأ كى ترويهم ؟!

ماذا تعرف عنا أنت ؟!

أعرفت الوحدة تغشى الألفة إذ أصحابك يختانونك ؟! ..

أعرفت اللوعة إذ لا دمعة تطفئ نيران الأعماق ؟!

أعرفت الحسرة تشقى النظرة إذ تنزل قارعة الغدر ؟!

أتعرف كيف تصون النفس وتقهر سلطان الأشواق ؟!

أعرفت العفة تـُردى اللهفة فى أعمق أغوار الصدر ؟

ماذا تعرف عنا أنت ؟!

أتعرف تيجان الأشواك ؟!

أعرفت الغربة تسبى المتعة فى وطنك

إذ أنت هنا والحلم هناك ؟!

عليش : أمشخصة تلحانى ؟

كوكب : أعرفت الأغنية المشجية إذا احتضرت فى صوتك بغتة ؟!

ماذا تعرف عنا أنت ؟!

أعرف الذعر يزلزل أعماق الإنسان فيخشى النأمة واللفتة ؟ ..

أعرفت القهر يحطم أنبل ما فى النفس ؟

أعرفت الحلم بأن نسبح فوق الآفاق

وأن نجتنى سعادات لم تعرف بعد ،

فتقعدنا أثقال الأمس ؟!

عليش : لو غير مشخصة لطمتنى !!

فليتحدث رجل منكم ..

كفوا شر بغاياكم ، عن سيدكم ، عن أفضلكم

كوكب : (مستمرة) ماذا تعرف عنا أنت لتدمغنا

أو تلعننا أو تنصحنا أو تصفعنا ؟!

ولماذا جئت الآن هنا ؟!

جئت لنا فظاً جهماً يحدوك العقم لتجرحنا ..

وتقودك أحقادك لتثير الفتنة ضد صلاح الدين مُخَـلِّصِنا ..

لحساب أمير ينتهكك

تاجر أحلام ورقيق نجس قذر يمتلكك .

نخاس بعت له شرفك .. وشرى فكرك .

ما جئت هنا إلا كى تخنق فى الأعماق الأمل العذب

ماذا تعرف عنا أنت ؟

ما تعرف إلا قول الزور وإلا الإفك . !

ما تعرف إلا أن تكذب ،

وإلا شر الحمارين ورشوة سلطان المغرب !

(تسرع إلى ما وراء شاشة خيال الظل المحطمة وتلم حاجياتها هى ورجالها ... على حين يصفق لها الإسكافى والجميع) .

الإسكافى : عاشت كوكب .

همام : تحيا كوكب !

عليش : من علمها هذا كله ؟

محمود : الآلام تعلمنا يا رجل الدولة ، يا علامة يا فهامة !

عليش : فى أى كتاب قرأت هذا ؟ فلنحرقه بلا إمهال !

سنفتش كل الكُتُبِيَّة بياعى الأفكار الهدامة !

فى أى كتاب قرأت هذا يا أوغاد ؟

محمود : كتاب البؤس ، كتاب معاناة الأنذال ،

كتاب مواجهة الدنيا إذ أنت وحيد وشريف وسط الأهوال ،

تناضل فى وجه الأنواء لكى تبقى مرفوع الرأس ،

هذا شئ لن تفهمه أبد الدهر !

كوكب : (تقذف بالصرة التى جمعت فيها الدراهم لمحمود)

أعِد المال لأصحابه .

أصوات : بل تبقين .. ابقى يا كوكب .. فليرحل عنا هذا الوحش !

كوكب : (وهى تتجه إلى مدخل الساحة لتخرج من حيث جاءت .. وخلفها رجال خيال الظل .. ثم تتوقف قبل أن تخرج وتنظر لعليش)

شخِّص أنت لهم إن شئت ..

فأنت بعطرك وبألوان الثوب الزاعق

بكحلك هذا وخضابك

تصلح فى دور الـ ....

(تستدرك) حيائى يمنعنى أن أذكر لهم ما هو دورك أنت ..

(يعود إليها مرحها فتضحك وهى تجرى خارجة من صدر المسرح) ..

شخـِّص أنت عليهم .. شخـِّص ..

إنك مع هذا مفضوح ..

رفـِّه عنهم يا ابن الجحش !

(ضحك .. وهمام يتقدم من عليش مغيظاً) .

همام : يا عم عليش لِمَ كسَّرت خيال الظل ؟

عليش : (منفجراً وهو يلوح بيده مهدداً .. فيمسك بها همام)

أنا قلت لك أسكت يا فلاح ..

الساعة جد لا تهزل .

همام : (متحدياً وهو ما زال ممسكاً بيد عليش)

اخبط بالكف على وجهى كى أجعل ليلتنا غبراء

هى غبراء من المغرب !!

(ثم يقذف بيد عليش ويمشى وحيداً) .

عليش : (يعود إلى رجاله) لم يثمر معروفى فيه .. فلاح ذمى جاحد !

همام : (وهو يذرع المسرح كالحالم) خيال الظل !! خيال الظل !!

قصة عنترة العبسى .. خيال الظل

(همام يهمهم .. وعليش مشغول مع رجاله .. يدخل صلاح الدين من درب على يمين المسرح ناحية دكان محمود وعلى رأسه غطاء يحجب بعض وجهه بحيث لا تسهل معرفته .. يدخل معه أخوه العادل والقائد عيسى وعلى رأس كل منهما غطاء مشابه .. كلهم يلبس عباءة .. صلاح الدين مرح .. واضح الجسارة .. خفيف الحركة .. متوقد .. تبدو عليه الثقة مع حيوية وخفة بلا ابتذال إذ يخالجهما وقار .. هو رجل فى قمة نضجه ، حالم جذاب . له سيماء فارس متوثب وروح شفافة وعقل حكيم .. يملك جاذبية ملحوظة .. عندما يدخل يعرفه محمود وبعض الحرفيين ، فيشير إليهم بحركة من يده على فمه أن يسكتوا . عندما يدخل صلاح الدين يتجه إلى محمود ، ويتطلع فى الأوراق التى كان يكتب فيها محمود .. ثم يتنقل بين الحرفيين .. ومن حين لآخر يربت كتف واحد أو يمسك بذراع آخر فى ود)

محمود : (همساً) صلاح الدين وزير الدولة أهلاً بك !

صلاح الدين : (يضع أوراق محمود مكانها بعد أن نظر فيها بسرعة)

ما هذا ؟! كتابات لخيال الظل !

قصة عنترة العبسى !

أكتب .. أكتب يا محمود

ما من شئ يا محمود يثير القدرة فى الإنسان

كما يفعله الفن الصادق ..

كم ذا يفعل بالوجدان !

غذاء القلب ، ثراء النفس .. متاع العقل !

أكتب يا محمود ، أكتب لخيال الظل !

وأكتب أيضاً يا محمود ،

أكتب عن أيام تنبض بالروعة فى الزمن الغابر

عن ذاك العصر الباهر ..

أكتب عن عظمة أسلاف كانوا هم شرف العظمة

تنويراً بدد كِسَف الظلمة ،

لكى يمتلئ القلب الخاوى إيماناً ،

ولكى يثق الإنسان بغده وبنفسه .

محمود : فيعوض عن زفرات الحاضر أنفاساً من عزة أمسه .

تدفع كالريح الطيبة شراع الواقع بالأحلام

إلى شطآن المستقبل ...

صلاح الدين : أكتب يا محمود ، أكتب

لكى يعرف إنسان العصر

قدرته ومكانته ..

شكّل أذواق البسطاء .

صُغ للناس بما تكتبه صورة أيام رائعة سوف تجئ

وإن كانت فى جوف الغيب ..

أكتب يا محمود ليَغـْنـَى

بالأمل المنشود القلب ..

املأ عالمنا بالحب ،

أكتب يا محمود .. أكتب

فى كل صباح ومساء .. فى كل زمان ومكان

فى تمجيد الإنسان ،

ولتحرير قوى الإنسان .. ولإسعاد الإنسانية .

عليش : (ملتفتاً) من أنت ؟ أجئت تزيدهم كفراً يا هذا ؟

محمود : أنت ترانا كـُفاراً

صلاح الدين : هذا دور أولى المعرفة :

صياغة وجدان سامٍ للشعب العانى ..

وإلا كانوا كحمير تحمل أسفاراً .

عليش : ما قولك يا هذا الفاسق

إلا ترويج لضلالة فكر صلاح الدين الآبق !

صلاح الدين : (يتأمل فى عليش وأعوانه ثم يضحك ساخراً)

وما تلك التجريدة قل لى .

ألتأديب أمير الكرك الغادر أرناط السفاح ؟

ألتحرير القدس وطرد جيوش الإفرنج المحتلة

من كل الأرض العربية ؟!

همام : (زاعقاً) بل حشاشون قد استأجرهم

عم عليش الجحش لطرد صلاح الدين فلم يطرد إلا كوكب ..

وخيال الظل !

عليش : هذا فلاح نطاط لكاك هكاك جاهل !

أولئك هم زعماء الشعب ..

تنادوا ضد صلاح الدين .

فالشعب يريد أمير المغرب سلطاناً

إن مات خليفتنا الطيب ..

نحن إرادة هذا الشعب يعبِّر عنها قادته ،

وإرادته أمر الله .

صلاح الدين : (يتجول بينهم مستخفاً ويتحسس عباءاتهم ويكشفها عن أسلحتهم وهم كالمخدرين)

أهلاً .. أهلاً بالزعماء .

أحدث أسلحة ودروع لم يعرفها بعد الجيش

(للحمَّار) ماذا تعمل يا أوجه زعماء الشعب ؟

الحمَّار : حمَّار مقطوع السبح لعم عليش ..

سأصبح شيخ الحمارين إذا ما قتل صلاح الدين .

صلاح الدين : (لآخر) وأنت ، أحمَّار أيضاً ؟

الرجل : (مبتسماً) رئيس جماعة إحياء المجد العربى .

صلاح الدين : وماذا تعمل ؟ (لا يجيب) ما مهنتك ، وكيف تعيش !!

الرجل : (متشنجاً) ما شأنك أنت بكيف أعيش ؟!

جماعتنا تتولانى ، تكفل رزقى ،

هو رزق يسره الله ، يجريه حامى الإسلام أمير المغرب .

ويعطينيه عم عليش المتبتل ،

لكى نتفرغ نحن جماعة إحياء المجد العربى

لننفذ حكم الله على كل الفساق المنحرفين ..

وهو القتل ، وسنبدأ بفساد الدين !

صلاح الدين : من هذا ؟ فساد الدين ؟

الرجل : المدعو صلاح الدين !!

صلاح الدين : (لهمام) وأنت .. أحمَّار أم أنك مندوب للقتل كذلك ؟

همام : أنا فلاح وفسدت

صلاح الدين : (متجولاً) .. وأنت ؟ وأنت ؟ أأنتم خرس ؟

(يهز واحداً منهم)

قل من أنت ؟

رجل 2 : أنا حشاش مسطول من قبل العصر

صلاح الدين : هذا عيبك .. لكن ما مهنتك ؟ تكلم .

رجل 2 : أغبى أنت ؟ أنا حشاش .. وأنا موعود بالجنة إن أقطع رأس صلاح الدين

رجل 3 : أو حتى إن نحرق قصره

صلاح الدين : (وهو ما زال يتجول بينهم) وأنت ؟ وأنت ؟ .. وأنت وأنت وأنت ؟

همام : لا تضنِ فؤادك لن يتكلم أحد منهم

لن ينطق أحد منهم

من كثرة ما انسطل وحشش .

عليش : هس اخرس هس .. ما أنت سوى فلاح جلف .

ما أدخلك بهذا الجمع من الزعماء ؟

(همام يتجه إلى عليش متحدياً ساخطاً) .

همام : أكذا .. أكذا ؟ .. وإذن فلنكشف هذا الجمع من الزعماء ..

(ثم يتجه لصلاح الدين)

اسمع يا سيد ..

اسمع للفلاح الجلف

(يدفع ببعض أتباع عليش واحداً بعد الواحد أمام صلاح الدين وكأنه يقدمهم فى سخرية واحتقار)

همام : (مستمراً) سأقدم لك زعماء الشعب ..

هذا شيخ الشحاذين . وهذا ملك الحشاشين .

وذا نخاس متعطل .. زعماء جماعة إحياء المجد العربى

(يظل همام يدفعهم واحداً وراء الآخر بسرعة وسخرية)

محترف السرقة فى الحانات . سفاح يُكرَى للقتل .

صلاح الدين : ما شاء الله !

همام : (مستمراً) مهرب خمر وحشيش .. مولـِّف سطل وبلابيع ..

وسيط الرشوة للحكام ..

خاطف أطفال . نخاس ثان متعطل ..

تاجر سم . صاحب حمام مشبوه ..

كيمائى لا يحسن إلا التركيب المتفجر ..

يحيا من عرق النسوة .. لص مساجد .

أستاذ قرود للتدريب على السرقة .

هذا شيخ القوادين .

صلاح الدين : (لعليش) وأما أنت . فماذا تعمل ؟

همام : شيخ المنسر .. (يشير إلى كل رجال عليش فى إشارة سريعة جامعة) والمنسر

عليش : ما شأنك بى ؟ هل أنت هنا شيخ الحارة ..

أم أنت المحتسب المتحكم ..

أم أنك شيخ رجال الليل ؟

صلاح الدين :   أعرف أنك عم الجحش .. ولكن زدنا شرفاً بك ..
وستعرف من أنا فيما بعد .

عليش : ومن ذا يجهل جهد عليش ضد المنكر يا جاهل ؟
فها هى ذى الفحشاء تشيع هنا وهناك بكل مكان ..
الرشوة والذمم الخربة ..
وغناء النسوة والموسيقى تغمر تراتيل القرآن .
وخيال الظل ، يُلــَهِّى الناس عن الصلوات .. (يتلعثم) .

صلاح الدين : (يقاطعه ساخراً) قل ما شئت ولا تأبه

عيسى : هذا ميراث يتراكم منذ سنين ، فما هو ذنب صلاح الدين ؟

صلاح الدين : (هامساً) عيسى ! أسكت أسكت أنت .

عليش : صلاح الدين إذا ما أصبح سلطاناً ضاع الإسلام ..
أنا أعرفه .. أعرف رؤيته المنحرفة ..
أعرف قبضته المرتجفة .

العادل : أرأيت لقبضته ترتجف ؟ وكيف ؟

صلاح الدين : (هامساً) أسكت أنت أخى العادل

عليش : أعرف خوفه

العادل : أجبان هو ؟

محمود : ألم يسحق أعداء الله على الساحل ؟

الإسكافى : وهو وزير لا سلطان

النساج : ألم يهزمهم فى الشرقية

حرفى 1 : أفلم ينقذ بيت الله من الإفرنج

حرفى 2 : لما زحف أمير الكرك ليحتل الكعبة من عام ...

حرفى 3 : وليهدم قبر رسول الله ...

حرفى 1 : فأباد صلاح الدين جيوش الكفر هناك
ولم يسلم فيها واحد .

حرفى 2 : إلا أرناط أمير الكرك رئيس الحملة

حرفى 3 : هرب بنفسه

النساج : وعفا عنه صلاح الدين وقبل شفاعة ملك القدس

الإسكافى : وعقد الهدنة وارتحنا ..

النساج : لو لم يعفُ صلاح الدين عن السفاح لما هاجم قافلة الشام

الإسكافى : هذا خطأ صلاح الدين ،
من طيبته ونبالته يأتى خطؤه .

عليش : هو رعديد متظاهر .

الحمَّار : أتعرفه يا عم عليش ؟

عليش : فى كل مساء نتحاور .

الحمَّار : (زاعقاً) أتحاور غيرى ؟! فلينفعك صلاح الدين .

اذهب حاوره .

عليش : (محنقاً محرجاً) يا حمَّار !

الحمار : (منذراً لعليش) لا تتحاور مع غيرى

أو دعنى أنا أيضاً أتحاور مع غيرك . الهم كثير !

صلاح الدين : (ساخراً) ما خطب الحمَّار معك ؟

عليش : (يغير الحديث ويعود إلى الحديث مع الحرفيين)

خدع الشعبَ صلاحُ الدين بزعم الرقة والرحمة ...

وهو الفظ غليظ القلب .

العادل : أفظٌ هو ، أم ذو كف مرتعدة ؟

عيسى : كيف إذن يجتمع عليه نقيضان ؟

عليش : المسألة لها وجهان .

صلاح الدين : (باستخفاف) فيها قولان !

عليش : بل هو قول لا أكثر هو قول فصل ..

صلاح الدين عدو الأمة والإسلام .. إذن فليعزل .. فليقتل ..

قتل صلاح الدين جهاد من يتخلف عنه يأثم

بل يكفر ..

فتسقط عنه الأهلية

وتحل لكم ممتلكاته ..

بل وبنوه وزوجاته ..

هو مهدرة حرماته !! .

هذا حكم الله تعالى

همام : (وحيداً) يا يسوع أنا لن أسلب مالاً .. أنا لن أهتك عِرضاً ..

أنا لن آخذ ما ليس بحقى ..

ما هذا إلا الكفر بعينه .

(يرفع صلاح الدين غطاء رأسه وينقض على عليش .. ويرفع العادل وعيسى غطاءى الرأس .. صلاح الدين يمسك بخناق عليش حتى يكاد يخنقه) .

صلاح الدين : أنت من أى جحيم جئت شيطاناً رجيماً

فى مسوح الأتقياء ؟! ..

عليش : (متحشرجاً) أنقذونى . إنه يخنقنى . ارفعوا قبضته عن عنقى ..

إنها مثل الحديد .

(صلاح الدين يطرحه أرضاً) .

العادل : أفلا تعرف تلك اليد .. ما رأيك فى قبضتها ؟

عيسى : أتراها ترتجف ؟

عليش : (يقع على مصطبة) أنت من أنت لـُعِنت ؟؟

أدركونى .. أنقذنى ... لعنة الله عليكم أجراء خائرين !

صلاح الدين : أنا يا هذا صلاح الدين .. قف ..

(يشهر سيفه ويواجه الآخرين)

قد تجمعتم لقتلى

أنا ذا بينكم انقضوا علىّ ..

ارفعوا أيديكم .. ألقوا السلاح .

(يرمون ما معهم على الأرض) .

عليش : أنقذونى أيها الأتباع .. هذا قاتلى .

الحمّار : أنت ما قلت لنا أنَّا سنلقاه هنا

فى هذه الساحة والسيف معه .

همام : ليس هذا شرطنا

الحمّار : إنما قلت لنا أن نحرق البيت عليه وهو نائم

همام : فإذا فر من النار قتلناه .. وعدنا بالسلامة .

(العادل وعيسى يتأملان ما ألقاه رجال عليش ، وفيها أنابيب وحقاق صغيرة) .

العادل : كل هذا ؟ .. إنه نفط ومسحوق رهيب متفجر

عيسى : إنها تكفى لكى تحرق حياً كاملاً .

محمود : إنهم قد أفسدوا فى الأرض والقتل جزاء المفسدين

(عليش يبتعد ويقف وحيداً قرب مدخل الساحة) .

عليش : أنت .. من أنت لكى تـُفتِى فى أمر كهذا ؟
أنت خياط وكافر .

عيسى : أى حق لك فى تصنيف خلق الله يا ألعن خلقه .

العادل : أنت من أنت لكى تحكم بالكفر عليه ؟

صلاح الدين :   أتبيح النفس والمال وأن تسبى الذرارى والنساء ؟ ..
كم تقاضيت لكى تفتح للطامع فى عِرضك بابك ؟
أنت من أنت لكى تهدر ما يأمرنا الله تعالى أن نصونه ؟! ..
كم من المال يساوى قلب مصر ؟!
إيه يا شر كلاب الصيد لن تجعل من مصر فريسة ..
إن وحش الغاب حتى الوحش ، لا يجلب صياداً إلى مربض أهله ..
يا إلهى كل هذا الحقد فى قلب رجل !
زفرة من مثل هذا الحقد لو هبت على البحر اشتعل !

عليش : (متماسكاً) ما الذى حمَّلنى ضغناً عليك ؟!
أنت من أنت ؟ وزير ما له فى الأمر شئ ..
كل ما يملكه الطاعة والإذعان إذ يأمره مولاه الخليفة ..
وأنا من فوق هذا كله يسعى السلاطين له والخلفاء ..
وبوسعى الآن أن أوفد مبعوثاً إلى مولاك كى يوقع بك ..
أنت لا تطلب غير العرش لكن لن تناله !

صلاح الدين :   يا ترى أى كنوز الأرض أغراك بأن تحرق أسوار المدينة ؟

وبكم بعت دموع البلد الطيب والآمال فى عصر جديد من إخاء وسكينة ؟

وبكم جمجمة يمنحها القرصان سَلـَّمتَ السفينة ؟

أى ثأر لك عند البلد الحانى الذى أعطاك من قوت بنيه

فوق ما تطمع فيه لتخونه ؟!

عليش : أنا ما خنت بلادى ، إنما أختار من يحكمها ..

إننى أختار للإسلام من يحميه من بعد الخليفة ..

ليس للإسلام من يحميه إلا صاحب المغرب وحده ..

فسيسترجع للأمة مجد الخلفاء الراشدين ..

إنه حقاً أمير المؤمنين .. إن شرع الله فى هذا مبين .

صلاح الدين : ضعف الطالب والمطلوب يا من يجعل الخسة شرعاً ..

أإلى هذا المدى يفسدك المال وتعميك الضغينة ؟

عليش : إننى أدرى بما يصلح أحوال بلاد المسلمين .

صلاح الدين : أنت ؟! ما أنت سوى هيكل بهتان وزيف ودجل ؟!

(صلاح الدين ينقض عليه بسيفه فيثب إليه محمود ويمسك بذراعه)

محمود : يا صلاح الدين ويحك ! .

إن هذا لولى الأمر وحده .

صلاح الدين : (يتراجع) غضبى ! وا غضبى ! أوشك أن يوقعنى فى المعصية .

محمود : أنت ما صرت ولى الأمر بعد .

فلتقدمهم إلى القاضى يحاكمهم وها نحن جميعاً

شاهدو عدل عليهم .

إن هذا هو شرع الله فيهم

صلاح الدين : (يربت على كتف محمود بإعجاب)

ألف شكر لك يا محمود إذ أرشدتنى .

هكذا أنقذتنى .

قسماً لن يظلم الحاكم إن ينصحه مثلك .

عليش : (بغطرسة لهمام) هات لى بغلى يا فلاح ، هاته .

همام : (متحدياً) اسمع يا عليش .. قسماً لن أتتحتح .

عليش : (مضطرباً) أنت تدعونى ((عليش)) . هكذا من غير كلفة .. أ ..

أترى مستك جِنة ؟ ..

هات لى بغلى ، رُح .

همام :   فلترح أنت إلى البغل برجليك .. تحرك ..

أم على رجليك حِنة ؟

(يكاد يلمس صدر عليش بصدره وينطحه برأسه)

هه .. أجبنى .. أعلى رجليك حِنة ؟

قل عليها نقش حِنة !

عليش : هكذا يا أيها الفلاح ؟ ويلك !!

سترى يا أيها الفلاح فيما بعد ما أصنع بك .

همام :   ما عسى تصنع بى ؟

(ثم لائذاً بصلاح الدين)

يا وزير المُلك يا حامى ضعاف الخلق أنقذنى منه ،

أنا ما لى بالسلاطين وبالوالى وأصحاب العلالى ..

أنا لا أفهم إلا فى الزراعة ..

وأنا ما لى بأصحاب القصور ؟

إنه استولى على أرض أبى وأنا طفل صغير ..

وأبى مات سجيناً ها هنا فى القاهرة ،

ما له كالناس قبر لأزوره ..

وسألنا عنه قالوا هو جاسوس صليبى خطير !

وأبى ما غادر القرية يوماً ،

لم يكن يعرف ما شكل الصليبيين . حتى شكلهم !

كان فلاحاً ولا كل الذى يمسك بالفأس .. عظيماً وأصيلاً

ونبيلاً .. وحنوناً وجليلاً ..

وتجرعت أنا من بعده العار وحيداً ..

ابن جاسوس أنا !

هكذا صرت ذليلاً وشريداً وحزيناً وخجولاً ..

غير أن الناس فى القرية قالوا لى انتفض ،

لم يكن والدك الطيب جاسوساً ولكن مات حراً

مثلما قد عاش حراً .

إنه مات شهيداً ذائداً عن كل ما يملكه .... قطعة أرض !!

صلاح الدين : كيف هذا يا فتى ؟

همام : لم يبع قطعة أرض لعليش .

عليش : أنت يا فلاح كذاب وفاسق .

همام : أأنا الفاسق مهلاً .

فسأروى كل شئ لوزير الملك ، فلأفضح له المستور كله .

عليش : اهدأ يا فتى

محمود : كيف ؟ .. لا .. لا تكشف الأسرار واهدأ ستر الله عليك .

همام : كنت فى ضيعته أعمل فلاحاً بأكلى .

صلاح الدين : ألهذا ضيعة ؟ يا للعجب !

همام :   ضيعة ؟! بل ضيعتان ..

لم أكد أبلغ سن الحلم حتى جاء بى للقاهرة .

كان يبدو لى كقديس تقى ونقى وعفيف ورزين ..

وأنا إذ ذاك فحل ومكين .

لم أصدق فيه ما كان يقول الناس عنه .

عليش : أنت كذاب أشِر

همام :   وإذا بى أنا فى قصر عليش ها هنا

أتمشى فوق مرمر ..

وإذا بى نائم فوق حرير ..

كل ما حولى حرير فى حرير .

ثم أعطانى مالاً ، وطعاماً فاخراً قسماً بالله لا أعرف ما اسمه .

وإذا ليلى رقص ومماليك صغار .. والجوارى .

ونساء كالحليب الأبيض الخالص ، كالفل المنور ..

وبخور وعطور .. وحشيش وخمور ..

إننى أخجل من شرح الذى يحدث فى القصر هناك ..

بعد هذا يا وزير الملك ضعت ..

بعد هذا لم أعد أعرف نفسى ..

هذه التقوى التى تخدع ما كانت سوى فخ لتضييعى وبؤسى .

هذه اللحية ما كانت لقديس نقى ..

إنها لحية تيس ..

إنه زمبيل خمر وفسوق وحشيش وسُطَل ..

يا وزير الملك أنقذنى .. دبِّر يا وزير !

ذات يوم كدت أن أهرب لكنى وقعت ،

فرمانى ليلة فى كهفه المظلم تحت القصر ما بين الزواحف ..

ودعانى بعدها وانقض يشوينى بسوطه .

صلاح الدين : آه ما أفظع ما ترويه .. فى أى عصور الهمجيات نعيش ؟

همام : قال لى من بعد هذا .. أنت جاسوس صليبى خطير .. أأنا ؟! ..

قال إن حاولت أن تهرب منى ذات يوم

فسألقى بك فى سجن كبير من سجون القاهرة .

مثل جاسوس صليبى خطير ..

أأنا ؟ . قال : لا تنس أباك ..

بعد هذا لم أفكر فى الهرب .. !

صلاح الدين : هكذا ؟ .. يا للوحوش !!

همام : يا وزير الملك أنقذنى فما أطلب إلا العيش فى ظل الشرف ..

أنا لا أطلب إلا أرض آبائى .. أرضى

(شيئاً فشيئاً كأنه يحلم) ..

قريتى ، عملى فى الأرض بالدنيا ، جلوسى مع صحبى

تحت ضوء القمر الهادئ نحكى ونعيد ..

وحكايات العفاريت وأخبار بطولات الرجال الغابرين ..

وطلوع الفجر والحقل وطير الليل يشدو من بعيد ..

ونسيم الصبح ملء الصدر والأطفال كالنور الجديد

والعذارى تشرق البسمة فيهن على الحلم السعيد ..

والصفاء الرحب والطهر .. ودنيا من نقاء ..

أنا لا أطلب إلا زوجة فاضلة بنت أناس طيبين ..

زوجة تشركنى الرزق وتعطينى عيالاً طيبين ! .

محمود : (لنفسه كالحالم) إنه هيَّج أشواقى الدفينة ..

صلاح الدين : ربما يأذن الله بأن تصلح أحوال المدينة .

همام : (صارخاً فى شبه انهيار)

لا .. أعيدونى إلى قريتنا .

أنا ما لى ها هنا إلا ضياعى والجنون !

أفلم تخلق مكاناً يا إلهى لا يُرَى فيه عليش ..

ونداماه جميعاً من نساء ورجال فاسدين ؟!

(لصلاح الدين)

يا وزير الملك أدركنى بربك ..

أنا مسكين .. أنا فى عرضكم يا مسلمون .. (يكاد يبكى)

محمود : هكذا تـُحكم مصر ؟!

صلاح الدين : (لهمام) تب إلى الله تعالى يجد الله لك المخرج تب .

إيه يا فلاح .. (مستدركاً) ما اسمك ؟

همام : أنا خدامك همام بن حنا بن شنودة .

صلاح الدين : ليس فيما بيننا يا أيها السيد مخدوم وخادم ..

همام : فتح الله عليك

صلاح الدين : أنت قبطى إذن ؟

عليش : آ .. لعين هالك أزرق العظم .. وكافر ..

همام : أوَ ترضى أنت هذا الذل لى (للسماء) . يا يسوع ارحم بنيك .

صلاح الدين : (يعانقه متأثراً) يا أخى فى الله .. لا بأس عليك .

(أصوات طبول من بعيد تقترب شيئاً فشيئاً) .

الإسكافى : هو ذا الدين الصحيح .

محمود : أفلم يوصِ رسول الله بالأقباط خيراً ؟

العادل : إن عيسى وهو من أخلص قواد صلاح الدين قبطى .. فمن يا ترى أقرب لله ، أعيسى أم عليش ؟ ..

عيسى : إيه يا همام لا تحزن .. عسى يُحدِث رب العرش أمراً ...

همام : (للسماء) إننى أدعوك يا ربى بما يدعو صحابى المسلمون .. فلتهيئ لى بعد العسر يسراً ..

(تقترب أصوات الطبول ، يعلو عليها صوت المنادى) .

صوت : اسمعوا يا أهل مصر .. يا عباد الله قد مات الخليفة ..

صلاح الدين : (مأخوذاً) إنا لله .. وا أسفاه ! .

صوت : وصلاح الدين تولى الأمر .. صلاح الدين ولى الأمر ..

بشرى للناس .. صلاح الدين هو السلطان .

(ضجة فرح وهتافات بينما صلاح الدين كأنما قد أخِذ وبان عليه تفكير عميق .. وإن كان قد أمسك بذراع العادل وعيسى ، ثم تركهما ومس ذراع محمود وتركه .. مواطنون يتدفقون فى اتجاه الصوت)

هتافات : صلاح الدين هو السلطان !!

عاش مخلـِّصنا الباسل ! . عاش السلطان صلاح الدين ..

فليسقط كل الأمراء ، وعاش الملك صلاح الدين ..

يحيا السلطان صلاح الدين ..

عليش : (يتهاوى ويسقط على مصطبة)

أدركونى .. غصة تملأ منى الحلق ، صدرى يتمزق ..

آه فى جوفى نار !! كل صدرى يحترق

صلاح الدين : (لمحمود) أعطه ماء بورد وبسكر ..

(يحاول صلاح الدين علاج عليش) .

همام : (لعليش) بل شربت السم يفرى كبدك .

صلاح الدين : (لأتباع عليش) هيه .. تنحوا .. أتركوه يتنفس .

همام : أيها السلطان فلنتركه يفطس .

(محمود يحمل ماءً لعليش والسلطان يسقيه) .

الإسكافى : أتداوى خائناً مرتشياً ؟

النساج : إنه جاء لكى ينهبنا .. أو نقتلك !

الإسكافى : أيها السلطان لا تصفح .. ولا تعفُ ، كفى !

عيسى : وكفاك الصفح عن أرناط .. وأنظر ما عمل .. ؟

العادل : فمن الرحمة ما يحسبه الأنذال ضعفاً .

(بدأ عليش يفيق وقد استراح على مصطبة) .

همام : هو ذا النذل أفاق .

النساج : هو كالثعبان يستدفئ حتى إن سرى الدفء بنابيه لدغ .

عليش : (لصلاح الدين) أتداوينى أنا من حرض الناس عليك ؟!
(متمسحاً فى نفاق واضح)
إن هذا الخلق العالى يا مولاى من أقباس أخلاق النبوة .

صلاح الدين :   وفر المدح على نفسك .. لن يضطر إنسان إلى هذا النفاق ! ..
فمن اليوم وبعد اليوم لن يُمدح فى مُلكى حاكم !
إن من يقبل أن يُمدح حتى بمزاياه ضعيف ،
والذى يقبل أن يُثنى عليه بالذى ينقصه غير شريف .
إن هذا الضعف قد أفسد أمر العدل فى هذا البلد

عليش :   إنما صورك الرحمن من رحمته جل جلاله ..
ما عسى تصنع يا مولاى بى ؟ تبت يا ربى إليك .

همام : قسماً بالله لو قد تاب إبليس لما تاب عليش .

الحمّار : بعد هذا كله تب أنت وأتركنا نمت !

يا أخى بُعدك .. لا .. أنا لا عيشة لى إلا وراءك .

صلاح الدين : (فى حسم) إليكم ما أنوى أن أعمل ملتمساً توفيق الله ،

سأعيد محاكمة السجناء ،

من قتل بريئاً فليقتل

إلا إن صفح ولى الأمر ،

فله ديته ..

من عذب متهماً سيعذب

ويعوض من عُذِب أو أوذى

من أموال معذبه مهما تبلغ مرتبته .

من بارك تعذيباً عوقب .. كمن اقترفه .

عليش : ويل عليش !! هلك عليش !! يا مولاى ارحم ضعفى

صلاح الدين : وسأشرع منذ الساعة فى إعداد الجيش

لتحرير الأرض العربية .

محمود : إن شاء الله .

صلاح الدين : سأوحد مصر وسوريا وبلاد الشام .

عادل : إن الوحدة قلعتنا

محمود : وحد كل بلاد العرب لأن الوحدة قوتنا .

صلاح الدين : سأعد الجيش بتدريب يومى جد ..
كى يصبح أهلاً ليجاهد .. وأضم إليه الفلاحين
ومن يرغب من أهل الحرف أو الصناع أو الطلاب أو العلماء ..
أولئك هم أصحاب البلد .

محمود : كيف يحارب مظلوم أو رجل سلبوه أمنه ؟!
إذا لم يعط الوطن الفرد العزة والعيش الموفور
فكيف إذن يحمى وطنه ؟
على الأذرع ألا تتهاوى يأساً من تطبيق العدل
وألا ترتعش من الخوف ،
لتحسن أن تمسك بالفأس وتقوى أن تنتضى السيف .

الإسكافى : يا سلطان ، ابدأ بالحرب على الأمراء

النساج : وعلى الرشوة

حرفى 1 : واستغلال أولى السطوة

حرفى 2 : ومظالم أصحاب القوة

حرفى 3 : وتبجح أصحاب السطوة

محمود : ركام من كِسَف الظلمات !!

العادل : فساد ووبال قاصم .

عيسى : وعدو محتل غاشم

صلاح الدين :   كان يمزقنى ما يجرى وأنا مكتوف الأيدى ..
والآن غدوت أنا المسئول أمام الله عن الإصلاح ، عن التحرير ،
عن الحرمات .. عن الأقوات .

العادل : أعانك ربى فى بلواك فسيف عدوك خارج بلدك فى صدرك

عيسى : والخنجر فى الداخل قد سل على ظهرك .

صلاح الدين : من أين إذن أبدأ عملى من أين ؟ أعِنــِّى يا ربى .

محمود : دع المعلول إلى العلة .

صلاح الدين : لكنى وحدى لن أصنع معجزة أبداً .. فلنتعاون .

أصوات : نحن جنودك .. نحن جنودك .

محمود : نحن بما نملك جندك والله معك .

عيسى : لتقوى القبضة فى تسديد الضربة .. فلتستجمع كل أصابع كفك .

النساج : وحد طبقات الأمة تحت لوائك ، وحِّدها فوراً

صلاح الدين : (للسماء) ألهمنى حسن البدء لكى أنهض بالشعب وبالدولة .

محمود : العلة تكمن فى غاشية الظلم الناطح بالقرنين ..
وفى هذا الجهل المطبق ،
فالعدل هو الأمن الضافى والأمل المشرق
العدل هو العزة والقوة ، والمعرفة هى الحرية ! .

عيسى : الحرية يا مولاى حياة الشعب ، نعيم القلب ،

صلاح الدين : وحصن فضائلنا البشرية .

العادل : وأمير الكرك أنتركه يطغى ويعربد كيف يشاء ..
حتى تنجز إصلاحاتك فى الداخل ؟

صلاح الدين : تعلم أنى لم أتركه فقد أرسلت إلى ملكه .

العادل : ما رد الملك عليك فأرسِل إنذاراً لأمير الكرك .

عيسى : فيم الصبر ؟ . لماذا لا تنقض عليه ؟

محمود : فيم الصبر وهيبة مصر هى ما يُهدَر ؟

عيسى : أنت الآن هو السلطان ولست وزيراً للدولة

العادل : فلتبعث جيشاً يغزو الكرك .

عيسى : ويعود بأرناط أسيراً

العادل : سيقول الناس صلاح الدين

تراخى عن تأديب لصوص نهبوا أكبر قافلة بعثتها مصر .

عيسى : سيقول الناس صلاح الدين ....

صلاح الدين : (مقاطعاً) ما كنت لأصنع ما لا أرضى خشية قول ..

أو طمعاً فى مدح الغير .. لا يا عيسى . لا يا عادل ،

لا يضع المسئول العاقل

- بحثاً عن مجد شخصى - كل الأمة فى مأزق .

عيسى : سيطمع فينا أرناط وهو جسور شرس أحمق .

صلاح الدين : أرناط أمير فى مملكة القدس ويتبع ملك القدس .

وهو المسئول عن الهدنة وعن الأمراء بمملكته .

ما أرناط ؟ لقد أرسلت إلى ملكه !

العادل : (يضيق متعجلاً) .. نعم أرسلت .. وماذا بعد ؟

عيسى : أرسلت لتسليم الأسرى والأموال المنتهبة ،

وطلبت عقاب اللص الفارس أرناط السفاح الغادر ،

العادل : وطلبت أداء الدية لأهل القتلى من أموال الكرك ..

وطلبت من الملك الخائر إلزام الفاجر بالهدنة .. ثم .

عيسى : فأين الرد ؟ . أقسم أن الملك العاجز يخشى أن يغضب أرناط .

صلاح الدين : فلنعط الملكة بعض الفرصة فهى الأقوى ..

هى صاحبة العرش هناك ، ومالكة للأمر جميعاً .

ما ((جى)) الملك هو المتصرف .. لا بل هو زوج الملكة .

عيسى : فإذا أبطأ رد الملكة .

صلاح الدين : فلنصبر .. إنا لا نصبر عن ضعف بل عن حكمة .

العادل : وإذا رفضت طلباتك ؟

عيسى : ماذا تفعل بالهدنة ؟

صلاح الدين : فهى الحرب .. هى اللعنة !

(إظلام .. موسيقى كنسية .. فنحن الآن ننتقل إلى بلاط ملك القدس فى ذات الوقت الذى تدور فيه هذه الأحداث .. عند نهاية الموسيقى يضاء المسرح ونجد قاعة العرش . ملك القدس ((جى)) والملكة . ((جى)) كهل والملكة تصغره . فهى سيدة فى منتصف العمر ذات جمال هادئ نبيل ، مليئة بالحيوية برغم أنها مريضة

بالقلب .. عصبية أحياناً .. متمسكة بالقيم المسيحية .. وهى فى الوقت المناسب تمارس كل الحقوق التى تمنحها العظمة الملكية .

فى قاعة العرش يوجد أرناط أمير الكرك وهو فارس .. جميل .. شديد الكبرياء ، وقح أحياناً ، مفتون بقوته وحسن تكوينه . وفى مكان آخر من القاعة توجد إيزابيل شقيقة الملكة الصغرى .. وهى على نقيض الملكة تماماً ، ماكرة ، شديدة الوعى بجمال جسدها .. مضطرمة بالرغبة والأطماع ، تملك السيطرة على نفسها ، تخفى كل عرامها تحت سطح هادئ وإن كانت لتتبذل أحياناً ، تتحلى دائماً بجواهر لافتة للنظر وتلبس ثياباً مثيرة)

أرناط : لا .. مثلى لا يذنب .

الملك : كل الناس أبناء الخطيئات .. وباب الرب مفتوح إلى التوبة .

إيزابيل : من أغلق باب الرب !!

الملك : أمير الكرك قد أذنبت إذ لم ترع ...

أرناط : (يقاطع محتداً) ما جئت لكى أسمع تأنيبك ..

لقد باركنى البابا فأصبح لى ضمان الرب

بالعصمة فى كل الذى أصنع ..

لن أسمع .

الملكة : (فى عظمة محاولة السيطرة على نفسها) أمير الكرك .. فلتسمع ..

لا تشغب على مولاك .. لا تنس مقام الملك .. فلتسمع .

الملك : أمير الكرك لا تنقَضّ بعد اليوم كى تنقـُض ما أبرم !!

وإلا غضب الرب وحلت فوقنا اللعنة .

أرناط : فليغضب إذا شاء على غيرى ..

أنا وحدى الذى يحمى له دولة أورشليم

الملكة : (بحسم) أمير الكرك لا تنتهك الهدنة .

أرناط : (مشيراً إلى الملك) لم أجلِسه من عام على عرش أورشليم

ويحكم دولة الرب لكى يخشى صلاح الدين !

الملكة : لا تهزل أمير الكرك ،

بل راعِ جلالة الملك .. لا تخدعك أوهامك ..

زوجى الورع الطيب .. ((جى)) ليس مديناً لك .

أرناط : (ينحنى معتذراً) مولاتى .

الملكة : هذا المُلك من حقى بأمر قداسة البابا

ومنذ اخترت ((جى)) زوجاً يشاركنى هموم المُلك .

أرناط : هل أغضبت مولاتى ؟

الملكة : فإن كف عن الخفقان قلبى وهو معتل ،

فما من وارث للمُلك إلا أختنا الحسناء إيزابيل ..

(تحيى إيزابيل بإشارة ملكية من يدها) .

إيزابيل :   أمد الله فى عمرك ..

ما أعرف لى ظلاً ألوذ به سوى برك ..

فقد كنتِ ـ إلى كونك نِعمَ الأخت ـ نِعمَ الأم !

بفضلك أنتِ لم أعرف عذاب اليُتم .

منذ طفولتى الأولى ..

(الملك يتململ ويحاول أن يشترك فى الحوار) .

الملكة : ووا أسفاه يا أمى ، كانت فى ربيع العمر ..

لكن هدها السل ..

لهذا خفت أن ينتقل الداء إلى صدرك .

إيزابيل :   لو عاشت لتبصر كل هذا المُلك آل لبنتها الكبرى ..

وتنظر كل هذا الحُسن صار لبنتها الصغرى !

الملكة : أنتِ الآن فى العشرين
لكن لا أرى فى الشرق أو فى الغرب من يصلح زوجاً لك .

(ما زال الملك ضائقاً بهذا الحوار) .

إيزابيل : مولاتى .

الملكة : لو أنى وجدت فتى يليق بكل هذا الحُسن والطهر .
ولا يطمع فيما بعد فى عرشك ! .

إيزابيل : بل تبقين مولاتى على عرشك حتى آخِر الدهر .

الملكة : (ضاحكة) أو .. لا .. لا .. لا يا أخت ..
ما أطلب أن أحيا كإبراهام أو نوح ،
ولا كالساحرات بأرض فرعون ، يعمرن إلى قرن
ما أطلب إلا أن يطيل الرب فى عمرى
إلى أن يطمئن القلب
أن شقيقتى وجدت شريكاً صالحاً حقاً ،
من يمنحها الراحة والبهجة والحب ،

ويحمى عرش أورشليم !

(الملك يبدى ضيقه متأففاً هامساً للملكة ، إشارات اليد تعبر عن الضيق) .

أرناط : لو أنى عرفت أميرتى الحسناء من قبل لكنت شريكها اللائق
(لإيزابيل)
فأسعدتك يا أجمل حسناوات أورشليم ..
وشاركتك من بعد على عرشك ..
ولكنى تزوجت لسوء الحظ من عدة أعوام .

(الملك يقطع الحوار الصامت مع الملكة محتداً عليها ، وإن كان هامساً)

جى : ما نحن وهذا .. ؟! أنا لم أدعُ أمير الكرك
كى يسمع ما تهذى به الأختان !

إيزابيل : (لأرناط ضاحكة بدلال وقد رأت انشغال الملكين)
وما يدريك أنى كنت أرضى بك يا مغرور ،
لست تروق لى زوجاً ، وإن كنا صديقين عزيزين !

أرناط : (هامساً بضيق) ألا ترضين بى زوجاً ؟ وأنت عشيقتى الآن !! .

إيزابيل : يا أحمق .. دع هذا .

تحدث مع مولاك عن الصفقة فالتجار ينتظرون منا الرد

فى قلق وصبر نافد .. انطق

ولايِـنِـه ولا تيأس وصانِعِ أختى الملكة .

أرنـاط : (يتقدم منحنياً فى أدب زائد للملكة وللملك وهما ما زالا يتهامسان بحدة)

مولاتى .. مولاى ..

(للملكة مقاطعاً)

مولاتى أما أخبرت مولاى بما تم مع التجار .

جى : (فى ضيق) من التجار ؟ . لم أدعك للتجار ، لكن لصلاح الدين ..

لماذا أيها الفارس هاجمت ..

أرنـاط : (مقاطعاً) يا مولاى هم من أكبر التجار فى بيزا

وفينسيا ومرسيليا وفى جنوة ،

جى : ما شأنى بالتجار ؟ .

قل لى أنت كيف جسُرتَ أن تنتهك الهدنـة ؟

كيف عصيتنى عنوة .

أرنـاط : التجار جاءوا لك يا مولاى بالمجد وبالثروة .

إيزابيل : (للملكة) أما أخبرت مولاى ؟

أرنـاط : أطعنى .. أطع التجار .. واسمع نصح مولاتى
يَعُد ملك أورشليم كما كان على عهد سليمان
وتصبح أنت مثل الشمس .

الملكة : تعنى صفقة الأبراج ؟!
لكن غرورك يا أرنـاط لم يمنحنى الفرصة ..
فلم أشرح لمولاك .
حماقاتك ، هذا الفتك بالحجاج ،
بالقافلة العزلاء مما أحرج الدولة ...

أرنـاط : دعى هذا العتاب الآن .. (ثم للملك)
يا مولاى لابد لنا من أن نشن الحرب كى تنعقد الصفقة ..

جى : وما الصفقة ؟

أرنـاط : سلاح لم يُجرَّب بعد ،
أبراج تصب قذائف النيران عن بُعد ،
ولا يوقفها شئ ولا حتى كرات النـار ..

إيزابيل : كرات النار إن تـُقذف على الأبراج ترتد .

أرنـاط : إن لم أبرم الثفقة من فورى فالتجار هم تجار !

دين التاجر المكسب ! .

وقد يبرمها قبلى صلاح الدين أو غيره .

جى : أعِد ما حُزتـَـه غصباً لمبعوث صلاح الدين .

أرنـاط : (فقد أعصابه) وإن مرغ خديه على بابى .

أعِد أنت إليه رأس مبعوثه .

فإن لم يقتنع بالرد فليرسل إلىَّ نبيه نفسه !

الملكة : (محتدة) أمير الكرك لا تسخر بمولاك ، ووقـِّر هيبة الملك .

إيزابيل : (بنبرة خاصة) أمير الكرك ما هذا ؟ أنت تضيع الصفقة ..

أرنـاط : (متأدباً) ألا ينتظر التجار عربوناً ..

سندفع بعض أموال صلاح الدين عربوناً إلى التجار .

الملك : أعِد ما حُزته غصباً من الأموال والأسرى .

أرناط : بل سأجرب الأبراج فى الأسرى

الملكة : هذا كله شر وضد شريعة الرب .. دمغ لأورشليم السماوية بالعار !

الملك : نهاية كل هذا الشر !

إيزابيل : يا مولاى ما فارسك الباسل إلا تابع خاضع

أرناط : أنا أعمل كى تتسع الدولة كى تمتد .. كى تغنى ..
كى يصبح من يملك مثل الشمس ..
وسوف يساعد التجار فى تجهيز أسطول يسود البحر يا مولاى ..
فنستولى على عدن وباب المندب المفضى لأقصى الشرق
للثروة للهيبة .

إيزابيل : (كالحالمة) لمُلك واسع الأرجاء لا يبلى

أرناط : فلنملك طريق تجارة الهند لنجعل هذه الدولة
أقوى دول العالم

إيزابيل : تليق بما لأورشليم من مجد ومن ذكرى وقدسية

أرناط : فمن أولى بما فى الشرق ، من أولى ؟

صلاح الدين أم نحن ؟

ألا يغريك يا مولاى هذا الجاه والسلطان والثروة ؟

كل النِعَم الكبرى .. ؟!

جى : أمير الكرك لا تحلم وألزم نفسك الهدنة

أرناط : ألم تفهم ؟ لماذا تسكت الملكة ؟

الملكة : لا يستولد الغدر سوى الباطل .. هذا كله باطل !

أرناط : (فى ضيق) ألم تعطك إيزابيل بعض لطائف الشرق

من اللؤلؤ والجوهر مما يجلب التجار ؟!

الملكة : (غاضبة) ما ذلك ؟! إيزابيل ! هل دنستِ كفيك ؟

ما هذا الذى يسطع يا أختى على صدرك ،

فى أذنيك ، (تتأمل جواهر إيزابيل)

وفى كفيك ، ما هذا ؟

طوبى للذى طهر كفيه من الرشوة !

إيزابيل : ما كانت سوى بعض هدايا من ..

الملكة : هدايا ؟ لا .. أعيديها إلى التجار ..

إيزابيل : أمر مولاتى (تتحسس جواهرها فى ضيق) .

الملك : (لأرناط) وأما أنت فلتـُرجِع لمبعوث صلاح الدين ما استوليت ..

أرناط : (مقاطعاً فى تحد) وأنت ؟ أليس فى العالم شئ ما يعنيك سوى قافلة الشؤم ؟ .

الملكة : صلاح الدين ، ما خان لنا عهداً فكيف تخونه بغتة ؟ .

أرناط : (مستثاراً) أتخشون صلاح الدين ؟ فليأت لأذبحه بهذا السيف فهو مقدس الطعنة .

(يشهر سيفه ويلعب به فى خفة .. يبدو على الملك جى الضيق وأرناط يتقدم منه .. إيزابيل تصرخ والملكة تتقدم إلى أرناط فى ثبات) .

إيزابيل : يا مجنون !

الملكة : أمير الكرك لا تشهر أمام الملك السيف ،

ضع سيفك فى الغمد

وقف كالتابع الخاضع ،

والزم أدب التابع .

إيزابيل : (فى رقة شديدة) مولاتى .. أمير الكرك لا ينشد للدولة
إلا المجد والثروة والصولة

(أرناط يغمد سيفه)

الملكة : إيزابيل !

إيزابيل : فأجرى هذه الصفقة مولاتى لكى تقوى ..

الملكة : فيما بعد .

إيزابيل : (للملك منحنية) أمير الكرك لا ينتهك الهدنة أو يعصاك يا مولاى ..
لكن صلاح الدين قد جمَّع واستنفر كى يغدر

الملكة : صلاح الدين لا يغدر .. هذا الفارس الرائع !
(لإيزابيل) لولا أنه يأبى لزوَّجتُكِ إياه ..

إيزابيل : (ضاحكة) أنا ؟! لا .. لا ..

ولكن إن يكن راقكِ يا أختى

فيا ألف هنيئاً لك ، ما المانع ؟

الملكة : يا حمقاء .. ماذا قلتِ ؟ إيزابيل .. إيزابيل .. !

(ثم ضاحكة للملك) ما زالت كما كانت

حتى وإن غدت جدة ..

فلن تعدل عن عربدة الطفلة !

أرناط : صلاح الدين قد أصبح ما بين الصليبيات أسطورة ! .

الملكة : أتنسى زحفك المشئوم من عام إلى الكعبة .. ؟

أما خلـَّفتَ فى أرض الحجاز هناك آلافاً من الفرسان

من خير الصليبيين

ماتوا كلهم فى التيه والغربة ؟

أتنسى يوم أن عدتَ إلينا سالماً وحدك ؟ ..

ألم يقسم صلاح الدين إذ ذاك على قتلك ؟! .

فلولا أننى استشفعتُ فى رأسك ...

إيزابيل : أمير الكرك لا ينسى ..

الملكة : ألم يعفُ صلاح الدين عن نبل وعن قدرة !!

أرناط : حتى زوجتى الحمقاء ما تنفك فى صحوى وفى نومى
تذكرنى بهذا العفو منذ غنمتُ قافلته ! .

الملكة : عقدنا بعدها الهدنة كى تنقضها أنت !

أرناط : صلاح الدين هذا يفتن النسوة !

الملكة : الملكات لا يُفتـَنّ .. فالزم أدب التابع
أو حتى تقاليد الفروسية فيما ينبغى قوله .

أرناط : (للملك) فلتحذر فقد تصبح فى يوم فإذ بالفارس الرائع
قد شاركك المخدع .. (ثم ضاحكاً) فى نبل وفى قدرة !

الملكة : ما شاهدتُ من قبل أميراً ما ، لديه بعض ما تملكه أنت
من الإسفاف والسخف وعقم الفكر والنظرة .

أرناط : من يأمن إلى عهد صلاح الدين ؟!
لا يأمن إلا الأبله الغافل ..

الملكة : فلتحذر أمير الكرك .. أنت تخاطب الملكة ..

أرنـاط :   صلاح الدين هذا فرض الهدنة

كى يجمع شمل العرب الأشتات كى يدعم ما ينـهدّ .

كى يغزو أورشليم فيما بعد ..

فما صمتى أنا فارسها الباسل ؟ أبَى شرفى علىَّ الصمت .

الملكة : وهل من شرف الفارس نقض العهد ؟!

هل من شرف الفارس أن يجحد ؟

هل من شرف الفارس ،

هذا النـهب للأموال ، هذا الفتك بالعزل ؟! ..

لا يفعل هذا الشئ إلا الفارس اللص الذى ينكره الرب !

أرنـاط : (فى أقصى انفعاله) مولاتى .. أنا أحتج ..

لست بفارس لص .. أنا حامى أورشليم .

الملكة : أنت تخاطب الملكة !

أرنـاط : ولكنى أنا حامى أورشليم

ولولاى لضاعت هذه الدولة ..

ولولاى لما كنت سوى إحدى الشريدات الصليبيات

فى حانات أورشليم ، أو جارية شمطاء لا تصلح

فى قصر أمير مسلم وسط حظيات صغيرات !

الملكة : (منفعلة) أمير الكرك أنت تهين عرش مدينة ابن الرب ..

تباً لك !

أرناط : أنا ما جئت من أجل الإهانات .. فلتعتذرى فوراً وإلا ..

(يشهر سيفه) .

الملكة : (تقاطعه بكل عظمتها)

إذا حاولت أن ترفع بالعصيان

رأسك فى مواجهتى

سيسقط هذا الرأس على قدمىَّ تحت العرش ..

(تصفق) يا حراس أورشليم .

إيزابيل : (تسرع إليها مستعطفة) مولاتى .. غفرانك ..

(يدخل حراس كثيرون بالحراب) .

الملكة : سوقوه إلى السجن ومن بعد إلى ...

(الحراس يحيطونه بحراب مشرعة نحوه من كل الجهات)

إيزابيل : هبى لى خطأ الفارس .. من أجلى اصفحى عنه ..

الملكة : من أجلك إيزابيل ؟! وما يعنيك من شأنه ؟

إيزابيل : ما من أجله استعطفتُ ، بل راعيتُ أطفاله !

لئن مات بأمر منك يا أطهر أهل الأرض ..

إن دماءه ستظل فى كفيك لن يغسلها دمعك ..

.. يا لله يا أختاه

قد أصبحتِ شاحبة (تتحسسها) يا للعرق البارد ..

لا تنفعلى بعد بشئ ما .. يا للنفس اللاهث ..

قلبك أصبح الآن سريع الخفق .. يا لله .. يا أختاه ! ..

الملكة : هذا كله باطل .. ! عفونا عنه . روحوا الآن ..

(تخرج لاهثة ويدها على قلبها ولكنها شامخة الرأس .. يخرج وراءها الحرس .. ثم أختها إيزابيل .. يخرجون من يمين المسرح)

الملك : أمير الكرك رُد إلى صلاح الدين كل المال والأسرى .

وادفع دية القتلى

نفذ أمرنا الملكى من فورك ..

أرناط : (منفجراً) أوامر ليس يصدرها سوى الجبناء والحمقى

(ويستدير ويعطيه ظهره) .

الملك : (صائحاً) أمير الكرك ما هذا ؟ أتنسى أننى ملكك ؟

أرناط : أنا إن شئتُ صيّرتك محروماً من الغفران والجنة !!
طريد قداسة البابا ،
تقاسى الجوع والحرمان واللعنة ..
أنا من وضع التاج على رأسك لكنى سأنتزعه .

الملك : (فى ذعر) أمير الكرك .. ما هذا ؟ .

أرناط : ستهلك هذه الملكة فى علتها الليلة ..
(أرناط يشهر سيفه وكأنه يخاطب الفراغ)
تعالوا أيها التجار بالأسطول بالأبراج .. فلنفتح طريق الهند ..
خذوا ما شئتم ثمناً ،
ليصبح لى أنا وحدى مُلك الشرق ..

الملك : نهاية كل هذا الشر .. يا ويلى يا ويلك .. !

(إظلام .. ثم نعود مرة أخرى إلى صلاح الدين ومن معه كما تركناهم فى المنظر السابق .. غير أن الدكاكين كلها قد أغلقت والناس حول صلاح الدين يتابعونه وقد زاد عددهم) .

صلاح الدين : سأقيم العدل بإذن الله وإن كلفنى هذا عمرى ..

ولا يظلم ربك أحداً .

سأرد الأمر إلى القرآن إلى السنة .

وسأعدِل فيكم عدل عمر ..

الإسكافى : والثروة يا سلطان .. الثروة ؟

النساج : الثروة فى أيدى الفجار !

همام : ماذا تفعل يا سلطان بمن نهبوا أرض الفلاح ؟

حرفى 1 : ماذا تصنع للعمال ؟

حرفى 2 : والحرفيين المطحونين ؟

صلاح الدين : ستعود الأرض لمن يفلحها ..

همام : عاش السلطان .. أعِدنى للقرية فوراً .. لى فأرس باركها الله ..

صلاح الدين : العامل يؤجر عما يعمل لا نقصان ولا استغلال .

محمود : والأمراء النهابون ومن يثرون من السرقة والرشوة ؟

عيسى : ومن أثرى مما يُمنح من تيسيرات إذ هو فى مركز قوة ؟

صلاح الدين :   (مستمراً) وعلى كل ذوى الثروة .
إثبات مصادر ثروتهم ..
وإلا رُدت لمن استلبت منه أو عادت للأمة .

حرفى 1 : لقد قرر من قبل علينا خمس ضرائب !

حرفى 2 : نحن خربنا

صلاح الدين :   سيرفع ما قرر من قبل على الفقراء
ليحملها من هم أغنى ..

هتافات : عاش السلطان ..

رجل 2 : (من أتباع عليش) منا من لا يجد العمل
ويُكرَى مضطراً للقتل .

رجل 3 : أو حتى يعمل قواداً أو يسرق كرهاً كى يأكل ..

صلاح الدين : سيُدَبّر عمل للمتعطل .
لن يشبع فينا أحد بعد وفى مصر المحروسة جائع .

محمود : البلد بخير تكفى حاجة كل بنيها
إن أحسِنَ توزيع الثروة ..

صلاح الدين : خليفتكم يرحمه الله يملك آلاف الآلاف .
سأبقِى للورثة منها ما يضمن حُسن معيشتهم ..
وباقى الثروة للمحتاج وبيت المال .

هتافات : عاش السلطان صلاح الدين .. يحيا العدل .. يحيا العدل ..

عليش : (هامساً لهمام) لكن الأمة طبقات .. سنة ربى وجعلناكم درجات ..

همام : بماذا تهمس فى أذنى وتزن كزنبار مضروب ؟! .

هس .. اخرس .. هس !

(بالطريقة نفسها التى كان ينهره بها عليش فيما تقدم) . يا ابن الأفعى ..

فلتركب بغلك وأتركنا .. إن الراكب كالمركوب ! .. (يضحك) .

العادل : لكن الأمة أفسدها كثرة ما عانت من إفساد وضلالات !

أنت تصارع فوق القمة أهل السلطة والثروات !

عيسى : سيكون صراعك ضدهم صراع حياة أو موت

محمود : وقد ينخدع فيعمل ضدك من تجهد كى ترفع شأنه

صلاح الدين : لكيلا ينخدع المظلوم ، لكى يكتشف خداع الظالم ،

سنشرع فى تنوير العقل

فماذا يمكن أن يملكه العقل المظلم !

محمود : فلتكن المعركة الأولى ضد الجهل ،

وبهذا نصبح أحراراً ..

وحتى نبنى ما نحتاج إليه من دور التعليم

فلنفتح كل مساجدنا ليلاً ونهاراً ..

لتعود كما كانت فى عصر رسول الله منارات

تشع بأضواء الإيمان ونور العلم .

صلاح الدين : وسأجعل مجلس شورى ممن يختارهم الشعب

همام : (فرحاً) القرية لن تختار سواى .. زيطوا يا فلاحى القرية !

محمود : (للحرفيين) أستودعكم دكانى حتى أتفرغ للتعليم
فثمَّ جهاد يا سادة .

صلاح الدين : فيما بعد سيأتى يوم جهاد أكبر ..
سأحاول جهدى أن أجمع حكام العرب على كلمة ..
سأبعث لهم كلهم حتى المتآمر فى المغرب ..
وأسير بنفسى للمشرق .

محمود : أتبعث لأمير المغرب ؟
فهو يمزق وحدتنا باسم الوحدة .

العادل : هذا رجل لا يتعامل إلا بالخنجر والسم .

عيسى : لقد حررتَ له برقة فازداد سعار الرجل عليك .

همام : يباركه أمثال عليش

ويستقبله الحشاشون .

عليش : ويل عليش .. هلك عليش

يا سادة ، قد تاب عليش !

عيسى : عقدته مصر المنتصرة .

العادل : يفضل مصر المنهزمة كى يحكمها

محمود : أعظم ما يؤذى الأحرار من البلوى جار حاقد .

عيسى : يعميه الجهل ويبطره مال وافد .

محمود : وهذا شأن أمير المغرب

مهما تبذل لتساعده فهو الجاحد .

قزم ضاق بقامته فتخايل فى ثوب المارد .

صلاح الدين : سأدعو العرب لصف واحد ..

وعفا الله عما سلف ..

فلنضرع لله تعالى أن ينصرنا ..

(يداه للسماء)

يا ربى إنى أدعو يا فتاح ،

امنحنا القوة كى نفتح بيت المقدس ..

ونحرر أرض فلسطين وكل الأرض العربية .

يا واحد وحد أمتنا ،

فلا تتفرق كلمتنا

ونعود كما كنا إخواناً .

الجميع : آمين .

عيسى : بهذا نثأر لضحايا القدس الأشرف

صلاح الدين : ليس الثأر بل التحرير ..

محمود : بهذا يرتفع الإنسان لجوهر ما أودعه الله فى عقله .

صلاح الدين : حين تـُعلـِّم من لا يقرأ يا محمود

فاغرس فيه حب العدل ..

أريد رجالاً فى جيشى باعوا الدنيا

بسالتهم تتحدى الموت .

زمامهم بيد الحكمة

لا فـُتاكاً تملأ قلبهم الأحقاد ..

أريد رجالاً مشتعلين من الإيمان

أريد رجالاً قوتهم منبعها الرحمة ..

تضئ عقولهم بالعلم ويصقلهم حُسن التدريب ..

وسأجعل راياتى ..

عليش : (مقتحماً متحمساً وكأنه يتراقص على إيقاع الكلام)

راياتك هى رايات الحق ..

تلألأ نجمك وتألق !

وجعل فراشكم السندس والإستبرق .

ورفع الله تعالى باسمكم الرايات القرآنية ..

ونشر بفضلكم الأنوار النبوية ..

وأدام علينا النفحات السلطانية .

همام : هس . اخرس .. هس ، لا تحزق ! (ثم يقلد عليش) نافق ..

نافق منذ الآن وحتى الصبح (يضحك) .

محمود : (ضاحكاً) نافق حتى تتفلق .. نافق .. نافق وتمسح ..

فلن تأكل عقل السلطان .

همام : هذا عقل سلطانى .. وليس بعقل فلاحى !

صلاح الدين : سوف أغير راية مصر بإذن الله ،

تعبيراً عن مشرق عصر ،

نسأل فيه الله النصر .

عليش : سواك من الحكام يقول سنفعل هذا بمشيئتنا ...

أما أنت فكل كلامك يسبقه ((إن شاء الله)) ..

الله .. الله !

صلاح الدين : (مستمراً) سنصنع راية مصر هنا ،

سينسجها العم النساج ،

وأعِدَّ الراية يا محمود بإتقان أعرفه فيك

كما تصنع فى كل ثيابى ..

راية مصر قماش أصفر مثل الشمس

كضوء ضحاها ..

يرصِّعُها النسر الأحمر .

محمود : ولماذا هذا النسر الأحمر ؟

العادل : ولِم الأحمر .. ؟

عيسى : ولِمَ النسر ؟! لِمَ لا نجعله أسداً ؟!

صلاح الدين : لأن النسر أمير الجو وملك الطير ،

أقوى الطير وأنبلها ..

أنبل من كل الأحياء عدا الإنسان ..

يقتعد القمم الشماء

لا يعرف نسر كيف يُسِف .

لا يهوى لحضيض الأرض ولا يغتال فريسته

غدراً ، كلا بل ينقض عليها جهراً

ثم يرفرف بجناحيه ،

ويحلق بعد ثم يحلق فى الأجواء ،

وقد ازداد صِباً وشباباً

إن النسر شباب خالد .

العادل : وإذن فالحمرة رمز الدم ؟

صلاح الدين : الحمرة أروع ما فى الزهر

الحمرة رمز شعاع الفجر

فلتفتح صدرك

كى يمتلئ بطيب هواء الفجر المقبل .

ليضئ حنايانا بالنور

النور الزاحف خلف الليل

عليش : (متحمساً) وأنا ماذا تصنع بى رحمة مولاى ؟
ماذا تصنع بعيالى إن شاء الله ؟!

صلاح الدين : كم ولد عندك ؟

عليش : (فى ضراعة) عندى أربع زوجات .

صلاح الدين : زوجات أربع ؟!

عليش : حكم الشرع ، رخصة ربى ، أأعطلها ؟

محمود : رخصة ربك إذ تضطر ، على أن تعدل .

عليش : (مستمراً) وعندى تسعة أولاد كلهم قـُصّر .
وعندى أكبر منهم عشر .
حسن وحسين وعلى ومعاوية
وهند وزينب والشيماء ، .. وأبو بكر ..

محمود : (يقاطعه ضاحكاً) جمعتَ علياً ومعاوية ..
وجمعت إلى هند زينب .

(ساخراً) ما أذكاك وما أحجاك وما أبرعك !

صلاح الدين : (بمغزى خاص) من منهم يحمل موهبتك ؟

عليش : (متحمساً) عن أية موهبة تسألنى ؟

يا مولاى ! أنـَّى موهبة يا مولاى ؟!

صلاح الدين : (ضاحكاً) أنا أعرف كل مواهب عم عليش الجحش !

همام : (متدخلاً) حسن موهوب يا مولاى .

الحمّار : (مقتحماً) يا سلطان اسألنى أنا لا تسأل غيرى ..

اسألنى عن حسن بن عليش ..

مواهبه يعرفها كل الحمارين ،

لكن شغلتنى عنها موهبة أبيه !

عليش : (غاضباً) مالك بابنى يا حمَّار ؟

يا رباه .. اكفُ ابنى شر الحمارين .

هو أكبر ولدى ، ذخر حياتى .

محمود : (ضاحكاً) مواهب حسن بن عليش تلقى تقديراً يا مولاى

عند فحول السجانين ..

حتى ضجوا بالشكوى من شدة موهبة ابن عليش !

صلاح الدين : وماذا يعمل هذا الرجل (يضحك)

أعنى المهنة يا محمود لا موهبته .

العادل : حسن بن عليش رئيس الحرس بسجن الجبل .

عيسى : ولديه موهبة التعذيب ، هو أستاذ فى التعذيب .

محمود : لكن مواهبه الأخرى من حظ السجناء التعساء ..

(يضحك) إذ تشغل وقت السجانين .. جميع فحول السجانين .

فلا يجدون الوقت الكافى للتعذيب ! .. ولا حتى الجهد المطلوب .

عليش : (منهاراً) أنتظر أوامر مولانا .. فى ولدى المسكين الصالح .

صلاح الدين : ولدك سيحاكَم فيما اقترف من التعذيب

(ثم ضاحكاً) وأما الموهبة الأخرى فالله يحاسبه عنها .

عليش : وأنا ماذا تصنع بى وأنا التائب من ذنبى !

وبنبلك وبرحمتك ألوذ ..

بعطفك يا مولاى .. أنا ..

صلاح الدين : (مقاطعاً) تـُعلـِّم فى مائتى يوم

مائتى رجل لا يقرأ ..

المائة الأولى من جند الجيش العامل ..

ومائة تصلح للتجنيد ..

ستراقبه يا محمود .. وفيما بعد سأنظر يا هذا فى أمرك ..

محمود : (ضاحكاً) ما أصعبها مسئولية ! .

عليش : (كأنما انتشل) أأعلـِّم مائتين فحسب ؟ فقل ألفين !

وإذا شئت أعلم جيشاً

همام : جيش ؟ ماذا ؟ لعلك تحسبها فرصة ؟

محمود : (ضاحكاً) ستعلمهم لا أكثر !

وأنا المسئول فلا تفضحنا ..

الحمّار : (لعليش) لكن قل لى أتحاورهم ..

أيحاورك الجيش الكامل ؟

عليش : (يدفعه بضيق) صدق القائل لا تتحاور مع حمار

أو تتركه فيحاورك ..

الحمّار : (لصلاح الدين) أفلت عم عليش الجحش ؟

ونحن وكل الحشاشين ؟ وهذا الجمع ؟

صلاح الدين : تولَّ أمرهم يا عادل ، عالجهم ،

أدخلهم دوراً تصلحهم وتعلمهم

مهناً تكفيهم شر الحاجة .. عودوا الآن ..

(يخرج الجميع حتى يفرغ المسرح فى أثناء خروجهم يقبل عليش على صلاح الدين يشكره بحركات مبالغ فيها وهمام يتابعه) .

عليش : هذا العفو مع المقدرة كقبس من روح المغفرة ..

يا للنفحات السلطانية !!

واللمحات النورانية والرحمات الربانية (ضاحكاً فى فرح حقيقى)

حق .. حق .. حق .. حق ..

همام : (يتابعه ويقول وهو يمط الحروف) .. الـ .. كـ .. لـ .. ب !

(يخرج وراءه .. ولا يبقى إلا صلاح الدين وحده) .

صلاح الدين : (بين الضراعة والتأمل والحلم والانفعال ، أحياناً يدور فى المسرح)

يا ربى أوزعنى أن أشكر نعمتك علىّ

وهيئ لى من أمرى رشداً يا ربى ..

امنحنى الحكمة يا ربى لأقيم العدل

لكيلا أظلم أحداً أبداً ..

امنحنى قوة أن أصفح ..

امنحنى قدرة أن أتواضع للضعفاء ..

وألا أبغى أو أتبجح ..

املأ قلبى من رحمتك لكيلا يغلبنى عقلى

حين يواجه صور الغدر من الأيام .

وحين يصاوله الإجرام

فيقيم العدل مكان الرحمة فيما أجرى من أحكام

ويغلق أبواب التوبة

ويظل المجرم مهما يستغفر ويُنِب يحمل ذنبه !

يا ربى أنا رجل سلام أحلم أن تصبح دنيانا أرض الحب ..

فلا تجعلنى عندك رجلاً كُتِب عليه قدر الحرب .. !

يا ربى فلتلقِ الأمن على هذا البلد الطيب

لقد عانى البأساء طويلاً فلتمنحه نعماءك

خلقت الناس على صورتك ، فطهِّرهم

ليظل الناس كما تفطرهم

دون مخالب أو أنياب

تحكمهم إنسانيتهم بدلاً من قانون الغاب .

امنحنى الرفعة كيلا أسقط فى شرك الغضب الجائر

فأواجه كيد الموتورين ،

وأواجه سخرية الشامت

والحقد المتربص بى والأطماع المسعورة

والحسد المضطرم الصامت ..

أعِنِّـى أن أحفظ قِيَمِى .

جنّبنى أن تجذبنى الفتنة أو أن أضعف للإغراء ..

أعِنِّـى كيلا أفقد نفسى ،

فما يجدى الإنسان العاقل أن يكسب جاه الدنيا إن يخسر نفسه ،

غِناى الشامخ يا ربى فى الفقر إليك ..

لا تـُدخِل فى قلبى الزهو بنصرٍ فات ..

وارزقنى بالنصر الآتى ..

وما نصرى إلا من عندك ..

اجنـُبنى أن أدخل حرباً بحثاً عن مجد براق ..

أو كى أفتح دولات أو أبسط سلطانى فى الأرض ..

أنا أعرف ما تعنى الحرب .

المنهزم بها منسحق والمنتصر بها مسكين ..

أى دموع ، أى دمار أى دماء !!

أنا أعرف ما تعنى الحرب ..

جنون يعصف بالحكمة ،

نار تحرق حتى الرابح ..

طوفان من غضب جائح

يتحول فيها الإنسان إلى صياد وفريسة ..

لكن ما الحيلة يا ربى ،

إما الحرب أو الإذعان !! .. فماذا نصنع بالطغيان ؟

هو ذا يسرق من فمنا اللقمة ويهدد شرف النسوة

يسحق ما يملكه الرجل من العزة ..

هو ذا ينشب مخلبه فى لحم القلب

ويقطع أوصال الأطفال ..

وإذن لا حيلة إلا أن ننقضَّ كما ينقض النسر لكى نأمن ..

ونصنع حتى من دمنا

فجر زمان يتحرر فيه الإنسان ،

ويغنى فيه القلب المضنى للمستقبل .. !

(ستار)

الفصل الثانى

(مشاهد سريعة متلاحقة لعسكر العرب والصليبيين فى فلسطين يمكن أن تنفذ بالفانوس السحرى مع تسجيل الصوت ، ويمكن أن تنفذ بشريط سينمائى ..
والأفضل أن تنفذ بمجموعات بشرية حية مع استخدام الإضاءة والإظلام والموسيقى المناسبة إن اقتضى الأمر ..

أصوات جياد تزحف .. رايات صلاح الدين صفراء عليها النسر الأحمر .. أصوات ذعر وفرسان صليبيون يتراجعون)

الصليبيون : النسر الأحمر فوق الكرك

علم أورشليم تمزق

يا ملك أورشليم تحرك

أنقذ مملكتك

أمير الكرك يضيعنا .

(إظلام ثم ضوء على مجموعات عرب نساء ورجال وأطفال يرفعون الأعلام)

العرب : النسر الأحمر يتقدم

أهل فلسطين بُشراكم

النسر الأحمر يتقدم

ينضم إلينا ليحررنا

الصليبيون : يا فرسان الغرب النجدة

دولة أورشليم تضيع

النسر الأحمر مزقها .

صليبيى صور وأنطاكية ..

يا كل الفرسان بعكا وطرابلس .

يا أوربا أين النجدة ؟

أين الأبراج الحربية ؟

يا ملك أورشليم تحرك

أنقذ مملكتك

أمير الكرك يضيعنا

يا أوربا .. بابا روما

يا ريتشارد .. قلب الأسد احشد جيشك ..

ملك فرنسا يا فيليب ..

يا ملك الألمان الباسل .

ملوك أوربا . أين النجدة ؟

النسر الأحمر مزقنا .

النسر الأحمر فى حطين يحلق كى ينقض علينا ..

النسر الأحمر فى طبرية ..

(إظلام ثم يغمر الضوء .. صلاح الدين والقواد العرب)

العادل : إنهم أضعافنا ..

صلاح الدين : ليست العبرة بالكثرة فى الحرب ولكن بالذى تؤمن به
(صمت) بالذى يمكن أن تبذل فيه النفس طوعاً ..
من هنا يصبح الواحد منا بمائة .

عيسى : (يقبل عائداً فرحاً) نحن حطمنا صهاريج المياه
لم يعد عند الصليبيين ماء ..

العادل : لن يموتوا عطشاً فوق التلال ،
فسينقضون أرتالاً علينا ها هنا فى طبرية

صلاح الدين : فلنقم سوراً من النار على ماء البحيرة

العادل : فإذا نحن عطشنا ؟

صلاح الدين : أتركوا فى السور ثغرة

العادل : (سعيداً) فإذا هم عطشوا هبطوا كى يشربوا

وتداعوا كلهم فوق الممر

صلاح الدين : إننى أعرف أرناط سيأتى فى غرور مستخفاً ..
فلتكن خفته مصيدته !
أتركوهم يعبروا للماء من ذات الممر ،
ثم سُدوه عليهم بعد هذا بجحيم مستعر ..
فإذا ما أصبحوا خلف سور النار لا تحميهم إلا البحيرة ..

عيسى : فسننقض عليهم .. يا لها من خطة يا قائدى

العادل : خطة بارعة لكنها تحمل فى طياتها أخطارها

عيسى : ليست الحرب صكوكاً بضمان

صلاح الدين : قد تدربنا طويلاً أيها الفرسان من قبل على قفز الموانع
كم تدربنا على أن نعبر النيران من قبل فهيا
أشعلوا النيران من حول البحيرة .

عيسى : آه ما أعظمها من خطة يا قائدى ..

العادل : إنها خطة بدر ..

صلاح الدين : أعرفتم أين نحن الآن ؟!

العادل : فى حطين يا مولاى طبعاً ..

صلاح الدين : إننى أعرف .. لكن
أفما استلهمت من حطين شيئاً يا أخى العادل ؟ فكر ..

عيسى : ها هنا قبر شعيب

العادل : وهو قديس نبى

عيسى : كان من أقوى الرسل

صلاح الدين : كان والله قوياً ومكيناً ، وأميناً
كان لا يأبه بالأعداء مهما يكثروا
فأولو العزم لهم من عزمهم خير عوض

العادل : إيه يا أرواح بدر ساعدينا !

صلاح الدين : إيه يا حطين كونى نفحة من روح بدر !

عيسى : يا يسوع .. نحن فرسان الحقيقة !

صلاح الدين : إنهم إن كسرونا اليوم يا ربى فلن ينهض للحق أحد ..

إننا إن نهلك اليوم فلن تـُعبَد بعد ..

وستقوى دولة الباطل كى تشمخ بالإثم على أشلائنا ..

يا إلهى نصرك الموعود للمؤمن ! يا فتاح فتحك ! ..

إن يكن جيشهم أكبر عدداً أو عدة فالله أكبر .

(أصوات متحمسة بنداء الله أكبر ويمتلئ المسرح من بعيد بلهب أحمر هو أسوار النيران التى أقامها العرب حول بحيرة طبرية .. ونداء الله أكبر يرتفع .. ثم إظلام .. ويضاء المسرح على المعسكر الصليبى على مرتفع حيث نرى الملك جى ملك أورشليم (القدس) وأرناط أمير الكرك وعدداً من القواد الصليبيين .. وتلهف القواد على قدح من الماء يشرب أرناط منه .. وينسكب الماء على ملابسه وعلى الأرض .. بعض القواد يبل أصابعه بالماء ويضعها فى فمه . الجميع فى حالة إجهاد وتوتر وعطش بالغ) .

أرناط : الجحيمان معاً .

حر رهيب شرس يحرق الأكباد منا ، والعطش ! .

جى : كيف تستأثر بالماء ولا تسقى الرجال الظامئين

والمسيح الحى ضحَّى فى سبيل الآخرين .. !

صليبى 1 : يا أمير الكرك أنقذنا .. فهذا القيظ مهلك .

صليبى 2 : إننا نهلك فى هذا العطش .

(أرناط يرمى القدح بعيداً ويجرى إليه بعض قواده يحاول أن يستقطر القدح فى يأس) .

أرناط : لم يعد ماء ولا خمر ولا شئ ليُشرَب !

صليبى 3 : لم يعد غير لهيب وعذاب .

أرناط : ما الذى يمسكنا فوق تلال تتلظى ، ظامئين

وصلاح الدين فى حطين يروى جيشه من مائنا ؟

قسماً بالرب أن أقتحم الماء عليه

جى : لا .. فحول الماء أسوار من النيران فاصبر واحتمل

ساعة من عطش أفضل من أن يهلك الجيش بأسره

أرناط : نحن لن نبقى أذلاء هنا خلف حصار من عطش

جى : إننا فى موقع أفضل منه

إننا فوق التلال

فانتظر حتى يهاجم .

أرناط : أيها الفرسان لا يُقعِدكم جُبن الملك

غضبةً للكبرياء !

ازحفوا يا للرجال !

اتبعونى وسآتيكم برأسه

قسماً أن أذبح النسر بسيفى هكذا ...

(يشهر سيفه ويلوح به فى الفضاء)

جى : أيها المغرور لا تـُكسَب حرب بالتعالى والصلف .

أرناط : اتبعونى .. هاجموا .

جى : أشهِد الرب عليه

أنه يلقى بفرسان الصليبيين فى غور جحيم مستعر !

أرناط : اتبعونى

(يتحرك القواد وراء أرناط المندفع) .

جى : بل قفوا ، وأطيعوا إننى قائدكم !

نحن لن نعبر سور النار حتى نحترق !

والذى ينجو من النار سيغرق !

إنكم تمضون للفخ كما يسقط عصفور غرير !

أرناط : اتبعونى ، أنا أرناط الجسور !

أطفئوا غيظكم فى طبرية ..

اقذفوا بالنسر فى قاع البحيرة .

(إظلام بطئ وهم يندفعون كلهم وراء أرناط وخلفهم جى بلا حيلة .. ثم يسقط الضوء على ناحيتين من المسرح : صلاح الدين فى ناحية كأنه فى مقدمة جيش العرب .. وجى ملك أورشليم فى الناحية الأخرى كأنه على رأس الصليبيين ولكن الضوء يتركز على الرجلين وحدهما .. والحوار التالى متداخل) .

صلاح الدين : إيه يا حطين كونى قبساً من نور بدر !

جى : أدركوا أسقف عكا وصليب الصلبوت

صلاح الدين : الصليبيون لاذوا بالفرار .

جى : سقط الأسقف ميتاً .

صلاح الدين : طاردوا من فر منهم فى التلال .

أشعلوا النيران أيضاً .. أغلقوا هذا الممر .

جى : قاتلوا يا أيها الفرسان .. عين الرب لن تغفل عنكم .

صلاح الدين : يا إله العرش نصرك !
أيها الفتاح فتحك !

جى : إيه يا ريتشارد عجل بالمجئ .. !

صلاح الدين : إيه يا أقباس بدر فلتضيئى اليوم بالنصر طريق المؤمنين

جى : إننا فى مخلب النسر أما من نجدة تنقذنا ؟!

صلاح الدين : املئينا قوة يا روح بدر !
نصرك اللهم نصرك ... !

جى : أرسلوا أبراجكم قاذفة النيران يا تجار فينسيا ومرسيليا وجِنوَا
وسأعطيكم طريق الهند إن نحن نجونا .

صلاح الدين : هو ذا الجيش يفر ..
اهتفوا : الله أكبر ..
نصرك الموعود يا رباه للعبد الفقير .

جى : أدركونى . إن جيش الكرك حوصر .

كل فرسان أورشليم تهاووا .

صلاح الدين :   اضربوا كل بنان ..

امحقوا البهتان .. طوبى للشهيد .. !

جى :   إيه يا ريتشارد يا قلب الأسد !

أين وعدك ؟

صلاح الدين :   وعد الله الذى جاهد فى الله بنصره ..

اضربوا .. الله لا يخلف وعده !

جى : أين قواتك تأتى من وراء البحر كى تنقذنا .

صلاح الدين : يا إله الحق لا تخذل جنودك .

جى : (منهاراً) ضاع قواد الصليبيين فى هول الحريق .

راح فرسانى جميعاً .

كلهم أصبح ما بين جريح أو قتيل أو أسير أو غريق !!

يا أمير الكرك ماذا لو أطعت ! ..

لِمَ لم تحترم الهدنة يا هذا الأمير !

أنت ذا اليوم أسير !!

وأنا حامل التاج الذى باركه الرب ، أنا

عاهل الدولة جبار أورشليم ، أنا

ملك الزيتون والمعبد والمحراب والنور ، أنا

(ينهار باكياً)

أنا من يحرس أرض الرب أستسلم للأسر .. أسير !!

(يقرع صدره ندماً) .

صلاح الدين : ألف حمد لك يا ربى ، سميع وعلى وقدير

ألف حمد لك يا ربى نصرت اليوم جندك

(يكاد يثب فى قمة فرحه) نصر الله تعالى جنده ، الله أكبر .

(تتعالى هتافات النصر ((الله أكبر)) ثم إظلام .. إضاءة على مخيم صلاح الدين ، له باب فى الصدر . عدد من أمراء الصليبيين هم نحو أحد عشر رجلاً فيهم الملك جى وأرناط ، كلهم أسرى تبدو عليهم آثار الهزيمة ، وقد طالت لحاهم .. معهم عدد من قواد العرب على رأسهم عيسى . ملكة أورشليم (القدس) واقفة فى ثوبها الملكى وتاجها بعيداً عن الأسرى ، تروح وتجئ بعصبية ، وقد نفد صبرها) .

الملكة : ومتى يجئ إلى هنا سلطانكم ؟

عيسى : فلتستريحى ، لن يغيب .

الملكة : (بعصبية) هو لن يغيب ! .. أو .. لا .. لا .. هو لن يغيب !

ما زلت منذ أتيتُ فى هذا الصباح تقول لى هو لن يغيب . !

فمتى يجئ ؟! أفى الصباح ، أفى المساء ، أفى الغروب ؟

(تزداد عصبية) .. يوم القيامة ؟ أم متى ؟ أهو المسيح المنتظر ؟!

عيسى : (بوداعة) هو ما يزال يطوف بالأسرى الجنود وهم كثار !

الملكة : (بضيق) رباه .. والأسرى الكبار ؟

ومليك أورشليم زوجى جى ،

وكبار مملكتى أتحسبهم صغاراً كى يظلوا هكذا فى الانتظار ؟!

عيسى : سيجئ ، بالعذراء ، سوف يجئ فلتتفضلى

(يهيئ لها مكاناً للجلوس) فلتجلسى .

الملكة : ماذا ؟ أبالعذراء ؟! أنت إذن مسيحى ؟ عجيب !

ماذا ؟ مسيحى يحارب فى جيوش المسلمين !!

عيسى : أجل .

الملكة : وتحارب الجيش الصليبى المقدس ؟! كيف هذا ؟

عيسى : هم حاربونا معتدين .. وهم أساءوا للصليب .. وهم ...

الملكة : (مقاطعة) أو !! لا خطابة

لم يجئ سلطانكم .. هذا غريب !

أتراه يتركنا ويقفل عائداً لبلادكم ؟!

أتراه سار إلى دمشق أو توجه عائداً للقاهرة ؟

عيسى : بل إنه يسقى جنودكم الذين تساقطوا

أسرى كما تقع العصافير الصغيرة فى الشباك !

أرناط : (محتداً وهو يتحرك بعصبية) يسقى الجنود ؟ وتتركون أميرهم ؟!

عيسى : أرناط لا تصرخ فأنت هنا أسير لا أمير !!

أرناط : (مستعطفاً فى لهفة) قدحاً من الماء استجرتُ بكل ما قدستموه ..

بجلال عرش نبيكم .

عيسى : تعنى نبى المسلمين ؟

محمد ما كان ذا تاج وعرش !

أرناط : ماء بربك يا أخى فى الرب .. بالعذراء بالأب بالمسيح .

عيسى : ما أنت يا أرناط والدين الصحيح ؟

أعرفت ما معنى الأخوة فى رحاب الرب ؟ لا . !

بل عشت تستخفى بثوب الفاتك الغدار من خلف المسيح !

أرناط : من أنت ؟ عبد يشتريه المسلمون ! ما أنت يا هذا ؟! مسيحى يحارب ضد فرسان الصليب !!

ذنب عظيم لا تقاس به الخطايا والذنوب ..

رجل مسيحى يحارب ضد أورشليم طوعاً تحت رايات الخطاة المسلمين ؟!

عيسى : إنى لأعرف من صلاح الدين ، من هم هؤلاء المسلمون .

هم أيها السفاح أهلى الأقربون .

أرناط : يا أيها العملاء ضللكم صلاح الدين يا كل المسيحيين فى الشرق

اخسأوا

قد خنتم عهد المسيح !

عيسى : لا .. بل صلاح الدين أدنى للمسيح الحى منك ..

هو قلعة تحمى المسيحيين مثل المسلمين

أمام سفاحى الصليبيين من أمثال أرناط اللعين ! .

فلتسأل الأقباط فى وطنى تجد صوراً له فى كل دير .

الملكة : ومتى يعود إذن صلاح الدين ؟ أرسِل من يجئ به إلىّ
طال انتظارى .

(أرناط يجرى إلى القواد العرب الآخرين مستصرخاً) .

أرناط : ماء .. ألستم مسلمين ، ودينكم عطف ورحمة ؟!

عيسى : ودينـنا أيضاً كذلك كله عطف ورحمة

أرناط : (يصرخ مستعطفاً عيسى) ماء بآلام المسيح .

عيسى : أوعيتَ آلام المسيح ؟

أرناط : طبرية ملكى أنا .. أنا ها هنا ملك البحيرة .
أنا لن أموت من الظمأ .. لا تحرمونى ماءها .
(يتخبط بين القواد مستعطفاً أو مهدداً) .
ماء بربك ..
ماء وإلا (لقائد عربى) لم تعد حياً لأهلك
(ثم لآخر) هل أنت إنسان له قلب وحس ... ؟

(ثم لقائد آخر) أم أن قلبك قد غدا حجراً من الصوان ؟ أم هو

قلب وحش ؟

ماء بعرش الكرك نفسه !!

(بانهيار كامل) قدحاً من الماء القراح بكل ملكى

يا من يبادلنى هنا قدحاً بعرش !!؟

جى : هلا اعتبرت بما فعلت ؟ فإذا شربت الماء فى حطين وحدك

قد عطشت الآن وحدك !!

أرناط : (منتفضاً بكل حنقه على جى) يا أيها الملك الجبان !

الملكة : (متجهة إلى أرناط فى ضيق وازدراء) أنظر ملك الكرك ما صنعتْ

بمملكتى شجاعتك الأثيمة ؟

كم ذا جررت من البلاء على أورشليم العظيمة ..

قد هدمت المملكة !!

أرناط : (يقاطعها فى ضراعة) استشفعى سلطانهم لى مرة أخرى بربك ..

كوب ماء !

الملكة : (مستمرة) وسحقتَ زهرة ما لديها من شباب ..

أين البواسل من رجالى .. أين فرسان الصليب ؟

سقطوا بما فيهم من الشرف المهيب ..

تناثرت أشلاؤهم فوق التراب ..

وبقية الأبطال أسرى لا خلاص لهم ولا يتوقعون

سوى السيوف على الرقاب .

جى : لِمَ لم تمت من قبل حتى تستريح ونستريح ؟

يا ليتها ما استشفعت لك ! ليتها لم تعفُ عنك . (مشيراً للملكة) .

الملكة : لولا شفاعة إيزابيل .. ونوبة المرض اللعين لما نجوت !!

أرناط : من ذا إذن يحمى لكم شرف المسيح ؟

الملكة : أأنت ؟ ما لك والمسيح وأنت من صلب المسيح ؟

وجعلت من قبر المسيح مغارة تؤوى اللصوص .

أرناط : فلترحمينى .. كوب ماء .

الملكة : (مستمرة) وأهنت آلام المسيح .

أرناط : ماء بربك ! ..

الملكة : (مستمرة) يا من جعلت من الصليب مظلة تخفى فجورك عن عيون الأتقياء

وأنت تنتهك العذارى والنساء

وأنت تزرى بالمهابة والجلال .

أرناط : أنا ما انتهكت وما اغتصبت .. سَلِى شقيقتك الصغيرة إيزابيل !

الملكة : (مستمرة بازدراء أعمق) يا من تبيع دم المسيح ..

ضفرت تاج الشوك فوق جبينه الضاحى بألسنة الأفاعى .

ورميت أسلاب الشهيد إلى الكلاب ولم تراع ..

وصنعت من حبات دمع الرب عقداً للبغى ..

مت حيث أنت من الظمأ .

كم ذا شربت دم الضحايا الأبرياء ..

مت حيث أنت فلا نجاة لكل أتباع المسيح وأنت حى ..

مت حيث أنت فلا سُقِيتَ سوى دمك !!

أرناط : يا أيها الكفار .. أين الماء ؟ ماء ويحكم

لو أن سيفى فى يدى لذبحتكم

وقطعت رأس كبيركم وشربت فيض دمائكم .

(صلاح الدين يدخل وحده وأرناط يصرخ فى وجه القواد العرب .. لا ينتبه لدخوله أحد .. وهو هكذا دائماً يتحرك بلا ضجيج ولا مواكب عندما يكون بين رجاله وأهله .. ينشغل بالحديث مع قواده) .

جى : لِمَ أنت وحدك تطلق الصرخات كالذئب الجريح وكلنا يشكو الظمأ ؟

صلاح الدين : أفلم يشرب الأسرى هنا ؟

عيسى : لم نسقهم .

صلاح الدين :   لم تسقهم ؟ . أجننت يا عيسى ؟

(ثم لقواده)

هيا .. فلتحضروا الماء المثلج واخلطوه بماء ورد .

أنزعتم الإيمان من أعماقكم كى تتركوا الأسرى ظِماء ؟

الله فى الأسرى احفظوا حق الأسير وأكرموه .

(يخرج بعض رجال صلاح الدين) .

عيسى :   (ضاحكاً) إكرامهم هو قتلهم ..

هم هكذا صنعوا بأسرانا .. أتنسى ؟

الملكة : لا يقتل الراعى القطيع ..

فإن تجبَّر لا يكلمه يسوع .

صلاح الدين :   من ذى ؟! مليكة أورشليم .. شـُغِلتُ بالأسرى فمعذرةً إليكِ ..

أهلاً بصاحبة الجلالة مرحباً ..

لِمَ جئت فى الأسرى ؟ أكنتِ تحاربين !!

الملكة : بل جئت أطلب هدنة أخرى وأبحث فى شروطك .

أرناط : كدنا نموت من الظمأ ..

أتميتنا صبراً وجوعاً يا أمير المسلمين ؟

صلاح الدين : من أنت ؟ من ؟

عيسى : من غير أرناط اللعين ؟

أرناط : أنا فارس .. وأنا ، أمير الكرك لى حق عليكم .

لو أننا عدنا إلى حطين ألفى مرة لسحقتكم فى كل مرة .

صلاح الدين :   أتعد نفسك فارساً بين البواسل ؟ .

ما أنت إلا فاتك لص تعلم كيف يقتل غيلة .. لا أن يقاتل

أرناط : أنا فارس يحمى تعاليم المسيح فلا تـُهِنى .

صلاح الدين : أعرفت ما معنى تعاليم المسيح ؟!

ويل لأولاد الأفاعى عندما يأتى العذاب !

من يجعلون الهيكل القدسى وكراً للذئاب ..

من يسرقون الناس تحت شعار تكفير الذنوب !

عيسى : من يسلبون ضعافهم ما يملكون أمام تمثال المسيح !

أرناط : الماء .. أين الماء ؟! ما جئنا لنستمع المواعظ ها هنا .

عيسى : (ضاحكاً) بل جئت مدعواً لحفل كى تراقص من تشاء من النساء ! .

ماذا تريد من الشراب أو الطعام ؟!

أرناط : يا أيها العربى لا تسخر بفرسان المسيح .

عيسى : ما أنت ويحك والمسيح ..

ويل لأتباع المسيح عَدَوا على ميراثه ليلطخوه .

صلاح الدين : إن المسيح هو السماحة والنبالة والعلو عن الصغار ..

هو الارتفاع عن الأنانية الكريهة والسمو على الذنوب ..

وهو التطهر ..

أن يكون زمام أمر الناس لا لبطونهم بل للقلوب .

إن المسيح هو التفانى كى يعيش الآخرون

وليس نـهب الآخرين !

عانى المسيح لكى يعيش النـاس فى كنف المحبة والأخوة والسلام .

عيسى : لا شئ أبغض للمسيح من انتـهاك الحق .. أخذك ما لغيرك !

صلاح الدين : (لأرنـاط) أتعد نفسك فارساً يحمى المسيح وكم قتلت وكم نـهبت ؟

ما أنت إلا وصمة سوداء فى وجه الحياة

لأنت عار للصليب .

(يدخل رجل بإبريق كبير من الماء ، ومعه أقداح . صلاح الدين يتنـاول الإبريق أولاً .)

الملكة : مجّدتَ سيدنـا المسيح وأنت منتصر علينـا .. ما أجلك !

الملك : طوبى لمثلك .. ما أجلك أيـها الملك العظيم !

(أحد الرجال يبدأ فى صب المـاء فى الأقداح .. صبه الآن فى أول قدح)

صلاح الدين : (يتنـاول القدح) إنى سأشرب قبلكم كى تطمئنوا ..

(يشرب جرعة ثم يضحك)

لا سم فيه .. (يعطى القدح لجى) اشرب هنيئاً دون خوف .

الملكة : (شبه هامسة لجى مسرورة) . وإذن ستسلم أيها الزوج العزيز ..

فالعرف عندهم إذا ما هم سقوا أو أطعموا

أحداً فقد ضمنوا له كل السلامة ، والأمان .

(أرناط يختطف القدح من جى ويشرب متلهفاً) .

صلاح الدين : إن هذا يشرب الماء اغتصاباً ..

إنه يشرب مائى دون إذنى .. فهو لا يضمن أمنى

(يشهر سيفه) .

أرناط : إننى أعزل .. لا يُقتل أعزل .

صلاح الدين : كم من العُزل قتلت ؟ .

أنا لو حاسبت هذا اللص عما اقترفت يمناه ،

عن صرعاه لم يشفِ صدور الناس فيه ألف قتلة !

(ثم لرجاله) أرجعوا السيف إليه !

(عيسى يعيد سيف أرناط إليه) .

الملكة : يا أيها السلطان .. لا ! . لا تبارزه فهذا غادر ليس يُبارَز .

جى : (فى ذعر) إنه قاتلنا .. قاتلنا ..

لعنة الله على أرناط قد ضيعنا .

صلاح الدين : (لأرناط) احترس .

أرناط : لك شكرى .. أنت ذا تمنحنى الفرصة كى أوفى بالنذر ، ونذرى

قطع رأسك !

(مبارزة سريعة جداً .. ثم يتراجع أمير الكرك إلى باب الصدر .. وصلاح الدين يدفعه فى أثناء المبارزة الخاطفة حتى يختفيا)

الملكة : لعن الله أمير الكرك قد ضيعنا ..

(صرخة أرناط من الخارج وصوت سقوط جسمه) .

جى : (فى ذعر) إنه قاتلنا .. قاتلنا ..

(حالة ذعر بين الأسرى الآخرين ورجال صلاح الدين يطوفون عليهم بأقداح الماء .)

الملكة : لا تخف .. إننى أدرى بأخلاق العرب .

عيسى : (للأسرى الآخرين) اهدأوا ..
فصلاح الدين لا يفتك بالأسرى ولكن أمير الكرك مجرم .

الملكة : وهو سفاح أثيم كاذب لا عهد له !

(يدخل صلاح الدين وهو يغمد سيفه) .

صلاح الدين : أرسلوا جثته للكرك .. لكن عوّضوا أرملته .

الملكة : (لنفسها وهى تنظر بتقدير لصلاح الدين)
إيه ما أعظم هذا كله
ما أنبله !

جى : (فى اضطراب) ثم ؟ . ماذا ؟ أنت ! . نحن ؟ الآن يا مولاى ..

صلاح الدين : (بسماحة) تعال اجلس بجنبى ها هنا .

(جى يجلس بجانب صلاح الدين .. جى قد هدأ وإن كان ما يزال متوجساً) .

جى : ما شروط الملك المنتصر ؟ ..

المهزوم لا يملك إلا أن يطيع .

أملِ شرطك .

صلاح الدين : لا تقل هذا .. معاذ الله ، ما يبطرنا أن ننتصر ..

إنما النصر من الله وكلٌ بقدر !

الملكة : أنت حاربت كأبطال الأساطير كفرسان الخرافات ..

قد شهدتُ الحرب عن بُعدٍ وفرسانى الصناديد يخرون أمامك !

صلاح الدين : قد فرضتم هذه الحرب علينا .

الملكة : إننى أنشد صلحاً دائماً .

صلاح الدين : فأعيدوا ما سلبتم يَعِش الكل سعيداً فى سلام ..

هكذا نفرغ للعمران والحرث وإسعاد الرعية .

جى : نحن أصحاب حضارات غنية

الملكة : فلماذا ينبغى أن نتحارب ؟

جى : إننى أطمع فى أن نتقارب .

صلاح الدين : ليتنا .. ليس من شيَّد قصراً مثل من يحفر قبراً ..
فليكن شغلنا الشاغل إثراء حياة الناس لا تحسين آلات الدمار .

الملكة : فلنوفر كل هذا الجهد والمال وهذا الدم .. فلنعمل جميعاً للحياة ..
إن هذا هو ما يأمرنا الرب به .

جى : ما عسى تصنع بالأسرى ؟

صلاح الدين : ما عساكم تحسبون ؟

جى : إننى أنشد عدلك !

صلاح الدين : أتريد العدل حقاً ؟!
فأذكروا كم ذا قتلتم من رجال ونساء وصغار .
أذكروا كم ذا استبحتم من حُرَم ؟!

جى : (منهاراً) يا يسوع !! فهو الموت وهتك العِرض والرق إذن !

الملكة : ثقتى فى نبل غيرى هى إيمانى المسيحى الصحيح .

صلاح الدين : نحن لا نجزى على سيئة سيئة بالمثل لا ..

ستقيمون ضيوفاً ريثما نبلغ بالحرب السلام .

عيسى : (متداخلاً) نحن لسنا مثلكم !!

الملكة : وشروط الصلح .. شرط المنتصر ؟!

صلاح الدين : نحن لا نفرض شرط المنتصر .

الملكة : أى شرط لك مقبول ولن أجحد فضلك

صلاح الدين : نحن لا نطلب إلا حقنا .. فلتعيدوا أرضنا .. أرجعوا القدس الشريف .

الملكة : (كالمأخوذة) كيف هذا أيها السلطان ؟! كيف ؟!

كل شرط لك مقبول .. ولكن .. أورشليم ؟!

جى : يا إلهى يستحيل !!

صلاح الدين : ما الذى يجعل هذا مستحيلاً ؟!

الملك :   إنها ليست لكم ..

هى فى أيدى الصليبيين من قرن بأسره !!

صلاح الدين :   إن الغزو مهما يطل الدهر به

فهو لن ينشئ حقاً للذى لا حق له .

إنه لن يجعل الباطل حقاً !

الملكة : (بإخلاص) إن أورشليم حقى .. ليس هذا باطلاً ..

هى ليست حقكم !

صلاح الدين : هو حق مغتصب

الملكة : أأنا أرضى بغصب ؟ إننى لا أغتصب ؟

صلاح الدين :   أنظرى فى صحف التاريخ يا سيدتى

تجدى القدس الشريف القبلة الأولى لنا ، وبها مسرى الرسول ..

أنظرى فى القدس اليوم .. أنظرى فى أهلها

كل من فيها وما فيها عرب .

الملكة : أتحب العدل ؟

صلاح الدين : حقاً .

الملكة : أيرى عدلك أن أنزل عن عرشى من أجل سلامك ؟

جى : إننا نعمل من أجل سلام دائم فلنتقارب .

صلاح الدين : فى غياب العدل لا يُرجَى سلام ..

فإذا لم يقم السلم على العدل فقد أصبح سلماً قلقاً بل جائراً

بل هو الظلم بعينه .

الملكة : وإذن لا تسلبوا الحق ذويه .

صلاح الدين : إننا نحن ذووه ..

الديانات تعايشن معاً فى القدس .. فلنحيا معاً ..

إنه خير من الموت معاً ..

اسألوا التاريخ والتاريخ صادق !

الملكة : ليس فى عالمنا هذا مسيحى يوافق .

عيسى : لِمَ لا .. نحن المسيحيين فى الشرق نعانى

ما نعانيه لكى نسترجع القدس لنا نحن العرب .

جى : إنكم لستم صليبيين .. لكنكم .. (يتلعثم)

الملكة : أنتم عرب

عيسى : فهو غرب .. وعرب !

الملكة : أنا لن أنزل عن ملكى وإن مت على سور أورشليم شهيدة .

صلاح الدين : فهى الحرب إذن !!

قسماً أن أسترد القدس بالسيف وإن كلفنى هذا حياتى ..

حبذا الميتة موت الشهداء .

(الملكة تشعر بإعياء مفاجئ يكاد يغمى عليها .. صلاح الدين يمسك بيدها كأنه يمتحن النبض ثم يسرع فيحضر قنينة) .

صلاح الدين : الملكة متعبة القلب ..

(يسقيها جرعة من القنينة) .

جى : أأنت طبيب يا سلطان ؟

صلاح الدين : أحياناً أتعاطى الطب أو الكيمياء .

جى : لم ينفعها كل الطب الأوربى !

صلاح الدين : بإذن الله سينفعها الطب العربى .

الملكة : أشعر بالعافية الآن ..

بنشاط كحُمَيَّا الخمر الجيد دب بأوصالى .

صلاح الدين : حمداً لله .

جى : ما هذا طب ، هذا سحر يا سلطان

صلاح الدين : (ضاحكاً) هذا إكسير لا يعرفه غير العرب .

سأرسل للملكة منه ..

فتعاطيه وقت الأزمة يصبح قلبك يا سيدتى قلب الأسد .

(ثم ضاحكاً) أو أنثاه وهى الأقوى !

الملكة : هذه الحرب إذا شبت فلن يطفئها طوفان دم .

صلاح الدين : استريحى الآن ، لا بأس عليك .

الملكة : أنت لا تعرف ما يجرى وراء البحر من هول رهيب مضطرم .

صلاح الدين : (مقاطعاً) فليكن ما قدر الله علينا أن يكون .

الملك : أنت لا تعرف ماذا يحشدون .

صلاح الدين : كل ما يبذله الحر لكى يستخلص الحق يهون .

الملكة : أيها السلطان لا تعجل ودع ما أنت فيه .

الملك : فلتفكر فى سلام مطمئن ، قبل أن يأتى يوم ....

صلاح الدين : (مقاطعاً بانفعال) أترانا نشترى بالذل والقهر السلام ..

أم ترانا نعلك الغيظ ونستطعمه علك المطايا للجام ..

قد صبرنا فوق ما يحتمل الصبر وفى القلب السعير .

فإلامَ الصبر والقدس جريح يستجير .

الملكة : أنا لا أنذر ، لكن أيها السلطان فكر .. ثم فكر من جديد ..

إن من يجسر على غزو أورشليم كمن يدخل آجام لباء وأسود

صلاح الدين : قلما تـُغلـَب فى الجو النسور .

الملك : فلتفكر .. إن ما ننتظر الآن من الغرب لقوات كِثاف

مثل مد البحر إذ تهبط فى أرض تمور .

الملكة : ثم آلات من التدمير لم يسمع بها من قبل عصر .

صلاح الدين :   إننا نعرف أن الله لا يخذل من ينصره ،

إننا نؤمن بالله ، بنصر الله ، والفتح القريب .

(إظلام ثم إضاءة على رجال خيال الظل يقيمون الشاشة وكوكب تتحرك بالدف فى الساحة التى رأيناها فى المنظر الأول من المسرحية غير أن البيوت عليها آثار ترميم وحرائق .. يتدافع رجال من الحارات . بعض الرجال يقودهم الحمّار وهو يلبس قناعاً)

كوكب : يا عشاق خيال الظل تعالوا الآن ، الآن سنلعب .

الحمَّار :   (تحت قناع يروح ويجئ) تعالوا يا أهل الحارات .. يا من

تطربه الكلمات ..

هى ذى كوكب .. أهلاً كوكب .

كوكب : أهلاً بكم أهلاً أهلاً ..

(تتأملهم فى دهشة) ولكن أين نساؤكم ..

أين الصبية والفتيات وهم عشاق خيال الظل !؟

الحمَّار : ما من أحد منهم يجسر يا كوكب أن يخرج ليلاً ..
فالخطافون السراقون قد انتشروا فى كل مكان ..
وهذا من حزم السلطان !

كوكب : مصر المحروسة ليس تضام ..
(تنظر فى الرجال الواجمين بلا حماس لشئ)
هيه .. تصفيق (صمت) أنِيامٌ أنتم .. هيه .. تصفيق
(صمت) كيف أشخـِّـص يا ويحى قدام نيام ..
إليكم قصة فارسة حررت الأرض العربية

الحمَّار : حررت الأرض العربية ؟! .. ها .. ها .. هع .. ذاك نفاق
للسلطان ..
ما من فارسة تغزو

كوكب : (منصرفة عنهم إلى مداخل الحارات)
يا عشاق الكلمات الصادقة تعالوا
ها هى ذى كوكب ستشخص .. قولوا ماذا يعجبكم ؟
هل يوحنا مع سالومى أم قصة عنترة وعبلة

الحمَّار : (بقناع آخر وهو يغير صوته) ماذا يعنينا من هذا ؟

قولى شيئاً عن مأساة الفرد الجائع فى مصر المحروسة قولى ..

أفلا شخصتِ لنا يا كوكب قصص غلاء القوت هنا .. قصص ثراء

المحظوظين وقد أثروا

فى غفلة مولانا السلطان ؟!

كوكب : لا يدفع أحد منكم إلا الدرهم .. هيا .. هيا ..

يا أهل الحارات تعالوا .. أنا ذى كوكب سأشخِّص ..

الحمَّار : (بقناع آخر) من يملك مالاً .. من يمكن أن يخرج ليلاً

يفضّل حانات البـِركة ..

لكى يستمتع بالغلمان ومشهد عارية ترقص !

وهذا الفحش .. معاذ الله .. بل أعنى تلك البَرَكة ..

تصنعها تقوى السلطان !

كوكب : (متفجرة) تقوى السلطان وغفلة مولانا السلطان ..

ماذا تضمر للسلطان ؟

ألا تدرى أن السلطان يخوض الآن

حرب التحرير الكبرى .

يعيش على صهوات الخيل صباح مساء

فماذا تعنى يا من تحيا فى دارك !

الحمَّار : يعيش على صهوات الخيل صباح مساء ؟! ..

وبماذا انتفع الفقراء !؟ (ضاحكاً)

كوكب : اخلع عنك قناعك هذا ، اكشف عن وجهك ..

الحمَّار : أنا يا أنتِ ضمير الصدق .. وصوت الحق !

الرجال : (من أتباع الحمار) ، هذا حق هذا حق .

كوكب : أعاد لهذا العصر ضمير ؟!

الحمار : (بقناع آخر) ما عاد خيال الظل يثير .

فهو بعيد عن آلامى يعرض ما لا يعنينى .. فهو إذن تزييف

لا يخدم حقى

ويُجَرِّعنى مُر الصبر وذل الصمت

وهو يزين لى الإذعان !! .

يسقينى عجز السلطان ..

كوكب : عجز السلطان ؟!

الحمَّار : اجتر الناس الصبر طويلاً حتى ضجوا ، وشكا الصبر ..

وهذا من حق السلطان ..

ما جدوى أن يفتح أرضاً ويحررها

ورعاياه عبيد الحاجة !؟

لا حرية للجوعان ! وهذا من بطش السلطان !!

أصوات : هذا حق .. هذا حق

الحمَّار : (بقناع آخر) فاستمعوا لنصيحة شيخ عرك الدهر ..

كوكب : يا ذا الأقنعة المتعددة أغرب ، أغرب أو فلتسفر عن وجهك

(تنزع قناعه) أنت الحمار الحشاش ؟ إذن هو ذا أنت ؟!

الحمار ؟! .. حمّار عليش .. أين عليش ؟ .

الحمَّار : ذهب إلى سلطان المغرب

شح القوت هنا يا كوكب

كوكب : هذا حق .. لكن من ذا صنع الفاقة

الحمَّار : لم تصنعها غير الحرب !! .. أطماع السلطان بأن يصبح ....

كوكب : كلا .. كلا .. يا كذاب ! .. بل صنعتها خستكم !

رجل آخر : فلنسمع كلمات معلمنا محمود .. قولى يا كوكب

كوكب : (تخاطب الفضاء مندفعة)

يا مولاى صلاح الدين .

ارجع لبلادك كى تصلحها

فكر فى أسلوب آخر يا مولاى

تسوس به أمر الدولة ..

اسمع كلمات خيال الظل ..

آخر ما أبدع محمود من عامين

(وراء الشاشة يرتفع صوت كوكب ويتداخل معها أحياناً صوت محمود)

كوكب : كلا يا مولاى الحاكم .. فكر .. فكر إذ تختار

إنك تحمل مسئولية أن ترعى الخضرة فى الدنيا .

أو أن تشعل فيها النار ..

أن يبتسم أديم الأرض

أو يتفجر نهر الدمع وتغشى الأرض سموم البغض !

محمود :   أن يمتلئ الأفق الساجى بالأنغام وبالأنسام وعطر الحب

أو أن تسرى ريح الموت تصب الرعب وتدمى القلب

وتجعل همس الليل الفاجع رنة ولولة الأيتام !!

كوكب : فكر فكر إذ تختار ..

فكل خيار فى الدنيا لا يعنى غير من اختاره ..

إلا أن خيار الحاكم لا يعنى غير الأمة

محمود : وهنا يتغير معنى العدل ومعنى الرحمة .. وعلى الحاكم أن يحزم

عليه أن ينظر فى الأمر

بما تستوجبه مصلحة جموع الشعب ..

ويصالح فى حسم مشروع بين عدالته والرحمة

فلا يهمل أعداء الداخل كى يسحق أعداء الخارج

فما جدوى أن تحمى بيتك من مغتصب والغربان تنوش صغارك !

كوكب : ما جدوى تحرير الأرض من الأعداء ؟ ..

أليس لكى يأمن شعبك !! ..

الظلم سواء ..

محمود : لا بل ظلم ذوى القربى أقسى من ظلم الغرباء !!

إن القهر بلا جنسية

ما ظلم الغرباء سوى قانون طبيعتنا البشرية ..

وهو يثير مقاومتى من غور العمق

ويجمع شملى المتفرق ..

كوكب : وأما ظلم ذوى القربى .. فهو زرى وممزق !

يشعل نيران الأحقاد

ويخرج الإنسان الطيب عن قانون طبيعته

فإذا بالناس وقد صاروا مثل وحوش فى غابة

أصوات : مرحى .. مرحى يا كوكب

(إظلام وموسيقى أندلسية خافتة .. ثم إضاءة على قاعة قصر أمير المغرب . وهو عصبى متقلب المزاج ، سريع الحركة ، معه محمود فى ملابس قائد مصرى وهما فى سن متقاربة .. وتنتهى الموسيقى عند بدء الحديث ، فى خلفية المسرح تدور أحياناً مناظر صامتة خلال الحديث .. تتناقض مع ما يقوله أمير المغرب .. وتعبر عما يحدث فى بلاده .. وعن حالة الشعب هناك .. هذه المناظر يمكن أن تنفذ بالفانوس السحرى أو بالسينما أو بخيال الظل أو تنفيذاً حياً من خلف ستار شفاف .. على يمين القاعة باب عليه حارسان بحربتين متشابكتين ، هنا وهناك لمسات من الطراز الأندلسى فى العمارة والأثاث .. الفخامة واضحة .. أقبية مظلمة بين أعمدة .. ستائر يمكن التلصص من ورائها ، شئ ما غير مطمئن فالجو يوحى بالدسائس ، ويثر قلق محمود أحياناً . فى صدر القاعة شرفة واسعة تطل على البحر ، تحت الأقبية يتحرك قواد ثلاثة بالحراب من حين لآخر ، وأحياناً يطل وجه من وراء ستار ، محمود فى حالة ضيق من ثرثرة الأمير وتنقله بالحديث بين موضوعات شتى) .

محمود : (بنبرة فيها رجاء) يا أمير المغرب العالى المقام ..

الأمير : إن هذا القصر للدولة أستقبل فيه السفراء

فحياتى كلها زهد كما كانت حياة الخلفاء الراشدين

(يلكز محمود) مسكنى الخيمة يا محمود من دون أثاث أو رياش ..

(يلكزه مرة أخرى) أنت ذا أصبحت من قواد مصر !

محمود : (متحملاً بضيق) يا أمير المغرب الوقت يمر ..

أفما يبلغ أذنيك نحيب القدس واستصراخه

يطلب النجدة من كل العرب ؟

أنت لا تعرف كم ذا أصبح الموقف صعباً فاستجب .

كل شئ ينتظر .

الأمير : (يلكزه) إننى وحدى الذى طبقتُ حكم الشرع حتى صرتُ مثل الخلفاء الراشدين

(يتحرك فجأة) ولهذا أمِنَ الناس لدينا

واستقر العدل فى كل مكان .

(فى الخلفية تتتابع مناظر لرجال يجلدون فلاحين وهم ينحنون على الأرض بالفؤوس ، أثرياء يملأون الأكياس بالذهب ، طعنات خناجر فى الظهر .. نهب وقتل .. أطفال ينبشون الأرض والقمامات بحثاً عن طعام .. كل المناظر تدور سريعة منذ بدأ كلام الأمير) .

محمود : انتظرنا نحو شهرين ولكن لم ترد ،

وبعثنا نحو عشرين من الزاجل لكن لم تعد .

الأمير : قد ذبحنا كل هاتيك الحمامات الزواجل !

أنا لا أجزى بغير الذبح من يحمل إزراء علينا

محمود : هل صلاح الدين من يزرى عليك !؟

الأمير : لم يخاطبنى بما يجمل بى ..

لم يقل لى يا أمير المؤمنين .

محمود :   ثم ما ذنب الحمامات ؟! .. أتدرى

كم من المجهود والأموال نحتاج لتدريب حمامة ؟

الأمير : قد تجاسرن على حمل الإهانات التى وجهها مولاك فى تلك الرسائل ..

ولهذا عوقبت بالذبح !

(يمشى مسرعاً ثم كأنه ينقض)

حاربوا يا جبناء ! . ما الذى تنتظرون ؟

محمود : ولهذا جئت أستنفر ، فانهض للجهاد ،

أذِن الله بتحرير القدس ...

الأمير : تحت رايات صلاح الدين ؟ ما هذا جهاد ؟!

إنه أكثرَ فى مصر الفساد .

محمود : يا أمير المغرب العالى المقام .. ؟!

الأمير : إنه يسمح للنسوة فى مصر بأن يسفرن عن زينتهن !
وبأن يغشين دور العلم .. أن يعملن حتى فى التجارة !

محمود : (فى ضيق) يا أخى بالله لا تجنح لموضوع جديد
(يربت عليه كأنه طفل)
ليس هذا هو ما يشغلنا الساعة .. فانهض للجهاد
يا أمير المغرب العالى المقام .

الأمير : (مستمراً) وبأن يذهبن للحرب يطببن الرجال !
ولهذا امتلأت مصر فجوراً .

محمود : أنا أرجوك .. بربك !

الأمير : أنظر النسوة عندى ..

(تتتابع مناظر فساد .. نساء محجبات يرقصن شبه عاريات ورجال ينقدونهن أكياس نقود ويسحبونهن) .

محمود : ما لنا نحن وهذا يا أمير المغرب .. الموقف صعب !

(ثم منفجراً) لعن الله النساء !

الأمير : (مقاطعاً ويلكزه بحدة) ها هنا النسوة يحيين جميعاً

قانتات ضارعات مؤمنات خاشعات ..

محمود : أفلا ترحم جنبى ؟! .. أنا فى جاه النبى !

الأمير : (مسترسلاً) راكعات ضاربات بالحجب ،

العلاقات هنا شرعية ..

دامت العِشرة أم لم تدم العشرة إلا لحظات ..

(ثم يلكز محمود بشدة ومحمود يبتعد) .

محمود : أيها الإسلام كم يقترف الناس من الفحشاء باسمك !

(ثم محتداً)

يا أمير المغرب انهض للجهاد ..

إنما الموقف لا يحتمل الآن سوى وحدتنا .

الأمير : هو ما شاورنى فى الأمر حتى أنصحه

(يتابع محموداً ويلكزه لكزاً أشد)

محمود : أنت قد أوجعت من لكزك جنبى ..

أوَ ما زلت كما كنت قديماً حين جاورتك فى الأزهر ما تفتأ تلكز ؟!

الأمير : (يضحك بهستيرية) لم تزل تذكر هذا ؟!

لم أعد أوجع جيرانى .

محمود : فمتى يأمن جيرانك حقاً ؟

(ثم فى شبه ضراعة وتلطف كأنه يعامل طفلاً صغيراً)

أرسِل كل ما تقوى عليه من مؤن .

الأمير : (مقاطعاً ليتحدث فى موضوع مختلف)

إننى أسست فى المغرب

يا محمود آلاف المكاتب .

ثم قل عشرين من خير الجوامع ..

وسيغدو بعضها أعلى من الأزهر شأناً

هكذا نعلو ولا تعلو علينا مصر .. لا ترتفع !

محمود : (يحاول أن يقاطع بلا جدوى ليتحدث فيما هو أهم ويفلح فى النهاية)

يا أمير المغرب العالى المقام

أرسِل الجيش إلى القدس فأوربا جميعاً تحتشد .

الأمير : بعدما ضيَّعنا حُمق صلاح الدين ؟ قد فات الأوان ..

إنه يحشدنا من خلفه كى نصنع الأمجاد له .

محمود : بل لتحرير القدس ...

الأمير : إنه ينحاز ضدى لرجال ما لهم بعض ثرائى .

هو لن يفلح فى الحرب .. أنا أنذركم

وغداً تسحق أوربا جيوش المسلمين ..

نسره الأحمر قد هاض جناحاه فما يقوى على التحليق بعد

إنه منهزم منهزم !

محمود : بل منتصر

الأمير : ثم ماذا ؟ إنه قد قبل الهدنة يوماً !!

قبل الهدنة قهراً ! .

ثم ماذا ؟ نقض الهدنة غدراً ؟!

ثم ماذا .. ؟ فاوض الكفار جُبناً ..

إنه مرغ فى الوحل الذى انهار إليه شرف الإسلام كله ..

إنه صفـَّى القضية

محمود : قسماً بالله لا

الأمير : (مستمراً) وتمادى فى الحلول التصفوية

محمود : كيف ؟! لا

الأمير : وتراخى بالخطوط الوحدوية ..

إننى أعرف أسرار غرامياته .. إننى أعرف عن صاحبة القدس وعنه ،

إننى أعرف ما لو أننى أنشر بعضه

محمود : حسبك

أهو بركان وساخات تفجّر ؟

الأمير : (مستمراً) قسماً بالله لن يغمض جفنه

(ويلكز محمود) أجهاد أم تفاوض ؟!

هو لم تنفعل الثورة فى أعماقه بانعكاسات التحامات الشعوب

محمود : (متلطفاً) يا أمير المغرب العالى المقام !

الأمير : (غاضباً) إننى أدعَى أمير المؤمنين .

محمود :   إن هذا لقبٌ لا يُطلَب ..

إنه حق لمن جاهد فى الله ، ومن يرأب من صدع العرب .

الأمير : إنه حق صلاح الدين !! من جر علينا كل هذا العار ،

من صدَّع صف المسلمين !!

محمود : لم أقل هذا وما فكر فى هذا أحد !

الأمير : ذلك المهزوم فى كل المعارك

محمود :   إنه لم ينهزم ..

فتذكر نصر حطين وما يعنيه ، وأذكر أنه نصر عزيز

بدء تاريخ جديد للعرب .

إنه قوّض أركان الصليبيين فى الشرق ، فسَلهم

إنهم لن ينكروا

الأمير : لا !! كفى !! إن حطين خيانة

محمود :   يا إلهى كيف يلوى كل شئ ؟!

إنها نفحة بدر ..

وهى فى أمتنا الآن كبدر فى حياة المؤمنين .

الأمير : (صارخاً) إن هذا لــَهُوَ الكفر المبين ..

أجعلتم من صلاح الدين نداً لرسول الله خير المرسلين ؟!

أدركونى بعليش ..

(كان عليش قد أطل مرة من وراء الستار فيأتى مسرعاً من ركن مظلم)

عليش : أنا ذا بين يديكم يا أمير المؤمنين

الأمير : أفتِنا فى أمر من هوَّن من شأن الرسول ؟

إننى أفتى بكفره

عليش : سيدى اهدأ ، كل ما دار سمعته

محمود : كيف حال العيش فى المغرب يا عم عليش ؟ .

كيف سارت بك دنياك هنا ؟

عليش : أنا علــَّمتُ كما تعرف فوق المائتين .

محمود : فى اقتدار واحتشام وكمال وأنا أشهد لك ...

عليش : بعد أن صودر قصرى وضياعى جئت للمغرب ضيفاً

(يتنهد) أحمد الله إلى مولاى آوانى وآوى ابنى الحسن

الأمير : أفتِنا دون نفاق ..

أفتنا فى أمر محمود بما نعهده فيك من التقوى ومن حسن النظر .

أنت يا عـَّلامة العصر ترى أن محموداً كفر !

عليش : ليس محمود جهولاً إنه من أفقه الناس بمصر

الأمير : ولهذا ما له فى الكفر عذر

عليش : (متحايلاً) ليس هذا أمر محمود إذا شبَّه حطيناً ببدر ..

الفتى يعمل بالقول الكريم :

فى رسول الله أسوة .

الأمير : (لمحمود) قد عفونا عنك فاذهب بسلام !

هكذا يخذلنى عـَّلامة العصر ، ولكن (لعليش) ألف شكر ..

لستُ مضطراً إلى قتل صديق كان من خيرة أصحاب الصبا ..

حين كانت لى الليالى ملعباً والمعالى مطلباً ..

حين كان الأزهر المعمور أماً وأباً .

(لمحمود) أم ترى ُأنسِيتَ ذاك العهد مذ أصبحت فى ركب

صلاح الدين ضدى يا فتى ؟!

محمود : (منفجراً وقد ذهب صبره)

فيم تحدثنى والغرب يُجَيِّش بمئات الآلاف .

ويحشد من أدوات الفتك ما لم نعرفه من قبل :

أبراجاً تقذف باللهب

وما من شئ يمنعها .. وليس لدينا النفط اللازم كى نحرقها !؟

الجيش هنالك ينتظرك !

القدس الأشرف ينتظرك !

الأمير : تحت لواء النسر الأحمر ؟! تحت بنود صلاح الدين ؟!

محمود : مكانك محفوظ فى الصف ، فلتشغله

يصبح هذا الصف وطيداً مثل البنيان المرصوص .

الأمير : أترانى أقف كجندى فى الصف ؟!

لستُ كغيرى من أمراء العرب الجهلة .

محمود : تقدم أنت لكى تسترجع بيت المقدس

فإذا استـُرجـِع بايعناك ـ بحق ـ سلطاناً للعالم !!

الأمير : أنا أزهدكم فى السلطان ! أتهزأ بى ؟

محمود : (حائراً) بحق أخوتك العربية ،
عجِّل عجِّل
أرسِل بعض عساكر جيشك أرسِل مؤناً وذخائر ..
أرسِل للمشرق نفطاً .

الأمير : أرسلتُ لكم نفطاً من قبل فكيف نفد
أشربتم نفطى ؟! لا .. لا نفط لكم عندى .

محمود : إن لم يمنح المغرب العربى لمشرقه النجدة
والعون الكامل والعاجل ..
كما فعل الغرب الكـَنـَسِىّ بمشرقه ...

الأمير : (مقاطعاً) أجئتَ تعلمنا واجبنا ؟!
نحن هنا أكثر مالاً .. نحن أعز هنا نفرا .

محمود : إن غلبونا فهى القاصمة القاضية
ولا منجاة لعربى فى الشرق ولا فى هذا المغرب
لن يعصمك قعودك هذا أو قذفك للإخوة زوراً .

الأمير : (فجأة) انتهت الجلسة ..

(يمشى بسرعة ناحية الصدر وينظر إلى البحر)

محمود : أساطيل الغرب الهائلة تشق الآن عباب البحر
إلينا تحت قيادة ريتشارد الجبار المتغطرس .

(محمود يتابعه والأمير يعطيه ظهره) .

الأمير : (ضاحكاً) معركة ممتعة حقاً بين النسر وقلب الأسد ..
فمن يَفترس ومن يُفترَس .

عليش : خفىّ الألطاف ألطف بى ..
ارعَ بفضلك يا ربى فلذات عليش ..
ثلاثة أولاد فى الجيش ..
وأخى أيضاً !

محمود : (يتابع الأمير مستمراً)
أساطيل الأعداء أمام شواطئك .. امنعها .. امنعها
لا تتركها تمضِ إلينا سالمة إذ ....

الأمير : أنا أعرف ما يجب علينا .. انتهت الجلسة !

(يلتفت بعظمة بجانب من وجهه)

محمود : لا تعطهم الماء العذب ولا الميرة ، بل هاجمهم ..
ومعى السفن المصرية لتساعد أسطول المغرب

(الأمير يلتفت بكل جسمه فى حدة شديدة)

الأمير : أعِدها معك ففى أسطولى ما يكفى إن أذِن الله
بأن يعترض طريق أحد !
(بحدة جنونية) انتهت الجلسة ..

محمود : فإن لم تفعل حتى هذا فلتسكت ...

الأمير : انتهت الجلسة فاذهب أنت ..

(يشير بإصبعه إلى الباب)

محمود : ليتك إذ تتخلف تسكت .

الأمير : لدينا أعمال أجدى .. نادوا التجار

(ثم لمحمود)

ما استقبلتك قبلهم لتعطلهم ..

هم ينتظرونك أن تفرغ كى ألقاهم ،

لكنك لن تفرغ أبداً .

محمود : (فى حيرة ولا يدرى ماذا يقول) بحق أخـُوَّتك العربية

لا تكسر قلب الأمة وتحطم وحدتها بالسب ،

لا تشتم أحداً من بعد ..

(فى سخرية) اجعل صمتك من ذهب إن كان كلامك من فضة !

الأمير : انتهت الجلسة .. إن الجلسة مُرفـَضّة .

(يشير إلى الباب بعنف) .

محمود : لن يطلب أحد شيئاً منك ولن يلحاك إذا قصّرت !

الأمير : يا حراس .. انتهت الجلسة ..

(يأتى ثلاثة قواد من الأماكن المظلمة) .

محمود : أقصى ما نطلب من عونك ألا ترمينا بالباطل .

الأمير : (للحراس) سيروا بالرجل إلى المرفأ ،

لا تدعوه حتى يقلع .. فلتقلع كل السفن المصرية قبله !

وأحيطوه بالإجلال وبالتكريم

(يضحك بعصبية) فهو صديق صديق مليكة أورشليم .. وهو صديقى ! .

(يتجه إلى الشرفة ويولى محمود ظهره وينظر إلى البحر فى حركات عصبية وعليش يتقدم منه هامساً بحركات ضارعة .. لا يُسمَع حديثهما) .

محمود : ما تنتظر جيوش العرب عطاءك فى معركة بعد .

خير عطائك أن تسكت .

الأمير : وكان عطائى منكوراً لا مشكوراً .. !!

(الحرس يصطحبون محمود متباطئين فى احترام إلى الباب الأيمن ويتهامسون ناظرين إلى الأمير المنشغل بعليش) .

حارس 1 : (لمحمود همساً) نحيّى مصر المنتصرة .

حارس 2 : (همساً لمحمود) تحياتى لصلاح الدين .. البطل العربى الظافر ..

حارس 3 : (هامساً لمحمود) تحياتى للعرب جميعاً ..

حارس 1 : (مشيراً للأمير خفية)

لو خلصنا الله منه لقدنا الجيش لبيت المقدس

حارس 2 : بل سنشارك رغماً عنه .

حارس 3 : هذا المجنون الحاقد !! .

الأمير : (غاضباً لعليش) أسكت أنت ! بل اذهب عنى ..

قلت لكم نادوا التجار ..

أتراهم عادوا للخان أم رجعوا لبلادهم ..

من أى بلاد هم ؟ من بيزا ؟

أم من جنوة ؟ أم فينيسيا ؟ أم مرسيليا

عليش : أنا لا أعرف يا مولاى

(يحاول أن يتكلم فى موضوع آخر) يا محيى مجد الإسلام !

الأمير : أفلم تذهب عنى بعد ؟

سمعتُ هراءك فى الشرفة وأنا أتأمل موج البحر ..

كما كانت عادة قيصر !

تعرف ما حبى للبحر ..

هذا البعد اللازوردى المترامى !

عليش : ستخسر تقدير الأتباع إذا ما لم تسهم فى الحرب

الأمير : (مستمراً) لا متناهٍ كالآمال وكالأحلام وكالأطماع .

عليش : (ضارعاً) فلتسهم أدنى الإسهام

ببعض المال وبعض المؤن وبعض العسكر ..

الأمير : لم أستقدمك لتنصحنى فى أمر الحرب

بل لتسجل فى قرطاس ما يتساقط من فكرى الوقاد فحسب .

عليش : وأنا أجمع هذا الدر تناثر من فمك الملكى

وأسلكه فى أجمل نظم ..

لكنى أبحث عما يقنع أهل المشرق بقيادتكم .

الأمير : أنت بلا ريب أذكى أتباعى الخلص .

فلنرسل نفطاً يكفى لكرات النار العربية أسبوعاً أو أسبوعين .

عليش : بل ستطول الحرب سنين .. وأبراج الغرب الحربية

يا مولاى بما يُروَى عنها قد تحرق فى المشرق

كل حقول الحنطة فلترسل قمحاً ودقيقاً وطعاماً وكساء

الأمير : فلنرسل مائتى قنطار .. مائة هبة والأخرى القنطار بكيس ..

عليش : القنطار بثلثى كيس هذا سعر متداول ..

الأمير : أتؤنبنى ؟!

عليش : ما مائتا قنطار إلا قطرات فى بحر ثرائك .. لا بل ..

ترسل مائتى ألف هبة منك !

الأمير : أجننت ؟

عليش : هذا أيسر ما تفعله يا مولاى

جهاداً منك ، بمالك !

الأمير : من سلطك علىّ لكى تفتى بخرابى باسم الأمة ؟

لن أعطيهم إلا مائة والباقى القنطار بكيس !

عليش : صنيعكم هذا لا يرضى حتى أخلص أتباعكم ..

سيقول النـاس قد اثـَّاقلت إلى أرضك ..

لا .. لا ..

فليبذل حامى الإسلام البذل اللائق بمكانته .

اذهب أنت فجاهد يا مولاى بنفسك ورجالك وبأموالك ..

الأمير : (مقاطعاً) لن أبذل أكثر مما يدفع عنى التهمة بالتقصير ..

وأقل من القدر المطلوب لكى ينتصر صلاح الدين .

عليش : إذا ما انتصر صلاح الدين وفتح القدس فهذا نصرك

أسهم فيه .

الأمير : قلتُ لك اذهب .. لن ينتصر صلاح الدين !

عليش : بل ينتصر بإذن الله .

وهذا نصر للإسلام وللأمة .. فلتسهم فيه !

الأمير : (ثائراً) ماذا يبغى النسر الأحمر ؟ .

أيريد صلاح الدين إذن أن يحجب عنا نور الشمس

لكى يتألق بالأمجاد الحربية ؟!

لكى تتوهج خوذته فى ضوء الزهو .

وشعاع الإعجاب به يغمر درعه ؟!

ويخلب ألباب السذج وصغار النسوة والفتيات ؟

لا .. وعليه تقع التبعة .

عليش : حاسِبه من بعد النصر ..

وأما الآن فلا تقعد عن نصرة دينك .. لا تقعد !

الأمير : فليتحمل دون سواه ما تتطلبه المعركة من الأعباء ..

أمَا هو فارسنا الأوحد ؟

تزل له كل الصهوات ؟

تحيط بموكبه الهالات أو الخفقات أياً راح وأياً جاء ؟!

فليلعق دمه أو دمعه !!

فلهامته دون سواه سيُضفَر إكليل النصر ..

ولن تذكر ألسنة المدح ولا حتى تاريخ الفتح ..

لن يذكر أبداً إلا مصر ..

(على كلماته الآتية تمر فى الخلفية بعض صور متتالية لمناظر البؤس والانحلال التى رأيناها من قبل معبرة عن حال بلاده وفساد الأمر فيها) .

الأمير : (يستمر) مصر الجائعة المنتهكة

من أجرى فوق بنيها الرزق وأستأجرهم كيف أشاء

كعبة تجار الأعراض وأهل الفسق .

عليش : (بحرارة) هى أيضاً كعبة أهل العلم ، وحصن الدين ..

وهى منار البشرية .

الأمير : ما تتقن مصر سوى الجعجعة وما من طحن !

ما تتقن غير خيال الظل وصنع الخمر .

عليش : كلٌ يعرف من مصر المحروسة ما هو أهل له .. ! ..

كل جنان بهوية !

الأمير : لن أصنع شيئاً كى أمنحها شرف النصر ..

عليش : أنت بهذا تخسر أكثر مما يمكن أن تكسب ..

الأمير : (ثائراً منتفضاً) اذهب عنى .. أتعارضنى يا مصرى ؟ .

قلت لك اذهب ..

(ينصرف عليش ولكنه يختفى فى أحد الأركان المظلمة بحيث يرى ويسمع كل ما يدور) .

الأمير : بل أنتظر مصير النسر

فإن سحقته أوربا وستسحقه هُرعتُ أنا لأخلِّص مصر وأحكمها

وبسطتُ جناحىْ سلطانى فوق المشرق .. نادوا التجار .

(من اليمين يدخل ثلاثة رجال فى ملابس أوربية)

الأمير : أين غطستم ؟ .

تاجر 1 : جئناكم بثراء الدهر .. أفتدرى ماذا أطلب ؟

مائتى ألف قنطار من قمح ودقيق فاخر !

تاجر 2 : شالوم عليكم .. أطلب عشر سفائن نفطٍ تـُشحَن فوراً .

تاجر 3 : وثلاث سفائن ماء عذب .. معها مائتا دن نبيذ ..

الأمير : أيبيع الخمر لكم من يحمى شرف الإسلام ؟!

لست بخمّار لأبيعكم خمراً .. دينى يمنع !

التاجر 1 : والصفقات الأخرى ؟

تاجر 2 : أنا فى عجلة ..

الأمير : قنطار القمح بكيسين .

تاجر 1 : القنطار بثلثى كيس .. سأعطى كيساً فى القنطار .

الأمير : لست أساوم . ودقيق القمح بأربعة ..

أما النفط فإن الوزن .. الوزن بكم ؟!

خمسة أكياس .. والماء الوزن بعشر الكيس ..

وعلى أن الثمن مقدم ...

التاجر 1 : أتأخذ فى الصفقة أبراجاً بدل المال ؟

تاجر 2 : أحدث مما بيع لريتشارد .. نعطيك البرج بألفى كيس ..

الأمير : هذا لا يصلح عندى .. أريد جنيهات ذهبية

(ساخراً) قد ينفع ذا لصلاح الدين

(التجار يضحكون)

تاجر 3 : هو لا يتعامل معنا أبداً !!

الأمير : روحوا لأمين خزائن مالى ..

أدوا الثمن إليه الآن ، ((واستلموا)) ما شئتم منه إلا الخمر ..

إسلامى يأبى هذا .. روحوا بسلام .

تاجر 1 ، 3 : طاب نهارك ..

تاجر 2 : شالوم عليكم ..

(التجار يخرجون من حيث جاءوا فرحين مسرعين وهم يؤدون التحية باحترام مبالغ فيه) .

(إذ يخرجون يندفع عليش من مخبئه) .

عليش : (برجاء صادق) فلترجع فى تلك الصفقة ..

الأمير : فأنت إذن تتجسس من خلف الحجرات على مولاك ؟! ..

عليش : (يتصاعد رجاؤه)
إن الصفقة ضد سياستك الشرعية يا مولاى .

الأمير : ماذا يربط بين سياسة أمر الدولة وتجارتها ؟!

عليش : (بحرارة) إن الصفقة للأعداء .

الأمير : التاجر لا يسأله أحد عما يفعل ببضاعته .

عليش : (فى أسى هائل)

أولادى ، فلذات الكبد ، حياتى فى الجيش المصرى !

ثلاثة أولاد يا ربى وأخى الأصغر

وصغارى فى مصر هناك .

ونسائى وبناتى أيضاً ..

يا رباه .. الجيش المصرى سيزحف بعد قليل نحو القدس .

الأبراج الحربية تقذف بالنار على أولادى .. وا كبداه !!

ما زال لديك الوقت الكافى كى ترجع فى تلك الصفقة ..

إن الصفقة ملعونة !

الأمير : لا ينقض ملكٌ ما أبرم ..

لا أنكث غزلى بيدىّ وأدعَى بعدُ أمير الأمة !

عليش : (يحاول السيطرة على نفسه أول الأمر ولكنه ينفجر فى النهاية) ..

دقيقك هذا سوف يصير دماً فى أذرع سفاحين !

سوف يغذى الجيش الزاحف نحو الشرق لقتل الإخوة والأولاد !

نفطك سوف يكون وقوداً للأبراج الحربية

كى تحرق فلذات الأكباد ! . وماؤك يا مولاى .. وماؤك ؟!

(ثم مستعطفاً) لا تمنحهم ما قد يجعلهم أبطش ...

الأمير : جُن عليش .. جن عليش ..

عليش : أنت تزودهم بالقوة يا مولاى لحرق الأخضر واليابس ..

لذبح صغارى وصغارك ..

لهتك العرض ونهب القوت ..

(ثم مؤنباً) ماذا تكسب أنت إذا ما انهزمت مصر ودخلوا مصر ؟!

لن تصبح أقوى مما أنت

(ثم منهاراً) يا رب العرش ! عيالى كلهم فى مصر

الأمير : وما يشقيك ؟! أنا أجرى رزقاً حسناً ..

عليش : (مقاطعاً) العبرة ليست فيما تجرى من أرزاق ؛

الأمير : (مستمراً) وحسن أكبر أولادك يعمل أيضاً فى قصرى

وينعم مثلك من خيرى

عليش : إن العبرة يا مولاى بما تعطيه للأعداء

ليغمر وجه بلادى الدم ..

هذا إثم !!

تلك الصفقة يا مولاى حرام قطعاً .. فلتنقضها

(منفجراً) هى ضدك ضدى .. ضد الدين ..

أشـهد ربى أنك إذ أبرمت الصفقة خنتَ العرب

وخنت بلادك .. خنت الله (ثم ينـهار) .

(كان الأمير يهرب من كلام عليش متجهاً إلى الشرفة متأملاً البحر ثم أصبح فى حالة هياج شديد فيشهر سيفه ويحاول أن ينقض على عليش ، وعليش يتراجع مذعوراً) .

الأمير : سأعاقبك على ما قلت بقطع الرأس .

عليش : لم أقصد هذا المعنى .. اغفر لى .. (ينـهار مستعطفاً)

الأمير : أنا أعرفك .. فلن تخرج حياً من قصرى ..

من خالف رأيك فهو الخائن وهو الكافر .

أما كفـَّرتَ صلاح الدين ؟

عليش : لم أفعل هذا إلا كى أرضيك ! ..

لكنك بالصفقة تهدر كل جهاد الأمس .

الأمير : لن تترك حياً تحكى ما شاهدت الآن

وتزهو من خلفى بكلامك لى ..

عليش : هذا سر يا مولاى ولن أحكيه أبد الدهر ..

أنا تابعك أسير النعمة يا مولاى طوال العمر ..

الأمير : قل لى من أنت ؟ أجاسوس لصلاح الدين ؟ .

أجاسوس الإفرنج علىّ ..

يا قادة حرسى الملكى المخلص .. يا أقرب أتباعى ..

(يدخل القواد الثلاثة الذين رأيناهم مع محمود وهم حرس الأمير الخاص ، يأتون من أركان مظلمة متفرقة ، ويتحدثون بلهجة صماء ترضى الأمير فيهز رأسه بزهو)

حارس 1 : نحن هنا مفتوحو الأعين يا مولاى

حارس 2 : رهن إشارتك الملكية يا مولاى

حارس 3 : أنتظر أوامرك العلوية يا مولاى

الأمير : (لعليش) أنا سأريحك إن أقتلك !

(ثم لحراسه) هذا جاسوس أرسله بعض صليبيى المشرق

فاقتادوه إلى التحقيق ..

عليش : (فى ذعر هائل وانهيار كامل) التحقيق ؟! يا ويلاه ..

أضرع لك .

أنا لا أحتمل التحقيق

ارحمنى .. لا تقتلنى .. أنا أخلص أتباعك لك .

الأمير : أتـُخلِص أنت ؟ لماذا لم تخلص لبلادك ؟

كانت بلدك أولى منى بالإخلاص ..

أمثلك يخلص ؟ .

خذوه سريعاً ..

عليش : مهلاً .. مهلاً .. أنا معترف يا مولاى بما تمليه

ولكن جنبنى التحقيق

(يخر راكعاً) أمرغ هذا الرأس الأشيب يا مولاى على قدميك .

الأمير : (للحرس) فإذا شبع من التعذيب ليالى عشراً ..

(مستدركاً) فليشهد حسن ابن الكافر تعذيب الكافر ..

بل يتولى هو تعذيب أبيه الجاحد ..

عليش : ارحمنى .. ارحمنى ..

الأمير : فإذا شبع من التحقيق .. فألقوه فى قاع الجب

عليش : يا مولاى .. ! (يزداد ضعفاً وتوسلاً)

الأمير : الجب الممتلئ أفاعى وعقارب ليموت هنا
على مهل فى وسط الرعب .

عليش : دمع ضراعتى المتذلل يغسل قدمك يا مولاى ..
فهب لى خطئى .

الأمير : ولكيلا يشعر بالوحدة ألقوا بابن الوغد معه !!

عليش : أأنا أحيا فى كابوس أم واقع ؟!

الأمير : خذوه .. (ثم يلوح بسيفه كالحالم)
متى يأذن لى رب العرش
بأن أصنع بصلاح الدين كما أصنع بالوغد عليش ..
متى أنقضّ بكل قواى لأطعن بالسيف المسموم النسر الأحمر !!

(يطعن الفراغ بسيفه ثم يختفى ويترك الحراس مع عليش) .

حارس 1 : (لعليش) كان بوسعك أن تجرحه حين انقض عليك بسيفه .

حارس 2 : هو سيف يسقيه سماً فى كل مساء وصباح ..

كانت تكفى الخدشة منه ونخلص من هذا السفاح ! .

حارس 3 : وإذن لنجوت .. وكنت أرحت المغرب والإسلام ومصر ! .

(الأمير يطل من وراء ستار خلفهم ثم يختفى) .

حارس 1 : لكنك لم تحسن إلا أن تتضرع

حارس 2 : وظللت تولول مثل النسوة

حارس 3 : (ضاحكاً بمغزى خاص)

حسنٌ ولدك هو أيضاً لا يتقن إلا أن يركع !

حارس 1 : سنعذبك بهذا الخطأ !

(يدفعونه إلى الباب الأيمن .. يظهر الأمير بغتة من أحد الأركان المظلمة ويتابع بنظراته ظهورهم وهم يخرجون . يناديهم قبل أن يخرجوا) .

الأمير : يا قوادى .. يا حرسى الملكى المخلص .. يا أقرب أتباعى لى ..

الليلة أنتم مدعوون على مائدتى ..

حارس 1 : (منحنياً) هذا شرف يا مولاى

حارس 2 : (منحنياً) نشكر عطفك يا مولاى

حارس 3 : (منحنياً) نحمد لك كرمك يا مولاى

(يخرجون بعليش .. أمير المغرب يصفق وينادى فى ركن مظلم) .

الأمير : أعدوا منذ الآن عصير الفاكهة الطازجة

وصبوه بثلاثة أقداح لا أكثر

(ضاحكاً) ما أحلاه عصير الفاكهة الطازجة ببعض السم

(يضحك بعصبية) .

(إظلام ثم يظهر الضوء على بيت محمود وهو قاعة فسيحة على جدرانها سيوف ودروع وخناجر وكتب كثيرة .. القاعة غنية الأثاث ولكنها مهملة ، فى عمارتها سمات من الطراز الفاطمى القريب من الطراز الأندلسى ، تشبه قصر أمير المغرب .. نحن بعد الفجر بقليل ومحمود على مكتب فقير غريب على المكان ، منهمك فى الكتابة . محمود يبدو هو نفسه غريباً على المكان . للقاعة باب واسع فى الصدر وباب إلى اليمين وباب إلى اليسار .. وهى ملأى بالستائر الفاخرة وفيها بعض أركان مظلمة كما فى قصر أمير المغرب .. فهو طراز العصر .. قرع على الباب يتوالى . يتنبه محمود) .

محمود : من ذا يقرع الباب علينا الآن ؟ من بالباب ؟

يا لله !! نور الفجر ينساب

(يقوم فيطفئ القنديل وينساب شعاع أحمر مختلطاً بالزرقة) ..

شـُغِلتُ فلم أصلِ الفجر .. (القرع يتزايد)

عرفنا طارق الليل فمن هو طارق الفجر ؟!

كوكب : افتح لى ألم تصحُ .

محمود : أبنت هوى ؟! .. معاذ الله منكن !

(يعود لمكتبه) ما لى أنا يا ربى بهاتيك النفايات ؟!

ومتى تطهر أرض النيل من كل الزرايات ؟؟

كوكب : أنا كوكب يا محمود .. افتح لى أنا كوكب ..

محمود : من .. ؟؟ كوكب !! ..

(يسرع إلى الباب بفرح ويفتح بسرعة فإذا كوكب ملتفة فى معطف وتندفع كأنها تريد أن تعانقه ولكنها تتماسك) .

كوكب : يا محمود ! هذا أنت بعد غياب عامين ؟!

محمود : (متنهداً) لكم مر من الأحداث فى عامين !!

كوكب : أمد الله فى عمرك يا محمود ..

لقد رحت أعزيك على بلواك يا محمود

بعد حريق حانوتك والبيت وفقدانك أولادك والإخوة والزوجة ..

ولكن لم أجد أحداً من الأصحاب حياً بعد .

مات صديقنا الإسكاف والنساج !

محمود : (متنهداً) أمر الله يا كوكب .. ما الحيلة ؟!

كوكب : (بخجل) وكان الشوق يا محمود ..

(لا تكمل) لكنك لم تسأل !!

محمود : من عامين لم ألقك ..

كوكب : من عامين ؟ يا قلبك ! ..

محمود : أهلاً بك يا كوكب ! ..

كأنك قطعة صيغت من الفجر

ففيك منه سحر نداه ،

رقته وهلته ، وفى وجهك يا كوكب شئ من معاناته ..

كوكب : أتنسى هذه العشرة يا محمود ؟

محمود : بطهرك ، بالذى جمَّعنا الساعة لم أنسك ..

تعالى فانظرى هذا الذى أكتب يا كوكب .

كوكب : (تجرى إلى المكتب وتتأمل الأوراق) حكاية بنت ذى يزن ..

محمود : ما أعجب هذا القدر المقدور إذ كنت

أمامى طيلة الليلة فى ثوب الفروسية ..

كوكب : (وهى ما تزال تنظر فى الأوراق وقد جلست إلى حرف المكتب)

فارسة تثير بحسنها الفتان

كل الناس من شيب وشبان ..

تقود كواكب الفرسان ضد الفرس والرومان ..

(تلقى الأوراق وتثب من على المكتب بخفة)

ما أعظمه دوراً .. أكتب دائماً .. أكتب .

محمود : (مسترسلاً وكأنه نسى نفسه)

وكنت بكل ما عندك من طهر ،

بهذا العنفوان الغض يا كوكب

بكل جلالك الشامخ ،

بالبهجة والظرف ، بكل كيانك الباذخ ،

بما فيك من العزة والروعة والرفض ،

بكل جمالك العارم ،

جمال يبعث الدهشة يا ويحى يثير الحلم فى الأعماق

والرغبة فى أن نفتح العالم ،

وحين يغيب عن عينيك تستشعر بالوحشة ..

وشئ ما جليل رائع منك ..

شئ رائع فى النحر فى النهدين فى القامة فى اللفتة ..

شئ ما يداهمنى بإحساس غريب صاعق بغتة

كوكب : (تتنهد بوجد) يا محمود !! يا أروع أصحابى !!

محمود : (مسترسلاً) كنت أراك يا كوكب فى حلمى

بكل كنوزك الباهرة الروعة .

بما فى قلبك الطيب من لوعة ..

بكل جسارة الشفتين بالسحر الذى يهمس فى شعرك ..

بما أعرف من طهرك ..

بتلك الجرأة الهوجاء تستنفر من صدرك ..

كنت أراك يا كوكب إذ أكتب !

وأستشعر هذا الدفء يستشرف من عطرك ..

وعيناك تشعان على ظلمة أيامى ..

على وحدتى الكبرى وأحزانى ..

تقودان إلى البهجة أحلامى ..

وفى النظرة يا كوكب همس حائر حان

يأسو جرحى الدامى ..

ويستنهض أشواقى ويستهدئ أشجانى ..

كضوء المرفأ المنشود لاح لزورقٍ عان

وراء الليل والعاصفة الهوجاء

خلف الموجة السوداء يا كوكب ..

يبدد يأس ملاح شريد منهك ضائع !

(كوكب التى كادت تذوب وجداً خلال كلام محمود والتى ظلت تنظر فى عينيه يزداد اقترابها كأنها ستلتصق به وترتمى بين ذراعيه .. وهى تتنهد بعمق) .

كوكب : محمود .. فتاى الباهر الرائع ..

محمود : (يكاد يقبلها ولكنه يستدرك) يا لله ماذا قلت ؟

ما هذا الذى نصنع يا كوكب .

(كوكب ما زالت تتنهد فى وجدها) .

كوكب : ما يصرخ فى قلبى وفى قلبك ..

(محمود يغدو عصبياً فيبتعد عنها ويحاول السيطرة على نفسه وكأنه يهرب) .

محمود : لماذا جئت .. ؟

كوكب : لا تصرخ لكى تغمر بالصرخة هذا النغم العذب

محمود : لماذا جئت يا كوكب ؟ .

كوكب : لماذا تخنق الأنشودة العذراء فى صدرك .

محمود : أجيبينى لماذا جئت فى وقت كهذا الوقت ؟

كوكب : ما هذا ؟! أما لك قلب ؟

محمود : كيف عرفت هذا البيت ؟

كوكب : يا محمود .. لا تهرب .

محمود : أنا أهرب ما هذا ؟

كوكب : (ما زالت فى وجدها) ما من لحظة أنبض بالروعة يا محمود
من لحظة أن نلقى صديقاً غاب ..
ثم إذا به يأتى كما لو أنه جاء من الغيب ..

محمود : (أكثر عصبية وخجلاً) يا كوكب ما نحن صغيران وما كنت بحمقاء .

كوكب : لماذا يخجل الإنسان من أشرف ما أودعه الرحمن فى الأعماق تطهيراً وتنويراً ..

لماذا يخجل الإنسان - يا ويحى - من الحب !؟ .

محمود : من الحب ؟! من الحب ؟!

ما هذا الذى جئت تقولين ؟!

والناس .. إذا هم شاهدوا كوكب فى بيتى ؟!

وماذا يحسب الناس ؟! .

(كوكب تشعر بالإهانة فتبتعد غاضبة) .

كوكب : والناس ؟! (ثم تنفجر) .. فليحسب كما يشاء الذى يحسب !

فلست زليخة العصر ،

ولست بيوسف الصديق !

محمود : وا أسفا على يوسف !

كوكب : ما جئتُ لكى أكحل عينىّ برؤياك

ولا كى أملأ القلب بأنوارك ،

ولا كى أفتن العابد .. أو أسمع ما أكره ..

محمود : أخشى أن يراك الناس فى بيتى .. (لا يكمل) .

كوكب : اطردنى من بيتك ..

قل لى يا مشخصة .. ارحلى .. قل لى كما قال عليش لى

كأنى وصمة العار قد استلقت على وجهك ،

كأنى نجس يُلقَى على ثوبك ..

نظِّفه .. أنا لست سوى نجس !

(تكاد فى انفعالها تبكى) .

محمود : (مضطرباً فى حنان بالغ) أنت أعز علىّ يا كوكب من ..

كوكب : حتى أنت يا محمود !! (تبكى)

محمود : أنا أخطأت .. معذرة

(يكاد هو نفسه ينهار) كفى .. أخطأت ..

رَجْعُ نحيبك الفاجع فى قلبى كالسكين !

كوكب : أنا ما جئت من أجلك ..

محمود : ألا تدرين من أنت لدى محمود يا أطهر من عرف ؟

كوكب : (متماسكة وبصوت محايد) سيغتال صلاح الدين ظهر اليوم فى بيتك !!

محمود : (ملاطفاً) هل حشَّشْتِ يا كوكب ؟! .

كوكب : أنا كابدت ما كابدت من أجل صلاح الدين كى أنذر ..

أنا ما جئت من أجلك !

محمود : كفى .. لا تغضبى منى .

كوكب : قم حـذِّر صلاح الدين لا يأت إلى بيتك ..

محمود : ولكن صلاح الدين من عامين فى الحرب ..

ولن يرجع حتى يفتح القدس .

كوكب : (مستعيدة مرحها) فأنت هو الذى حشَّش !!

(ضاحكة) شُغِلتَ ببنت ذى يزن ..

والفارسة الحسناء قد سطلتك !!

صلاح الدين يا محمود عاد عشية الأمس ولم يخرج إلى الناس .

محمود : (ضاحكاً) إن صح الذى قلتِ

فمحمود هو المسطول لا كوكب .

كوكب : سيأتى بعد ساعات يواسيك ويقضى طيلة اليوم ..

سيأتى دونما حرس كعادته سوى عيسى مع العادل ..

فإن قتلوا ثلاثتهم

سيقتادون محموداً ، بدعوى أنه القاتل

ومن يخشون من صحب صلاح الدين فى مصر

بدعوى أنهم شركاء ..

ستصبغ من دم القتلى ثيابك ، ثم هذا السيف

كى يقتنع القاضى ..

بهذا يهلك السلطان والأعوان يا محمود ..

ويصبح نائب السلطان سلطاناً .. فهل أبلغت .. ؟

محمود : يا لبشاعة التدبير يا كوكب ! .

كوكب : أنا عائدة للبيت أرتاح فما نمت طوال الليل ..

سيغتال صلاح الدين فى بيتك .. هل أبلغت ؟

(ثم تتهيأ للانصراف) .

محمود : قفى لا تبرحى مهلاً ..

كوكب : والناس .. نسيت الناس ؟!

ماذا سيقول الناس إن شوهدت فى بيتك ؟! .

محمود : كيف عرفت ما دبره النائب ؟

كوكب : سهرت وفرقتى الليلة فى قصره

محمود : لهذا جئت عند الفجر ؟

كوكب : سمعتهم يقولون صلاح الدين قد أجرى على محمود الأرزاق ..

محمود : (مقاطعاً) ما هذا الكلام الفج ؟!

لست بعالِم متفرغ يجرى عليه الرزق .

لكنى مع التدريس قائد فرقة كبرى من الفرسان ..

كوكب : (ضاحكة) ما أسعدنى حقاً بهذا العالِم الكاتب الفارس ! .

محمود : سمعتهم يقولون صلاح الدين .. ماذا بعد يا كوكب ؟!

كوكب : آت لمواساتك تكريماً وتقديراً .

محمود : وكيف عرفت هذا البيت ؟

كوكب : وصفوا بيتك للفتاك فاستعرفت !!

وقالوا إن محموداً

غدا من أقرب الناس إلى السلطان .. ما أعرف هذا الشئ من قبل

فمن عامين لا أعرف شيئاً عنك

(تتنهد) يا لله .. كم مر من الأحداث فى عامين !!

محمود : من عامين لم أعرف سوى القرطاس والمهماز والتدريب والوحدة والغربة .

مات الصحب كلهم .

كوكب : يا محمود ...

محمود : من عامين لم أشعر بتلك النبضة الحلوة

حين نطل فى عينى صديق عاد من غيبة .

كوكب : (بمرح) بربك أيها الفارس لا ترجع إلى هذا ..

كفى ما كان منك الآن يا محمود

(تتثاءب) كم فى ذلك القصر من البهرج والزينات .. والنسوة

من رومية شقراء أو تركية بيضاء أو زنجية ممشوقة كالرمح يا محمود !! .

لقد شخَّصتُ سالومى ويوحنا .. أنجز قصة الفارسة الحسناء ..

(ثم تتجه ضاحكة إلى الباب الأيمن)

سلام وإلى ما بعد عامين ..

(طرقات على باب الصدر) ..

كوكب : ما هذا .. !؟

(طرقات أخرى)

محمود : هو اللبَّان لا ريب .. تمهل أيها اللبان ..

كوكب : لا تفتح .. خبئنى إلى أن تفتح الباب .

محمود : تعالى ها هنا .. اختبئى

(يفتح لها باباً على اليمين من وراء ستارة فتدخل إليه) ..

كوكب : (وهى تدخل) أشعر بانقباض القلب . (تعود) لا ... لا ...

غرفة النوم !

محمود : يا بلهاء ما من غرفة أخرى ..

كل البيت مهجور . هيا فلتغلقى الباب .

المزلاج بالداخل

(تدخل)

الصوت : (صوت من الخارج والطرقات تتوالى) ألم تصحُ بعد اصح ..

محمود .. قم لصلاة الضحى ..

(يفتح محمود باب الصدر فيدخل منه الحمَّار ولكنه الآن فى ثياب فاخرة مكتحل معطر فى مثل زينة عليش) .

محمود : من أنت ؟

(يحاول أن يغلق الباب فيقف فيه الحمَّار) .

الحمار : (متعاظماً) لا تغلق الباب من غير إذنى ..

(ثم يصيح بمن فى الخارج)

تعالوا فصاحبنا ينتظر .

(يتدفق عدد من الرجال فى دروع وسيوف وعباءات فاخرة بعضهم على وجهه قناع يتقدمهم نائب السلطان) .

محمود : من أنتم ؟ من ؟ لماذا أتيتم ؟! ..

بعيداً .. إلى دوركم يا سكارى !

الحمار : ردّ السلام .. وقل للرجال صباح الندى أو صباح الحليب ..

اسأل تـُجَب

(صمت) وما من مجيب ! ..

(الحمَّار يضحك ويتمسح فى نائب السلطان ومن الواضح فى كل حركاته أنه يحاول الإضحاك وينتظر دائماً رد الفعل .. نائب السلطان يضحك بشدة .. فيسقط القناع) .

محمود : أزال القناع ! فمن أنت ؟ من ؟ نائب السلطنة !!

(نائب السلطان يضحك بمجون) .

أتضحك يا نائب السلطنة ..

الحمار : (الذى كان يتأمل القصر بحركات يحاول بها إضحاك سيده ويفتش فيما خلف الستائر)

بمن خلق الخلق هذا ثراء ولا فى القصور !!

كذلك فليسعد العلماء وهم زاهدون وتشقى الحمير !

نائب السلطان : (متصنعاً الغضب) لا .. لا تشهـِّر بمحمود .. لا ..

محمود : أما أنت حمَّار عم عليش ؟ .. تذكرت حين ذكرت الحمير !

هأنتذا صرت مثل الأمير !

الحمَّار : (لسيده) أتقبل يا سيدى أن أهان ؟ أنا راكع الدهر قدامكم ؟!

أأضربه لك أم لا توافق .

(سيده يضحك)

محمود : أأصبحت مضحك هذا الأمير ؟

الحمار : (متعالياً) يا ولد اسمع أنا لا أريد أذاك ولكن ...

أريد لك المصلحة .

محمود : (مأخوذاً لنائب السلطان) كذا ؟! يا ولد !؟

أمثلى يقال له هكذا ..

ومن ذا يخاطبنى ؟ مضحكٌ !!

(نائب السلطان يكتم ضحكاته)

الحمار : ولد ! .. لا تقل مثل هذا الكلام

وإلا حُرمتَ من الترقيات وكل العلاوات .. حتى الدروس بجامع عمرو ..

محمود : (لنائب السلطان) أآلت بلادى إلى مثل هذا الهوان الزرى
لكى يتحكم جهالها ؟ .

الحمار : يمين النبى أنا إن أردت لما عرف الجن أين اختفيت .

(سيده يضحك)

محمود : (مستمراً) ويغرى بأهل التقى والمعارف رذالها ..

الحمار : أنا يا فصيح سأوصى عليك بترقية فاصطبح يا ولد !

محمود : (مستمراً) ويهوى النقى بعبء النقاء ويعلو البغى ؟! ..

الحمار : ماذا تقول وماذا تعيد ؟!
أنا الآن أعلم من ألف عالِم ..
أنا الآن أكسب فى الشهر أضعاف راتبك السنوى الوفير ..
أنا الآن لى قصص شخـَّصتها جميع الفرق ..
(ساخراً)
وأنت إذا ما كتبت الحكايات عن شرف العلم والـ ها ها .. هع ..

فإن كلامك ذا لن يُشخَص مهما تُهْوهِع (يضحك) ،

فقد منعوك وصرت هنا مثل شئ مُهَرَّب ..

أكتب وجرِّب !

من ذا يشخِّصه غير كوكب ! .

محمود : (يتأمله بازدراء شديد) نظيف الإهاب غنى الثياب ..

وإن كنتَ بعد فقير الضمير .

الحمار : (لرجل من أتباع سيده هو رئيس جماعة إحياء المجد العربى)

قل أنت يا أفتك الناقدين

(يزعق فيه) تكلم تكلم ..

أى كتاباتنا الآن أنزه حقاً وأفكه

ما أكتب اليوم أم ما كتب ؟ .

رئيس الجماعة : (كأنه يفكر بعمق ويبحث عن الكلمات) ...

أنت تعكس فيما كتبتَ أحاسيس شعبك ..

الحمار : تعمق .. تفيهق ..

وقل من كلامك ما ليس يُفهَم كى يُعجَبوا بك !!

الرجل : فقد كنتَ من قبل حمَّار شعبك ..

الحمار : (منزعجاً) نهارك أسود ! .

حمَّار ماذا .. ؟

(لسيده متظاهراً بالعظمة ليضحكه)

فلتحرموه من الترقيات وحتى الجرايات

(ثم للرجل آمراً) قل يا ولد ! .

الرجل : (ما زال يتأمل) أنا لا أهينك يا سيدى .

أ .. أنت تفاعلت بالشعب فيما كتبت .. أ .. آ .. تلاحمت به .

الحمار : بنعمة ربى وأخسر دينى أنا ما فهمت !

الرجل : وذاك بعيد عن الشعب .. كل اهتماماته بالتراث المحنط !

محمود : وحتى الثقافة زيفتموها !!

الحمار : أنا ما فهمت .. فأى الكتابات أنزه .. قل ..

(يصفعه بمجون على قفاه)

كتابات عمك بالطبع .. هه ؟!

الرجل : (يهز رأسه موافقاً) .. بالطبع .. إمـ .. مـ .. م

محمود : (لنائب السلطان) يا سيدى خذ رعاياك وارحل .. لماذا أتيت ؟

نائب السلطان : أتطردنى أنت ؟

محمود : معاذ الضيافة لكننى ذاهب فى عمل .

نائب السلطان : القصر قصرى .. فحين غدوت بلا مسكن منذ ذاك الحريق ....

محمود : (مقاطعاً) أأعطيتنى القصر من نحو عام لتمسك لى ذلة يا أمير ..
ذلنى يا أمير !

نائب السلطان : لا تصِح هكذا ..

محمود : تفضل .. تفضل .. تفضل لقصرك يا سيدى ..

نائب السلطان : لن أبرح القصر من غير كوكب !

محمود : كوكب ؟! كوكب !؟ .

الحمار : قل .. قل لنا .. أين خبأتها ؟ أهى فى الصومعة ؟

(الحمار يبحث خلف الستائر ويحاول فتح الباب الذى اختبأت وراءه كوكب) .

محمود : (يعترض) اسحب غلامك يا سيدى وانصرف فى سلام .

نائب السلطان : ماذا تقول ؟! غلامى ؟! غلامى ؟! ما لى غلام

محمود : هذا الخليع ألا تقمعه ؟!

نائب السلطان : قل أين كوكب ؟ ..

محمود : ماذا تريد ؟! لماذا أتيت ..

تفضل بربك .. عندى عمل ..

تأخرت عن فرقتى يا أمير .

نائب السلطان : فلتقلبوا البيت ولتخرجوا كوكب الفاجرة ..

(يفتشون وقبل أن يسحب محمود سيفه من على الحائط يشهر الرجل سيفه عليه) .

نائب السلطان : لا تعترضهم وإلا قتلتك

الحمار : وقعت لنا الآن يا حلو أهلاً (لسيده) سأهبره هبرة قاتلة .

الحمار : إذا لم تطعه فضحت السيادة

كاللحم فى السوق أو مثل لص غبى بجامع .

(الرجال يدفعون بكوكب من حجرة النوم)

كوكب : ماذا تريدون منى ؟ دعونى !

محمود : (غاضباً لنائب السلطان) أجئت إلىّ لتبتزنى ؟ ..

ألزم غلامك حد الأدب .

الحمار : (بحركات بذيئة وهو يتراقص وسيده يضحك) يا وكستاه ..

ويا وكستاه !!

مشخصة ذات حُسن وكسم

عارية فى فراش المعلم !

(كوكب تجذب الحمار بعنف فيؤخذ من المفاجأة فينظر إلى نائب السلطان مستنجداً) .

كوكب : أتبتزنا أنت ؟ يا من يغير موقعه فى فراش الرجال ؟ .

أما كنت حمار ذاك العليش الدعى الحقير

فصرت مطية هذا الأمير ؟!

أتجرؤ أنت على رفع عينيك فى وجه كوكب ؟! .

الحمار : (لسيده) أأضربها الآن يا سيدى ؟!

نائب السلطان : (لكوكب) فأنت إذن قد نقلت إليه أحاديثنا

كوكب : أأرسلتَ بعض الجواسيس خلفى لكى تطمئن ؟! إذن فاطمئن !!

نائب السلطان : أيغلبنى أنا كيد النساء ؟

فلست بأهل لما أنا فيه وما أرتجيه .

محمود : ما كنت أعرف أن البلاد وسلطانها أصلح الصالحين

يعيث بها كل هذا الفساد ..

إلام تعيشون فى ترف فاجر مستبد ؟!

نائب السلطان : تأدب أنا نائب السلطنة

محمود : فأنت أتيت بهذا الخليط لتقتل مولاك .. من أنقذك ؟

نائب السلطان : لا أستغل الذى أنت فيه لأفرض شيئاً بِلَىِّ الذراع ..

الحمار : أطِع أو تـُجرَّس مع البنت يا أخ فى زفة ضخمة هائلة

كوكب : بتَّتك بَتَّة .

الحمار : أطعنا لتنجو من جُرسة سوف تقضى عليك وتقضى عليها ..

محمود : تنحَّ بعيداً ..

الحمار : (ضاحكاً) ماذا تظن ؟ أتحسب أنك أنت الحذق !؟

نائب السلطان : سنبقى هنا خلف تلك الستائر حتى يجئ ..

محمود : لا .. مستحيل .. سأحميه دونكم بالحياة .. ولن تبلغوه ..
سأقتل منكم كما أستطيع إلى أن أموت !

كوكب : (مندفعة إلى محمود) أصدقتنى الآن يا سيدى
وكنت تكذبنى منذ حين ؟ .

محمود : كفانى هموماً كفانى .. كفى ..

كوكب : فماذا صنعتَ ؟ بماذا شُغِلتَ ؟

شغلت بسمعتك الناصعة شغلت بماذا يقولون عنك

إذا ما رأونى هنا خلف بابك ..

ومن دون بابك يا سيدى تقع الواقعة

ومن دون بابك تضطرم النار فى كل شئ وفى كل قلب ..

وتلتهم النار يا صاحبى كل ما قد تجل وما قد تحب .

ولا شئ يعنيك من كل هذا سوى سمعتك

وأن تبهر الناس من عفتك ..

محمود : كأنى أنا سبب الكارثة

كوكب : وسلطاننا الصالح المرتجى بأحلامه الضخمة الرائعة ..

مضى ليطهر أرض البلاد من الغاصبين ويحسب أن رعيته خلفه

كلهم آمنون .. ومن خلفه يستطير الفساد .. وأنت هنا أنت

من تعلمت منه بأن الثقافة سيف ودرع يصون الوطن .

أنت اعتزلت هنا آمناً رذاذ معاركنا الموحلة .

تعاليت فوق دخان الحريق لتأمن عيناك مسّ الدخان فلا تتلطخ

منك الثياب ببعض السواد .

وتبقى كما أنت للناظرين عظيم النقاء مثال النصاعة

لا شئ يعنيك غير المظاهر أما المصائر .. يا للهوان !!

أتحسب أنك تنجو من النار إذ تتعالى على الآخرين ؟

تأمل إذن .. فها هى ذى النار فى معبدك ..

أتنجو بثوبك خوف الدخان فها هى ذى النار تغشى ثيابك !

ها هى ذى النار قد أوشكت أن تنال البدن !!

نائب السلطان : (منفلتاً إلى كوكب ممازحاً فى ثبات وبمعنى خاص) ..

يا قطتى الحلوة الفاتنة .. لا تنشبى الظفر فى صدر من تمددتِ فى حضنه ساكنة ..

(يحاول أن يربت على كتفيها) ..

كوكب : (مقاطعة) تنحَ بعيداً .. بعيداً .. بعيداً ..

تأخر لـُعِنتَ .. فخلف عطورك ريح نتن ..

ما أنت إلا كمستنقع على سطحه خضرة خادعة

محمود : ما أنت إلا كقبر جميل ولكن يضم رفات الضمير

(يرتفع من الخارج صوت صلاح الدين . الحاضرون يتدافعون إلى أماكن يختبئون بها خلف الستائر) .

صلاح الدين : (من الخارج) أهذا بيت فتانا الصالح محمود ؟!

هذا قصر ! ما أجمله !! دُر بى يا عادل نتأمل عظمة معماره .

نائب السلطان : لماذا بكَّر عن موعده ؟ ..

(يسرع بالاختفاء) ..

صلاح الدين : (من الخارج) هذا قصر يلزمه عشرات الناس

فكيف يعيش به محمود وهو وحيد يخدم نفسه ؟! .

(يصفق)

يا أهل البيت .

(محمود يسرع يتقدم إلى باب الصدر حيث ظهر صلاح الدين ومعه العادل) .

محمود : بيتى بيتك يا مولاى

تفضل أهلاً بك أهلاً

صلاح الدين : (يعانقه) عوضك عند الله تعالى يا محمود .

العادل : فلنصبر لقضاء الله .

محمود : ما صبرى إلا بالله ..

أنا رجل أرضى بالنقمة مثل رضائى بالنعمة ..

حمداً لله

صلاح الدين : أنت وحيد فتعوَّد أن تغلق بابك

(محمود قلق يحاول برفق أن يجعل صلاح الدين بعيداً عن القاعة) .

محمود : ابق هنا فى دفء الشمس .. عيسى لم يرجع معكم ؟
يا عادل .. أريدك فى أمر سرى .

صلاح الدين : دعنا ندخل (يتقدم صلاح الدين) أغلق بابك .

محمود : (بنبرة خاصة فيها سخرية يفهمها صلاح الدين) ..
ساد الأمن خلال غيابك يا مولاى
فلا نغلق بعد الأبواب !

صلاح الدين :   هل انتهز الأمراء الفرصة بغيابى
وعادوا للعسف الماضى ؟

محمود : هم إن كان لهم غرض فى بيت ما كسروا الأبواب ..
فلنفتحها لنوفر أجر النجار أو الحداد ..

صلاح الدين : ما كنت لأعفو عنهم إلا أملاً منى فى توبتهم

(محمود دائماً يحاول أن يبعد صلاح الدين عن الستائر .. صلاح الدين يتأمل الكتب على الحائط .. فيسحب محمود يد العادل ويسير به إلى باب الصدر ويهمس بسرعة) .

محمود : الغربان هنا تنتظر لكى تنقض على الجيفة

العادل : ماذا تعنى .. ومن الجيفة ؟

محمود : الذئب هنا مع عصبته .. اذهب فوراً فاجلب حرساً ..

العادل : هم فى الخارج .. سأناديهم ..

محمود : فلتدخلهم فى صمت لا يشعر بهم الغربان

(صلاح الدين ما زال يتأمل الكتب ومحمود دائماً يلازمه ويحيط به)

صلاح الدين : ما أخبار أمير المغرب ؟

محمود : ما من شئ ذى بال .. سيرد علينا فيما بعد ..

(صلاح الدين يعطى ظهره لستار فيبعده محمود بسرعة)

محمود : تعال أنظر .. صنفتُ كتاب جهادٍ لك ..

صلاح الدين : ما أروع هذا !! لكن ما بك يا محمود
كأنك فأر فى مصيدة ؟ .

(محمود يقود صلاح الدين إلى باب الصدر مرة أخرى حيث تفيض الشمس)

محمود : تعال هنا .. فى دفء الشمس .. البرد شديد ..

صلاح الدين : أين العادل ؟ .

محمود : ألم أكتب لك ملتمساً أن ترجع فالدولة تتهاوى ..

صلاح الدين : وأقلقنى أنك لم تفصح !

محمود : ما كنتُ لأجرؤ أن أفصح
فالبصاصون انتشروا حتى فى أبراج حمام الزاجل .

صلاح الدين : أإلى هذا الحد إذن قد فسد الأمر ؟

محمود : حتى فى المخدع لا يأمن رجل وامرأته ؟

صلاح الدين : ما قولك هذا ؟

محمود :   الناس تـُحَمِّلك المسئولية وتقول : رجعنا للملعوب الأبدى الخالد ..

رجل يجرح والآخر يتولى بعدُ علاج الجرح ..

وما الجدوى حتى إن عولج هذا الجرح ؟!

وما سببه من آلام كيف تضيع آثاره ؟

(العادل يدخل ومعه عدد من الفرسان بحراب مشرعة وهم فى الدروع يَصُفُهم محمود إلى الستائر حتى يملأوا كل حوائط المسرح الثلاثة)

صلاح الدين : ما هذا ؟! ماذا تصنع يا محمود ؟!

عجباً .. ماذا يحدث يا عادل ؟

العادل : حرس من أخلص فرسانك جئت بهم دون استئذانك

حذر فجاءات الشيطان

محمود : لنواجه غدرات الذئب أو الثعبان ..

العادل : الغربان اعتلت القمة منذ رحلت !

صلاح الدين : أخلا الجو لها بغيابى حتى استنسرت الغربان ؟

محمود : نائبك الصالح يا مولاى ..

هو من أشعل تلك الفتنة من عام فى أثناء غيابك فلتقتص لصرعاه ..

صلاح الدين : لا أعقل هذا يا عادل لِمَ يغدر بى وأنا أصلحتُ له أمره ؟

محمود : فساد الطبع وما يصلحه غير الله .. وما تهدى من أحببت !

العادل : كان يعيش حياة بطالة ..

صلاح الدين : غضب خليفتنا المرحوم عليه فجافاه الأصحاب ..

فلما أذن الله بأن أتولى الأمر

أتيتُ به من عزلته وأصبح نائب سلطنتى ..

فماذا يدفعه للغدر ؟!

العادل : ذاق السلطة بعد العزلة فاستمرأها !

محمود : أكان اعتزل كموقف رفض محتجاً

أم عزل بكيد منافسه ؟

صلاح الدين : تريان إذن لى أن أتهم بغير دليل ؟

هذا ظلم لى ولغيرى !

(يزفر فى ضيق)

فبمن يمكن أن يثق الإنسان إذن ؟!

العادل : ثق بمن احتملوا من قبل .. برجال عانوا من أجلك .

محمود : أيام يعاقب من لم يجهر بعدائك

العادل : لا بذباب يتساقط من فوق طعامك وشرابك ..

محمود : لا بكلاب تتمسح بحذائك منذ وليت الأمر !!

ماذا يملك هذا الصنف سوى التأييد ؟

العادل : هذا رجل ربَّاه زمن الظلمة

محمود : كان دعامة ذاك العهد

العادل : أَلِفَ الكذب وأتقن كل فنون الكيد

محمود : فتعثر فى شركٍ نصبه .

العادل : علق به أحد شِراكه !

صلاح الدين : لن آخذه دون دليل أو بينـة ..

(محمود يزيح الستائر بعنف وبسرعة فيظهر نـائب السلطان ورجاله والسيوف فى أيديهم بينما حراب حرس صلاح الدين مشرعة على الصدور .. محمود وهو يزيح الستائر يصرخ بانتصار)

محمود : وها هو ذا شَرَك آخر لن ينجو منـه !

صلاح الدين : (مأخوذاً) ما هذا ؟! من أنتم من ؟! ..

نـائبنـا الورع شديد التقوى ..

والأمراء وأهل الفتوى .. ! ..

ما أجحدكم يا خونـة !

العادل : أتريد دليلاً أو بينـة أقوى من رؤيتك بنفسك ؟!

نـائب السلطان : (متماسكاً) بل جئنـا نحمى مولانـا

من شر مؤامرة دبرها الخائن محمود الآبق

ومشخصة يعشقها تدعى كوكب ..

محمود : تحمى السلطان ؟! ومشخصة تعشقه ؟

محمود الخائن والآبق ؟ ..

(ضاحكاً)

لستَ بخوان غدار تفتقد الأخلاق فحسب ..

لكنك مع هذا خائب ..

كوكب : كيف إذن سموك الذئب أو الثعلب ..

مكرك هذا لا يأتيه أخيب ذئب !

العادل : (لكوكب) من أنت ؟

محمود : فلتشكرها يا عادل

لولاها لتمكن منا غدر الذئب !!

صلاح الدين : يا ربى فيم أخطأت لكى ُأجـزَى هذا النكران ؟

العادل : عفوك عمن يغدر بك

من عفوك هذا يطمع فيك !

بعض الناس فضائلهم هى مقتلهم ..

صلاح الدين : (لنائب السلطان) .. لِمَ تقتلنى ؟ أهو العرش ؟

فكيف ضمنتَ الفوز به

وغيرك من أمراء الدولة قد يقتلك

ولما تصعد بعد إليه أول درجة ؟!

نائب السلطان : يا مولاى ..

صلاح الدين : أخذتك من غور النسيان ..

وكانت غاية أحلامك أن تترك حياً منسياً

ألاّ تسجن أو تقتل ..

فجعلتك نائب سلطنتى !!

هل فى أغوارك تيه أعمى لم يعرفه ضوء الشمس ؟!

(ثم للحمار) وأنت أجبنى ماذا تبغى من قتلى ..

أتعود إليك ضياعك أو بعض قصورك ؟

ألم نترك لك رزقاً يكفى ..

محمود : (ضاحكاً) يا مولاى عداك العيب .. هذا حمَّار سابق .

كوكب : (بخفة) حمَّار عليش الجحش غدا مطية نائب سلطنتك

لجَّمها بالذهب الخالص ..

وكساها ثوب المخمل ..

وعطـَّرها بعبير الفل ..

وأصبح مُضحِكه المائص !

محمود : (ضاحكاً) ينافس كل حظياته !

الحمار : (يحاول أن يضحك السلطان مشيراً إلى محمود)

هذا رجل هَرِش العقل

(صمت) كان يهارش تلك البنت ! (صمت)

يا مولاى ألا تضحك ؟ ..

قالوا لى إن السلطان

إذا ذكرونى فى حضرته ضحك وقال : خفيف الظل !!

صلاح الدين : (يتأمل وجوه الآخرين)

وأنتم يا باقى الأمراء ألم أترككم بمواقعكم ..

فعسى أن يهديكم ربكم للأقوم

(صمت)

كوكب : سل أمراءك يا مولاى

لِمَ يكثر عدد الموتى قدراً وقضاء ؟

محمود : ولماذا انتشر وباء السكتة منذ غيابك ؟ .

موت الناس بسكتة قلب فى ظرف حرج غامض !!

كوكب : واسألهم لِمَ غاب رجال هم حقاً فكر الأمة

فى أى مكان أخفوهم ؟

صلاح الدين : (ساخراً) ما أسكتكم يا أمراء ؟ أعقد لسانكم الهيبة ..

(صمت) هل أطمعكم عفوى عنكم !!

وأنت ألست رئيس جماعة إحياء الأمة ..

أذكر سحنتك المتشنجة الجهمة ..

رئيس الجماعة : (متشنجاً وهو يرص الكلام كأنه يرص حجارة فوق حجارة)

أنا لست أهابك بل أتهمك ..

هل حققت رخاء الأمة ؟!

بل زاد غلاء الأشياء

وخلت منهن الأسواق

وتاجر فيهن الكبراء .

أين حقوق الضعفاء ؟ .

لم تعد الأمجاد السابقة لأمتنا ..

بل لم تقض على الحانات ، على صور الإفساد الأخرى

الرقص ، خيال الظل ، بيوت اللهو ، نساء الليل .. وأين ..

وأين ثقافة مصر ؟ ها هى ذى اندحرت وتخلت ..

(متشنجاً فى حسم) لهذا ولكل الأسباب المذكورة .. اسمع .

لهذا حق عليك القتل

ليحكمنا من هو أفضل ..

أعنى نائب سلطنتك

ليحقق إحياء الأمة ..

صلاح الدين : (فى حسم) العفو إذا أخطأ موقعه لا ينقذ إلا المذنب

ويورط أو يظلم غيره ! ..

العادل : ويهدد مصلحة الأمة

محمود : وطـِّد قدميك على أرضك

أمِّن ظهرك ،

أسعِد شعبك

ثم توجه لتجاهد .

صلاح الدين : صدقت صدقت ..

كيف أحرر بيت المقدس وأنا أرزح فى الأغلال ..

يا فرسانى سوقوهم للقاضى الأكبر ليحاكمهم عما اقترفوا حين غيابى

ويعوض من أموالهم من غشيته مظالمهم ..

محمود : رتــِّب دارك وادعم ركنك يا مولاى وإلا انقض على رأسك .

صلاح الدين : ما كنا قد أجلناه إلى أن ننتهى من الحرب

سنجريه فوراً يا سادة .

نائب السلطان : ما دمنا سنلاقى الموت

فأرسِلنا كى نستشهد فى فتح القدس .

صلاح الدين : لا ... ما كان صلاح الدين ليحشد جيشاً من فتاك سفاحين ..

بل من شرفاء الشجعان

ليكونوا جنداً للحق ..

كوكب : (بخفة) يا مولاى صلاح الدين

لماذا لا تجعلهم فوق ظهور حمير وبغال وجمال

ووجوههم للأذناب

ونزفهم بالطبل البلدى .. (تضحك) .. ها .. ها ؟!

الحمار : يا للجُرسة يا أولاد !

صلاح الدين : ما يشغلنا أن نشمت .. بل أن نبنى !

من يشمت يُفقِر نفسه ..

(يدفع الحرس المتآمرين فى ظهورهم بالحراب ويخرجونهم من باب الصدر) ..

كوكب : (لصلاح الدين) لا تظلم محموداً بى أو تظلمنى ..

ما جئت هنا إلا من أجلك ..

ليس العبرة فى ظاهر حال الإنسان ولكن العبرة فى القلب !!

صلاح الدين : أصلحك الله وأصلحنا .. أنا أقرأ أعماق رجالى كالصفحات المفتوحة .

محمود : (ضاحكاً) إلا نائب سلطنتك !

(صلاح الدين فى باب الصدر ومحمود يودعه .. يتوقف مستديراً لمحمود)

صلاح الدين : يا محمود أعد العدة كى ترحل .. ستشاركنا فتح القدس ..

محمود : كتب الله النصر لنا .. كل المعركة هى القدس ..

كوكب : مهلاً مهلاً يا مولاى ! ..

لا تبرح حتى تختار طريقاً آخر ..

اختر لسياسة أمر الدولة طريقاً آخر ..

كى تأمن مصر المحروسة يا مولاى

وكى نأمن فى أثناء غيابك .

لا تبرح حتى تختار ..

صلاح الدين : ما أصعب أن يختار الحاكم

حين يحس بأن الرحمة تنتهك جلال العدل

فإذا بالعدل نقيض الرحمة !!

ما أصعب أن يختار الحاكم

حين يُوَاجَه أنَّ بما توحى عيناه وما قد تنفثه شفتاه

قدر سواه ! .

إذ كلمته قد تلقى فوق الآخر

ضوء المجد وقد تُسدِل ظل النسيان ! .

وكيف إذن يختار الحاكم ؟

والحاكم ليس سوى إنسان فيه ضعف بنى الإنسان

وله مع ذلك حكم إله

حكم إله ليس يُرَد وإن لم يملك عدل إله !! ..

ما أصعب أن يختار الحاكم إذ كلمته تعنى الموت وحين الكلمة منه حياة ! .

فماذا يختار الحاكم ؟ ألين العيش مع المغفرة وزهو العفو مع المقدرة

أم حسم الأمر وضرب الشر

وسحق الفتنة حيث تكون بأى ثمن !

أيخوض الدم ليقيم العدل ؟ .. لكن الدم يفضى للدم !

أيعيش إذن عبداً للدعة وللرحمة ليصوغ زمان الحب بما قد يبذله من عزته ؟! .

فماذا يختار الحاكم ؟

بلاء لا يمتحن به حتى الشحاذ المتصعلك .

شقاء لا يبلو قسوته ومهانته غير ملك ! .

ما أعظم شقوة من يدعونهم الكبراء المسئولين

بؤس الملك مليك البؤس

عذاب الناس بقدر مواقعهم فى الحكم .

وعلى القمة يشقى الجالس حتى أعمق عمق النفس ! .

حياة الحاكم قلق دائم .

هو أشقى من كل نفايات الأوباش المنبوذين ! (فى النص المكتوب : الأوشاب)

فالشحاذون قد اختاروا

ضعة سؤال الغير وراضوا النفس على تلك الذلة

لكن الحاكم ماذا يمكن أن يختار لكى يرضى ماذا يختار ؟

المومسة قد اختارت واعتادت حتى وحل العار .

قطاع الطرق قد اختاروا .

تجار السم قد اختاروا .

لصوص الدولة يختارون ويرتاحون لما اختاروا

الكل ارتاح لما يختار ..

جميع السِفلة حتى القتلة !

ويبقى الحاكم فى حيرته ماذا يمكن أن يختار ؟!

لكى نعلو فوق الأحقاد

وفوق الحب وفوق الغيظ وفوق اللهفة والرغبة

وفوق الميل ..

لكى نضبط ميزان العدل ..

لكيلا تُبتذل الرحمة .

لكيلا تخلبنا دقات طبول النصر وما تذكى فينا الأبواق

لكيلا يستهوينا المدح ويخدعنا الزيف البراق

ليبقى منا القلب الحر شريف النبض

لا يدنس بوجيب البغض .

لنصم الأذن عن الهمسات المسمومة .

لتكف النفس عن النزعات المشئومة .

لكى نعلو فوق الحساد وفوق شماتات الأوغاد

ولغو الإغراء المتهتك ونداءات النخاسين

لنحفظ أنبل ما فى النفس

لكيلا تملكنا رغبتنا فى أن نـُمدَح

وكيلا يحكم فيما نأخذ أو ما نعطى ألم الجرح

وماذا يمكن أن نختار ؟ .

ما أصعب أن يختار الحاكم .

كوكب : عذاب فوق حدود الطاقة أن تصبح فى يوم ما فإذا بك حاكم ..

فلأنت سعيد فى حالك لا تحمل إلا مسئولية نفسك وحدك .

إذ بك تحمل مسئولية أن يحيا غيرك أو يهلك

أن يسعد غيرك أو يشقى

أن يذهب غيرك أو يبقى .

إذ بك تحمل مسئولية هذا العالم ..

صلاح الدين : إن الدم يفضى للدم .

محمود : هذا حق كل الحق ..

ولكن إن شملت رحمتنا جرم المجرم ، فقد عوقب كل الأخيار

وقد شـُجِّع كل الأشرار ..

وهناك مئات بل آلاف سيصابون وذاك هو الظلم المطبق ! ..

فإذا كانت رحمتنا تغرى بعض ضعاف النفس بأن يعثوا فى الأرض فساداً ..

فيذبل زهر خمائلنا النشوى بهديل حمائمنا

وتصبح بعد غناء الأمس خرائب ينعق فيها البوم

فتلك هى القسوة لا الرحمة .

هذا شر الظلم بحق !

صلاح الدين : فأين هو العدل المطلق ؟!

العدل إذن شئ نسبى والرحمة أيضاً نسبية

إن كانت بعض فضائلنا قد تـُنصَب شَرَكاً يوقعنا

ولا يتحمل عقباها إلا نحن .. نحن فحسب دون سوانا

فذاك حصاد نجنيه مما غرست أيدينا .

أما أن يصبح ما أختار أنا من طرقى ، ما يعجبنى من خلقى

شَرَكاً قد يقتنص سواى

وأداة سواى لكى يطغى أو كى يفتك

فأنا المذنب والمسئول أنا المأخوذ بهذا الشر .

وهنا تصبح بعض فضائلنا نقمة

بل تغدو شر رذائلنا

فهى أذى يودى بالغير .

وتعود علينا مع هذا بالمدح الكاذب .

فهى إذن عدوان مُزرٍ بل وجبان

هى عدوان متقنع

فيه مع إثم العدوان هوان وخسة أن تخدع

وهذا إثم مزدوج

إذ نحن وقد آذينا الغير ننال مكافأة عن هذا : مدح الغير !!

فى حين نيسر للمجرم أن يمضى فيما يقترفه ..

فما فضل الأخيار إذن ؟

وإذاً فلتخنق فى الأعماق فضائلنا كى تعلو هامات الفجار ..

محمود : إن الله لذو الرحمة وهو المنتقم الجبار .

بهذا الضبط لمعنى العدل ومعنى الرحمة يصلح ميزان العالم ..

صلاح الدين : هذا هو ما يمكن أن يختار الحاكم ..

فلا يتمزق شعب ما فى أظفار القلق الدائم ..

محمود : ويشيع الحب ونصنع بالأمل الدامى فجر الواقع

ونصوغ الزمن العذب الرائع

صلاح الدين : لتليق الدنيا بالإنسان ، بأن يحيا فيها الإنسان !

2

النسر وقلب الأسد

مسرحية شعرية

الفصل الأول

(قاعة العرش فى قصر ملك القدس .. الجدران تغطيها أعلام صلاح الدين : النسر الأحمر على قماش أصفر .. للقاعة بابان على الجانبين .. فى صدر القاعة شرفة واسعة نرى فيها منظراً عاماً للمدينة . المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ـ بأبراجها ـ يحتضنان المنظر .. صلاح الدين يطل من الشرفة وحوله العادل ومحمود وعيسى .. فى القاعة عدد من أهل القدس منهم فقهاء وقساوسة وآخرون) .

(نسمع من الخارج هتافات فرح)

هتافات : عاش صلاح الدين الفاتح ..

صلاح الدين : وأخيراً هو ذا القدس الشريف ... !

العادل : أأنا فى القدس حقاً ؟! أهو حلم أم حقيقة ؟

عيسى : أصحيح أننا فى القدس ؟! .. يا كعبة أحلام الجميع !

إيه يا ربى .. تعاليت وقدست وجلت حكمتك

(يرسم علامة الصليب) .

محمود :   إن فتح القدس واستردادها فى ليلة الإسراء

لطف فى الإشارة

صلاح الدين :   ها هنا فى كل أرض القدس ما من حفنة

من تراب لم يخالطها دم حر زكى

لنبى أو ولى أو شهيد !

ها هنا يحمل همس الريح ترجيع أنين من بعيد .

بالصدى الفاجع من ذكرى استغاثات الضحايا الأبرياء

ها هنا فى المسجد الأقصى - ويا للذكريات -

سيق آلاف من الأطفال والأسرى وآلاف النساء ..

العادل : إنهم سبعون ألفاً ..

صلاح الدين :   هُتِكوا أو ذبحوا فى ساحة المسجد حتى

خاضت الخيل وخاض الجند للسيقان فى بحر رهيب من دماء ..

محمود : إنها سبعة أيام شداد تصم التاريخ كله ..

صلاح الدين : أيها الأشرار ها نحن نعود .. !

(هتافات غاضبة فى الخارج)

هتافات : صلاح الدين .. ألا تنتقم لما صنعوا من قبل بنا ؟
حين غزوا فى الزمن الماضى ما تركوا امرأة حرة
أفلا تنتقم لقتلانا ؟
فلتشف صدور المظلومين بما ظـُلِموا

عيسى : لا مناص اليوم من ثأر يدوى لا مناص !

صلاح الدين : هى ذى أرواح قتلانا تنادت وتداعت .
إنها تسألنى .. أين القصاص ؟!
إنها تخنقنى ..
أسكبى أيتها الرحمة أنغامك فى قلبى وأذنى ..
أعطنى القوة يا ربى لكى أقهر هذا الغضب الجائح فى الأعماق منى ..

عيسى : إنهم لن يدخلوا فى ملكوت الرب فلتجز الخطايا بالعقاب ..

صلاح الدين : صدر العفو ولا رجعة فيه ..

العادل : إنهم لو هزمونا لصُلِبنا فوق أسوار المدينة

عيسى : إنها فرصتنا للثأر هذا الانتصار ..

قسيس : أجد القتل جزاءً عادلاً عما جنوه ها هنا

ضد آلاف المسيحيين من أهل البلاد ..

إنهم حتى ولو لم يشهروا السيف فيكفيهم لكى تقتص منهم

كل ما كانوا هنا يقترفونه

غضب الرب عليهم ..

وعليك الآن أن تنزل فيهم ضربة الرب التى تسحقهم !

محمود : أيها السلطان لا تترك لهم فرسانهم أحياء بعد ..

ربما ارتدوا علينا بالقتال ..

العادل : يا صلاح الدين لا ترحمهم الرحمة كانت دائماً مصيدتك ..

لم يكن عفوك إلا شركاً يوقع بك !

صلاح الدين : يا إلهى .. إنهم قد لطخوا بالدم والأوحال وجه العصر كله

ملأوا بالحقد قلب الفقراء الضعفاء ..

كبلوا الحق وجروه ذليلاً فى ذيول الخيل يدمى فوق أرضك

جعلوا الإنسان صياداً وصيداً

قسموا الناس إلى وحش مخيف وفريسة !!

لستُ ممن يعشقون الحرب لكنى أخوض الحرب كرهاً

كى يعود الأمر لله فلا يهتز ميزان الحساب

ولكى يطهر وجه الأرض ممن ملأوها بالمآسى والعذاب .

ولكى ترتفع الهامات من تحت التراب

ولكى ينتفض المقهور من وطأة ما يقهره عبر العصور .

ولكيلا يُقعِىَ الحق ذليلاً حين تستكبر فى الأرض الشرور

ولكيلا يصبح العالم سكان قصور أو قبور .. !

(على قرع الطبول يرتفع صوت المنادى) .

صوت : يا أهل القدس الأشرف

ها هو هذا أمر السلطان صلاح الدين ..

لا يعرض أحد منكم لصليبى أياً كان ..

من يبذل فديته منهم فليرحل عنا بأمان ..

صونوا أعراض النسوة صونوا الفتيات .

سيعاقب من يعصى الأمر

يا أهل القدس الأشرف : السلطان يهنئكم بالفتح الأكبر .

(ثم يبتعد الصوت وهو يعيد أمر السلطان)

صلاح الدين : كم ضحايانا .. ؟

محمود : قليل .

عيسى : إنما العبرة بالكسب الأخير

العادل : ليست العبرة فى قدر الخسارة

صلاح الدين : إن هذا المنطق الجائر لا يصلح للأحياء قط
إنما يصلح هذا للتجارة !

العادل : مع هذا لا خسائر

محمود : فضحايانا مئات ليس أكثر

العادل : وضحاياهم ألوف وألوف

عيسى : هكذا الحرب

صلاح الدين : هى للجندى موت ، وهى للقائد إكليل من الغار مضفر .
وهى العزة والمجد وزهو الكبرياء !

محمود : إنما العزة لله جميعاً ..

صلاح الدين : فلتقل لى يا أخى العادل . من هم هؤلاء الشهداء ؟

العادل : أنت لا تعرفهم

صلاح الدين : هكذا ! ؟ ما خلفوا حتى ولا الذكرى ، وكانوا
فى الأسى الداجى شموعاً ..
هكذا يمضون فى النسيان لم ينعهم ناعٍ ولا شيعهم أصحابهم
لا ولم يذرف عليهم واحد منا دموعاً !
لكأنى بعمر ....

محمود : عندما فتح الله له دولة كسرى ثم قيصر ..

صلاح الدين : عندما بُشِّر بالفتح ، وقالوا يا أمير المؤمنين
إنما استشهد من قوادنا هذا وهذا فترحم .
ثم هذا فترحم ،
ثم ... آلاف من الجند وما تعرف من هم يا أمير المؤمنين ...
عندها .. أجهش يبكى ويقول :
ويحكم ما ضرهم جهل عمر
إنما يعرفهم ربهم الله تعالى والرسول ..

(يكاد هو نفسه يبكى ويكتم بكاءه) .

محمود : أيها السلطان كفكف هذه الدمعة .. وافرح
بالذى واتاك من فتح مبين !

صلاح الدين : رحم الله جميع الشهداء ..

العادل : ما مئات عندما نسترجع القدس بربك ؟

محمود : أنت حرَّرتَ فلسطين وأرجعتَ لنا الشام العزيز .

عيسى : كل أرض غصبوها عنوة من قبل عادت للعرب ..

القسيس : (كالمنذر) .. غير صُوْر ! ..

العادل : نحمد الله على أن وحد الشمل فعدنا ..
إخوة بعد التفرق ..

محمود : غير هذا الأحمق الملتاث فى المغرب لم يشرد سواه !

صلاح الدين : ولهذا كتب النصر لنا .. !

القسيس : أيها السلطان قد حررتنا .. نحمد الله إليك
غير أنا نحن أقطاب المسيحية فى الشرق نعانى
من رجال ونساء لطخوا كل مسوح لبسوها ..
إنهم جاءوا من الغرب إلينا طمعاً فى الثروات
ثم باعوا البركات ..
لا تصدق أن فيهم راهباً يحمل فى الأعماق منه قلب راهب ..

عيسى : إنهم عار الكنيسة ..

القسيس : فلتزحهم يا أيها السلطان عن كل المناصب

صلاح الدين : إن هذا شأنكم يا أيها القسيس لا أدخل فيه ..
فلتولوا من تشاءون عليكم فى الكنائس
فإذا احتجتم إلى عونى أنا العبد الفقير
فليُعِنِّـى الله أن أصنع ما أقوى عليه ..

القسيس : لا أرى يا أيها السلطان أن تترك رأس الشر بطريق الكنيسة .

صلاح الدين : إنه يمضى إلى صُوْر بإذنى .

القسيس : إنه رب الدسائس .

عيسى : سرق البطريق يا مولاى أموال الكنائس .

صلاح الدين : كاهن لص إذن !؟ إنه شئ عجيب .

محمود : فلنصادر كل هذا المال يا مولاى .. حاكِمه بهذا

صلاح الدين : إننى أعطيته عهدى ولا أغدر به

عيسى : إنما الغدر بأهل الغدر عدل

محمود : هكذا قال على بن أبى طالب وهو الحزم بعينه

القسيس : إنه يمضى إلى صور بهذا المال كله

عيسى : أيها السلطان ما يحدث فى صور جدير بالنظر !

العادل : أهو إنذار جديد بالخطر ؟

القسيس :   الصليبيون ممن وقعوا بالأمس فى أسرك يا مولاى قد
هاجروا فى ظل عفوك

عيسى : كلهم راح إلى صور .. لماذا ؟!
إن فيهم الآن تجاراً .. وفرساناً كِثافاً
ولقد جاءهم المركيز كونراد

العادل : إننى أعرف دى مونتيفرات ، إنه أجسر فرسان فرنسا

القسيس : فاتك لا يعرف الرحمة .. عربيد وذو بأس شديد !

صلاح الدين :   أنا لا أجهل هذا ..
إنه من نوع أرناط أمير الكرك سفاح وفاجر ..

القسيس : إنهم ولوه فى صور أميراً
وهو الآن كما نعرف قد شيد فى صور القلاع .

محمود : أى ريح من رياح الحقد ساقت نحونا هذا الشراع !!

القسيس : أيها السلطان صادِر ما لدى البطرق من مال
ولا تتركه يهرب فى سكينة .

العادل : إن هذا المال قد يصبح فى وجهك أسواراً حصينة

عيسى : إن هذا المال قد يصبح أبراجاً تصب النار فوق الآمنين !

محمود : إن نصر الله فى الحرب منوط بالحذر

صلاح الدين : فسننقض على صور إذا نحن شعرنا بالخطر

عيسى : دعنا نسترح ! كم غزونا وغنمنا

وغدت مصر بحمد الله من أغنى بلاد الله طراً .

صلاح الدين : نحن لم نغز لكى نغنم يا عيسى ولكن ليصيب الحق أهله .

عيسى : نحن من حطين لم ننزل عن السرج سنينا ..

فلتدعنا نسترح ..

محمود :   أنت لم تسمح بأن نجعل من بعض الأسيرات إماء أو سرارى ..

أوَ ما حاربنا مثل الرجال ؟!

صلاح الدين : (ضاحكاً) ربما تلعننى من أجل هذا !

(ثم للآخرين وهو ما زال يضحك)

عينه زاغت إلى وصل الجوارى الفاتنات .

عيسى : فلتدعنا نحتفل بالنصر بين الأهل شهرين .. ثلاثة !

صلاح الدين : استريحوا نحو شهرين إلى أن يأذن الله بأيام جهاد مقبلات

أيها الجند افتحوا بابى لأصحاب المظالم

أنا لا أتخذ الحجاب فليدخل إلينا من يشاء

(هتافات من الخارج)

الهتافات : يحيا السلطان صلاح الدين ..

أخرج للشرفة لتحيتنا .. أخرج للشرفة ..

(صلاح الدين يطل من الشرفة وحوله كل من فى مجلسه) .

هتافات : عاش صلاح الدين الفاتح ..

القدس تحيى من حررها ..

صلاح الدين : (للجماهير) نحمد الله الذى أنجز وعده ..

والذى أيد جنده ..

والذى هزم العدوان وحده ..

هتافات : القدس ترحب بمحرروها

عاش صلاح الدين الفاتح

صلاح الدين : (مستمراً) أيها الناس إليكم ما رسمنا :

للمسيحيين فى القدس حقوق المسلمين

للمسيحيين فى المشرق هم وحدهم أمر الكنيسة ..

ما لباباوات روما من ولاية

(ملكة أورشليم تدخل متحسسة ومعها إيزابيل) ..

الملكة : لا أرى بالباب حجاباً لأستأذن منهم ..

إيزابيل : أأجئ إليه بقدمى ؟!

هو سلطان عربى

وما ينشغل العرب سوى بالمرأة أو بالأكل الجيد والتحشيش .

الملكة : ألهذا ينتصرون علينا يا حمقاء .. !

إيزابيل : أنا بكيانى هذا الأبيض .. بجمالى هذا الفوار ..

قد أفتن هذا العربى فيأخذنى غصباً عنى

أو يجعل منى محظية .. !

الملكة : خلق الله الرأس لنا فى أعلى الجسم

ووضع العقل به لنفكر من أعلى !!

أنت وريثة عرش أورشليم بعدى ..

فلتكُ أفكارك ملكية !

إيزابيل : أنا خائفة .. ما من حصن فى الدنيا يمتنع عليه ..

الملكة : أسمعت وقد فتحوا عشرات المدن هنا

أن صلاح الدين اغتصب صليبية ؟

أنا واثقة من نبله

صلاح الدين : (ما زال يخاطب الجماهير)

اغسلوا المسجد الأقصى بماء الورد وامحوا

منه آثار المذابح .

أصلحوه وأقيموا كل ما حُطـِّمَ منه .

ارفعوا مئذنة المسجد والمنبر .. فليصبح كما كان قديماً

معقلاً للدين والعلم معاً ..

فليكن جامعة فى غير أوقات الصلاة ..

وافتحوا القدس لمن يرغب فى الحج على أن يدخلوها عُزلاً

(هتافات .. ويعود صلاح الدين من الشرفة فيجد الملكة وإيزابيل) .

الملكة : أيها السلطان ها نحن التقينا بأورشليم أخيراً ..

صلاح الدين : أهلاً بك يا سيدتى ..

(الملكة كأنما ضايقها النداء بيا سيدتى بدلاً من مولاتى تتمشى بعصبية)

الملكة : سيدى ..

صلاح الدين : كيف حال القلب .. هل أجدى الدواء ؟

الملكة : إننى كنت على عرش أورشليم إلى هذا الصباح !

صلاح الدين : نحن كنا فى غِنى من كل هذا الدم يا سيدتى !
آه لو سلمتها من بعد حطين إلينا .

الملكة : هكذا كان ولن ينفع من بعد ندم

صلاح الدين : ما أراد الله كان

الملكة : النسور الحمر ألقت ظلها الدامى علينا ..

محمود : عندما نستشرف الفجر وراء الليل يبدو من بعيد
مثل طوفان حريق أو ظلال من دماء ..
ثم تنساب الحمامات الوديعات الجميلات يرفرفن بأجواز الفضاء ..
والعصافير تغنى للشروق .. وتغنى من جديد !

إيزابيل : (تقاطعه هامسة لأختها) إنه ينظر لى فى لهفةٍ هذا الفتى !
الحمامات الجميلات الوديعات ؟! الفتى يقصدنى !

(إيزابيل التى تظهر دائماً فى ثياب تكشف عن صدرها .. تختفى وراء الملكة وتحاول أن تدارى عريها ، وتتحسس خصرها والصدر العارى) .

الملكة : (تقدم إيزابيل) إيزابيل أختى .. إنها أصغر منى !

صلاح الدين : (متبسطاً) هدئى روعك .. يا أختى فى الله .. اطمئنى .
نحن لا نأكل لحم الفاتنات
أيةً كن (ضاحكاً) ولو كن كحلوى أورشليم !

إيزابيل : (لأختها) بدأ الفارس يا أختى يهاجم ،

إنه يستفتح الهجمة يا أختى بشئ من غزل ..

الملكة : أعذروها إن للموقف هيبة ..

محمود : إن للقادم رهبة !

صلاح الدين : اطمئنى يا فتاة ..

إيزابيل : إننى سيدة يا سيدى .

صلاح الدين : أسبل الله عليك الستر فى عصمة زوجك ..

إيزابيل : أى ستر وأنا لم ألقه منذ زمن ؟
إنه من يوم عكا نائم فى الأسر عندك .

(ضحك)

الملكة : إننى أطمع فى نبلك أن تتركنا
نخرج فى أمن إلى صور غداً ..

محمود : يا لصور .. !

صلاح الدين : فى أمان الله . هل عندكما المال الذى يكفيكما ؟

إيزابيل : (بغطرسة وعصبية وهى تتأود) عندنا مال كثير ..

لم نجئ نطلب إحساناً ولا ...

الملكة : (مقاطعة) إنها طائشة .. معذرة

إنه السن الصغير !

صلاح الدين : لا عليها أو عليك .

الملكة : أترى أطمع فى نبلك أيضاً ؟

إن زوجى منذ حطين أسير

وأنا أشعر (تتلعثم) فى مثل ظروفى .. أننى ...

صلاح الدين : أطلقوا جى ملك القدس القديم ..

إيزابيل : (فى عصبية وهى تتأود وتضرب الأرض)

وأنا فى فورة العمر وأخشى أن أزل ..

أفلا تطلق لى زوجى أيضاً ..

محمود : (هامساً لمن حوله) هذه البنت مصيبة !

الملكة : (لأختها) لا تقولى مثل هذا الفحش فى حضرة سلطان عظيم ..
لم تعودى طفلة بعد ولا أنت من الصنف الرخيص المبتذل ..
أنت يا أختى أميرة .

إيزابيل :   أنبينى دائماً حتى هنا ..
أى عيب عندما أجهر بالشوق لزوجى ؟

صلاح الدين : حفظ الله عليك تاج طهرك

إيزابيل :   تاج طهرى ؟ ما الذى ينفعنى من تاج طهرى ؟
إننى أطلب زوجى !

صلاح الدين :   إن حسن المرء محسوب عليه وهو من خير النعم .
فإذا لم ترعه العفة والطهر غدا شر النقم

إيزابيل :   (بعصبية وقحة) أفلا تفهم معنى
أن يغيب الزوج عن حسناء فى سنى شهوراً وشهوراً ؟!
أفلا تفهمها .. افهم يا أخى !

محمود : (متفجراً) اضربى السلطان كفين .. تعالى فاضربيه !

أوَ هذا أدب النسوة فى عرف الصليبيين .. أم ..

صلاح الدين : (وهو يغالب ضحكه)

ليس من حقك يا محمود أن تصنع هذا

مع إحدى السيدات .

محمود : وهى هل من حقها ما قالت اللحظة لك ؟

أترى من حقها أن ترفع الصوت عليك

(يمشى بعيداً فى ضيق)

أم تراها تشتم السلطان والواحد منا

واقف كالنذل لا يزجرها أو يتحرك !

صلاح الدين : هى ليست قائداً أو فارساً مثلك كى تغلظ فى القول لها .

إيزابيل : إننى فارسة يا سيدى ، ولقد حاربتكم ،

فإذا ما شئتَ بارزتُ فتاك

محمود : أأنا أرفع سيفى فوق حُرمة ؟

إيزابيل : يا جبان !

محمود : (بلا غضب) أجبان أنا ؟ .. لا .. (يضحك بثقة)

إيزابيل : (متحدية ببطولة) فلتبارزنى إذا ما كنتَ حقاً لم تخف

محمود : إن للسيف كرامة ..

فإذا شئتِ قتالاً فتعالى لابطينى

(يفتح ذراعيه ويتقدم منها .. كمن يستعد للصراع وهو يضحك)

لابطينى (ضحك) لابطى .. ألبط بك الأرض هنا !

إيزابيل : (تجرى لتختفى وراء أختها)

أدركينى إنه يأخذنى غصباً أمام الآخرين .

الملكة : فلتكفى عن سخافاتك .. من عاداتهم أن يمزحوا

(ثم لصلاح الدين) أترى أطمع فى عطفك أيضاً !؟

محمود : (ساخراً) اطمعى

(ثم لإيزابيل)

أفلا تطمع مولاتى فى نبل صلاح الدين أيضاً .. ؟

الملكة : مع زوجى عدد من أمرائى السابقين

صلاح الدين :   أطلقوهم كلهم من أجلها

(ثم للملكة)

فإذا هم شهروا سيفاً علينا بعد هذا ؟ .

الملكة : إنه عهدى أمام الرب : ألا يرفعوا سيفاً

وألا يدخلوا حلفاً عليك

اعتبر زوجى منذ اليوم إن أطلقته عبداً ومملوكاً لكم ..

لكن هو حر بجوارى

إيزابيل : هيه .. وزوجى ؟ لِمَ لا يصبح حراً بجوارى ؟

محمود : هذه البنت هلوب ! مالها مسعورة ..

اصبرى .. الهم كثير ..

صلاح الدين : أطلقوا زوج الأميرة ..

(إيزابيل تتراقص بسعادة وتجرى إلى صلاح الدين كأنها تريد أن تقبله ، صلاح الدين يردها بإشارة من يده ضاحكاً) .

صلاح الدين : لستُ والله ألابِط !

إيزابيل : أصحيح سيعود الزوج لى ؟ .. ألف شكر يا أمير المسلمين ..

محمود : اسمه السلطان .. لا تخترعى .. !

صلاح الدين : اختر لك يا محمود من خيرة فرسانى رجالاً يحرسون الملكة .

الملكة : (مأخوذة) ما زال يقول .. الملكة !

صلاح الدين : أحرسوا الموكب حتى يضعوا أقدامهم لطريق آمن يفضى لصور

إيزابيل : (لصلاح الدين) سيدى اختر رجلاً آخر غير الرجل الثرثار هذا
إنه ينظر لى منذ دخلت .. وهو ما زال فتياً وجميلاً
إن فى نظرته شوقاً غريباً للنساء .
كل عينيه شبق !

محمود : هكذا ؟ فلتعفنى أرجوك منها !

صلاح الدين : ولماذا يا فتى .. ؟

إيزابيل : إنه حسن الصحة جذاب ومهذار ، عليم بالذى يفتن أنثى ! ..

الملكة : (لإيزابيل) . احترمى نفسك .. ما هذا ؟ كفى ..
لم تكونى هكذا من قبل قط .

إيزابيل : ربما رُقتُ له يا سيدى
وهو معذورٌ إذا ...

محمود : (يضحك مقاطعاً) ضاع دينى يا صحابى .. أدركونى ،
ما الذى يجعلها تنظر فى عينى ووجهى وكيانى ؟
أيها السلطان فليذهب سواى ..

صلاح الدين : ولماذا ؟

محمود : ولماذا ؟!! افرضوا أنا وجدنا زوجها أضعفه الأسر .. افرضوا
إنها قد هددتنا من قليل أنها تبحث عن أى رجل !

(ضحك)

صلاح الدين : ليس من حقك أن تطعن بالإفك عفاف السيدة .

محمود : (حائراً) ماذا ؟ أ .. عفاف السيدة ؟ أفلا تبصرها منذ أتت ..
كم تتلعبط !

إنـها عارية ملط وفى أعطافها ألف عفريت معفرت !

إنـها جنية ..

وأنا أعزب من عدة أعوام .. أقِلنى ..

ربما يأتى علينا الليل فى الرحلة .. ليل بعد ليل .. !

إيه .. الشيطان شاطر .

(ضحك)

صلاح الدين : إننى أعرف من أنت .. فسِر ..

فى أمان الله سِر ..

(إيزابيل تحاول أن تنطق ، فتقاطعها أختها) .

الملكة : قلتُ كُفِّى عن سخافاتك .

(لصلاح الدين) شكراً ...

إيزابيل : (لمحمود) احترس يا أيها الفارس أن تنظر لى حين أغفو أو أنام ..

محمود : أنت أيضاً احذرى أن تنظرى لى وأنا صاحٍ ..

وهذا الثوب .. يعنى .. خاطه والله خياط مغفل !

هو لا يصلح للرحلة والحراس مهما يكن الأمر بشر !

إيزابيل : أنت يا هذا لطيف !

محمود : آه .. !! .. بدأنا ..

الملكة : انزعى ثوبك هذا الأنثوى وارتدى حلة فارس .

إيزابيل : (بدلال) إنها أكثر إغراء لهذا العربى !

محمود : لا تخافى .. إنما حُسنكِ غربى وحلوى مصر أشهى بكثير ..

الملكة : (لصلاح الدين) سأظل العمر يا مولاى أشكر ! ..
فاضل أنت مبارك ..

(تنحنى قليلاً ، يودعها صلاح الدين وتخرج مع أختها وخلفهما محمود) .

صلاح الدين : (ضاحكاً) احذر الشيطان يا محمود ، كن أشطر منه .

(ضحك)

محمود : (ضاحكاً) إنما موعدنا الصبح .. وما الصبح بعيد

إنما الصبح قريب

(يخرج مسرعاً)

صلاح الدين : (يتأمل الشمس ، إنه الغروب الآن) .. حان ميقات الصلاة ..

فليؤذن للصلاة ..

أطلقوا الصوت الذى لم ينطلق منذ سنين ..

واقرعوا الأجراس فى كل الكنائس ..

زينوا أبراجها ، فرحة بالنصر والفتح المبين .

وهلموا للصلاة .. الله أكبر ..

(إظلام وضوء على أبواب مدينة صور ، البحر والليل والعاصفة والقلاع والحصون والأسوار الصماء .. الأبواب مغلقة .. كل شئ صارم .. السور شبه دائرى بعرض المسرح كله .. على جانبيه ثلاثة طرق .. طريق إلى اليسار .. وطريقان متوازيان إلى اليمين .. فى اليمين بين الطريقين قلعة بها مسكن كونراد ، بها نافذة مضيئة مغلقة فوق الأبواب .. صلاح الدين والعادل وعيسى يدخلون من اليمين يتحسسون المدينة بأعينهم)

صلاح الدين : لم تعد صور مدينة

العادل : إنها قلعة حرب .. كم حصونٍ وحصون !

صلاح الدين : لم يعد فى ظاهر البلدة حراس .. فهم ملء القلاع .

عيسى : أصبحت كالصخرة الملساء لا ينفذ منها .....

صلاح الدين : إن بين الصخر ما يصدع من خشية ربى ..
إن منه ما يلين !

عيسى : لعنة الله على المركيز كونراد !
كيف يبنى كل هاتيك القلاع الشم فى وقت وجيز مثل هذا ؟

العادل : آه لو لم يترك السلطان أسراه يفيضون لصور !

(ما زالوا يتأملون وصلاح الدين يتمشى وحيداً) .

العادل : وغداً يقبل ريتشارد على رأس الأساطيل بأبراج وآلات حديثة
وجيوش لاثنتى عشرة دولة : إنهم يستريحون بقبرص ! ..

عيسى : يا يسوع .. اجعل الخير الذى يصنعه الخيّر حصناً
يحتمى فيه أمام الشر لا مقبرته .

صلاح الدين : (عيناه على البحر كالحالم)
آه لو أركب هذا البحر يوماً ..
آه لو أرفع راياتك يا ربى على كل الجزر ! .

إنها الآن مباءات ظلام ومحطات بغاة ..

آه لو تصبح يا ربى منارات إخاء ومحبة ! .

آه لو أجعل هذا البحر شريان سلام يغمر العدل عبابه ! .

وإذن لم يقذف البحر علينا كل يوم بالغزاة !

وإذن لغدا البحر كما سخرته للخلق مجرى للتجارة ! .

وإذن لازدهر العمران فى الأرض التى خربها العدوان بغياً

وزهت فيها الحضارة ..

(يلتفت إلى عيسى والعادل) يا رفيقىَّ سأمضى أنا وحدى .

عيسى : أنت وحدك !؟

صلاح الدين : ابقيا وامتحنا الأسوار من ناحية أخرى .

العادل : (مقاطعاً) كيف تمضى وحدك الآن ؟! لقد كنتَ مريضاً .

عيسى : لم يكن من رأينا أن تركب الليلة لكنك آثرت تحدى العاصفة

صلاح الدين : عندما أركب أشفى ..

عجباً لى أكره الحرب ولكن

لم أعد أشعر بالقوة إلا

فى مثار النقع والخيل يحمحمن جـِماحاً

والنسور الحمر يزحمن الفضاء

وصليل السيف فى الأذن كموسيقى السماء

آه كم ذا شاقنى هذا جميعاً

ضربات الرمح فوق الدرع والشمس على الخوذات تسطع

والصيحة تعلو : الله أكبر .

(يخرج صلاح الدين من أدنى اليمين)

العادل : ربنا ارزقه من الصحة والأمن ومن نصرك ما يجدر به .

عيسى : إنه فارس الآمال .. فليحفظ يسوع طرقاته .

العادل : مِل بنا نمتحن الأسوار من ناحية أخرى تعال .

(يخرجان من أقصى اليمين .. بينما يقبل من ناحية اليسار الملك جى والملكة ، مهلهلين أشعثين يتأملان الأبواب المغلقة فى حسرة وغضب) .

جى : (بيأس) هل عدت تغلق دوننا أبواب صور أيها المركيز كونراد ؟!

(يقرع باب كونراد) .

الملكة : (آمرة) افتح لنا أبواب صور يا أمير مدينتى .

جى :   أنا جائع .. يا للهوان ..

(يحاول أن يغطى الملكة ولكنها تفلت بعصبية وتدق باباً آخر)

البرد يفتك بى وبك !!

الملكة : يا أهل صور أنصتوا ..

أنا ذى مليكتكم .. مليكة أورشليم ..

فلتفتح الأبواب .. صاحبة الجلالة أقبلت .. أين النفير ؟!

(تقرع بشدة بينما تتعالى ضحكات كونراد من مسكنه مختلطة بضحكات أنثوية)

جى : من أى شئ قـُدَّ قلبك يا أمير ؟ ..

أمن صخور القلعة الصماء ؟ .. فلتفتح لنا

افتح .. أنا الملك افتحوا أبوابكم .

الملكة : يا أهل صور ، يا رجال مدينتى ..

فرسان أورشليم ، يا من تربضون وراء أسوار القلاع لقد أتيت !

(الضحكات الماجنة تتعالى من خلف نافذة كونراد والملكان يقرعان الأبواب)

جى :   فى أى شرع تتركون ملوككم تحت العواصف

فى العراء بدون مأوى

يستصرخون بدون جدوى ؟

(كونراد يفتح النافذة ويطل منها بقميص مفتوح عن صدره العارى .. وبيده كأس ..)

كونراد : (ساخراً) يا أيها الملك الشريد اذهب إلى دير بعيد ..

أو فلتعد للأسر فهو أعز لك

الملكة : يا أيها المركيز لا تسخر بمولاك المبجل !

افتح له الأبواب واستقبله منحنياً .. أطع فهو الملك .

كونراد : (يجرع الكأس ضاحكاً حتى ليشرق فيسعل)

ملك على هذا العراء !

(لجى) لا تأت بعد .. اذهب إلى دير بكلبتك الأمينة

الملكة : ماذا تقول ؟ لـُعِنت ، شؤم منذ جئت .

الشر أنت .. البغى أنت .. الظلم أنت ..

يا أهل صور قد أضلكم الغريب

لا .. لا تسيروا فى طريق مظلم لا تعرفونه ..

أنا ذى أناديكم تعالوا فى طريق الرب وحده !

رباه . فلتتسلق الكلمات والبركات أسوار المدينة !

(كونراد يغلق النافذة وسط قهقهة)

جى : (مستعطفاً) يا أيها المركيز كونراد الجسور !

كونراد : (يفتح النافذة بضيق) يا أيها الملك الحقير

اذهب بزوجتك المريضة للبرارى والتمس ديراً يضمكما معاً

أو رُح لحفار القبور .

جى : (مستعطفاً) أنا ذا أتيت لكى ندبر أمرنا

ونعيد أورشليم للمجد القديم

ستظل فى صور أميراً حيث أنت ..

بل فاستقل إذا أردت بها ، وقد أعطيك بعد ...

الملكة : (مقاطعة) ماذا تقول ؟!

كونراد : أفسدتما ليلى البهيج

أضعتما وقتى الثمين ، وهذه الحسناء توشك أن تعود !

جى : يا أيها المركيز .. فرسانى هنا

وجميع فرسان الصليبيين من كل الإمارات التى سقطت بأيدى المسلمين هنا ..

وتجار السلاح .. وآخرون .. وآخرون !

والبطرق الملعون جاء بكل أموال الكنيسة واستقر بها هنا ..

كل الذين أتوا إلى صور رجالى ..

الكل ينتظروننى .

كونراد : أنت الذى ضيعتَ أورشليم وحدك فاستعدها أنت وحدك

(يغلق نافذته)

الملكة : يا أيها العاصى الأثيم !!

كونراد : فلتنبحا حتى الصباح فلن أجيب .

الملكة : أوَ لم يعد فى ملكنا سقف فيأوينا .. كما يأوى الغريب ؟!

أين الرعايا المخلصون ؟

(تصيح) يا أهل صور أيها الفرسان يا أبناء مملكتى المضيَّعَة

اسمعوا ...

أنا ذى أعود !

جى : فلترحموا الملك الطريد ! .

فلتدركونى يا رعايا أورشليم ..

أنا ذا أعود .. لقد أتى الملك العظيم ! .

لله كيف كيف تحول الملك العظيم هنا لأفاق شريد ؟!

قد كنت فى أسرى المهين

أعز منى الآن منبوذاً بباب مدينتى !

(ثم ينهار) إنى تعبت من التشرد والهيام !

الملكة : (منتفضة) فرسان مملكتى الجسورين الأعزاء اسمعونى

طوبى لمن طردوا لأجل البر ، والويلات واللعنات تسحق كل صناع الشقاء ..

هم هكذا طردوا جميع الأنبياء ..

لكننى يا كل فرسان الصليب الأوفياء

أنا ما أتيت إلى مدينتى التى أنقذتها

بجميع ما يسع المضحى أن يجود به لأطرد أو أعذب ..

أنا ما أتيت هنا لأصلب !!

(آمرة بعظمة) فلتفتحوا أبوابكم لجلالتى فلتفتحوا خدام تاجى ..

أنتم إذن تعصوننى ! تتمردون علىّ ! ، إنذار أخير

فلتفتحوا أبوابكم لجلالتى .. (صمت)

لا رد .. ما من واحد منكم يرد .. ! ..

وإذن فقد وجب العقاب ..

سيجيئنا ريتشارد عاهل غرب أوربا بكل جيوشها

يا أيها الملك الشموخ تعال ، أقبل بالجحافل بالحشود

بمئات آلاف الجنود ..

أقبل بأبراج الجحيم ..

لتعيد أصحاب الضلال إلى الصواب ..

لتعيد لى مُدنى التى رفضت وجودى

وتحصنت ضدى بأسوار العصاة الخاطئين ..

لتؤدب المتمردين ! .. أتسمعون ؟!

ستلين لى صور وتركع تحت أقدامى الحصون ..

ولسوف تعتذر المدينة لى بكل صغارها وكبارها ..

ولسوف تسجد لى ُذرَا أشجارها ..

أتسمعون ؟ لسوف أصلبكم على أسوارها !!

جى : (ما زال منهاراً) يا زوجتى إنى جهدت .. الجوع والأمطار ،

والريح اللعينة .

ميلى بنا كى نستريح وراء هذا السور نلتمس الفرج !

فإذا هم فتحوا لتخرج هذه الـ ...

الملكة : (تقاطعه وهى تسير) لكأننا بعض العصاة

تمرغوا مستغفرين على التراب أمام سور دون معبد .

والكاهن السكران لا يصغى

وقد غمرت ضراعتهم مقارعة الكئوس وضجة الضحك المعربد ! .

(يخرجان من أقصى اليمين حيث خرج العادل وعيسى من قبل ، يفتح باب كونراد ببطء وتخرج منه امرأة شابة وراءها وصيفة .. كونراد فى النافذة ، المرأة فى الطريق تشير له بيدها وهو يشير لها)

كونراد : غداً فى مثل هذا الوقت .

المرأة : يا كونراد .. تأخرت .. أنا أبعد عن صور بميلين .

كونراد : غداً فى مثل هذا الوقت

المرأة : سآتى بعد يومين

وسوف يغيب عنى الزوج أسبوعاً سأقضيه هنا عندك ..

(تشير إليه بيدها ويرد تحيتها ويغلق النافذة)

كونراد : يا لأميرتى الحسناء .. ما أخلصها زوجة !

المرأة : (للوصيفة) أسرعى أنت إلى مركبتى كى توقظى سائقها

(تقبل إيزابيل من اليسار فى حلة فارس صليبى .. ترى المرأة ووصيفتها ويريانها . تسرعان وتخرجان من أدنى اليمين من حيث خرج صلاح الدين من قبل) .

إيزابيل : (لنفسها وهى تتابعهما) ويحك أيها الفارس يا كونراد دى مونتفرات ..

ألا تكفيك واحدة ؟! تماماً كأمير الكرك !

ولكنهما فى الحق من أجمل من شاهدت ..

(تتحسس نفسها) ولكنى .. أنا أجمل .. ! ..

(ثم تقف تحت النافذة تنادى بأعلى صوتها)

يا كونراد دى مونتيفرات

يا معقد آمال الصليبيين ! .

يا كونراد أدركنا ! . دع اللهو وأدركنا !

(كونراد يفتح الباب ويقبل مندفعاً وقد غطى جسمه بعباءة وهو عارى الرأس)

كونراد : كفكف رنة الأنثى التى تفلت من صوتك يا مملوك

إيزابيل : الأنثى ؟! أنا فارس .

كونراد : ومنذ متى غدا الغلمان فرساناً ؟

(يلف حول إيزابيل متعجباً)

ما هذا ؟ بحق الله ما تلك الفروسية ؟!

لم أشرب بما يجعلنى أسكر ! .. يا لله ! لو لُخِّص ما فى نسوة العالم

من حُسن وإغراء

وصيغا فى كيان واحد فاتن ....

إيزابيل : (تقاطعه) ما جئت لهذا الأمر !

كونراد : (غاضباً) أنا مالى وذاك الأمر !

إيزابيل : هرعتُ إليك أستصرخ أن تنقذ أفواج الصليبيين
مما وقعوا فيه ..
فما وصلت إلى صور سوى القلة .

كونراد : أأمنّـهم صلاح الدين ثم انقض ؟!

إيزابيل : بل أعطاهم الأموال والزاد ..
ولكن بعض فرسان الصليبيين
ينقضون فوق مواكب الهجرة يا مولاى
يسْبُون الجميلات ويسطون على الأموال والزاد

كونراد : سأرسل بعض فرسانى منذ الغد
كى يأمن من يأتى إلى صور .

إيزابيل : لقد مات كثيرون .. وأوغل بعضهم فى التيه ..
منهم زوج إيزابيل وريثة عرش أورشليم .

كونراد : (مبتهجاً) ما أجمل ما قلته !

(يضربها على ظهرها بعنف) .

إيزابيل : أى (لنفسها) تماماً كأمير الكرك !

كونراد :   أى ؟ .. (ضاحكاً) مالك يا فارس مثل الزبد ؟
تعال .. (يجذبها بعنف) تعال كى نشرب نخب النبأ المبهج .

إيزابيل : وما المبهج فى هذا ؟

كونراد : (يصفق) إبريقاً من الخمر وأقداحاً .. عجل أيها الساقى

إيزابيل : أنا لا أشرب الخمر

كونراد : ستشرب أيها المملوك غصباً عنك حتى الفجر

إيزابيل : حتى الفجر ؟! حتى الفجر !!

كونراد : أمات الفارس الفاتن زوج وريثة العرش .. !؟

إيزابيل : لا بل ضاع منها بعد طول غيابه فى الأسر !

(يحضر الساقى بإبريق خمر وقدحين كبيرين ويصب الخمر ويقدم لكل منهما قدحاً ، ويشربان والساقى يخرج)

كونراد : لماذا لم يمت ويحه ؟!

إيزابيل : لقد جئتُ أستعطف مولاى
لكى يبحث عن هذا الفتى الضائع ..
فإيزابيل قد جُنت من الحزن على فقده ...

كونراد : الحمقاء !! ما يعجبها فيه ؟!
فلترم فتاها الخائر المائع ، تضمن عرش أورشليم .

إيزابيل : معذرة .. ولكن كيف ترميه لكى تعتلى العرش ؟!
هذا ليس من أخلاق إيزابيل .

كونراد : وما يعجبها فيه ؟ هذا فارس أشبه بالأنثى !!

إيزابيل : (لنفسها) تماماً كأمير الكرك
(ثم لكونراد) فى قولك بعض الحق .

كونراد : إن المُهرة الخالصة العنصر ترمى الراكب الفَسْل

ولا تنصاع إلا عندما تشعر بالقوة

فى ضمة ساقى راكب باسل .

إيزابيل : (لنفسها) تماماً كأمير الكرك .. أحب الرجل السوقى ..

(ثم له) هذا القول يا مولاى فيه بعض سوقية !

كونراد : (زاجراً) اخرس .. ولدٌ أحمق !

إيزابيل : (لنفسها) أحب الرجل السوقى .

كونراد : لقد أقسمت أن أجعل إيزابيل على عرش أورشليم

بديلة أختها الملكة .

إيزابيل : (حالمة) على عرش أورشليم ! هذا حلم جائر ..

غفرانك يا أختى !

(لكونراد) ومن سيشارك الحسناء هذا العرش

كونراد : من غيرى يا ثرثار ؟! من فارسها غيرى

(يتمشى بعيداً) تلك المهرة الحسناء !

إيزابيل : (لنفسها) سوقى لأطراف أنامله وهذا سر فتنته

(ثم له) فإن لم تـُرضِها زوجاً ؟

كونراد : (ضاحكاً) أترفضنى ؟ ... وقد كانت عشيقة ذلك اللص

أمير الكرك ؟

إيزابيل : من ذا قال هذا لك ؟! فقد كنتَ بأوربا ..

كونراد : هذا الأمر معروف ولا يجهله فى هذه الدنيا سوى الملكة !

إيزابيل : وإن هى لم ترُق لك زوجةً من بعد ما أصبحتَ

معبود جميلات الأميرات الصليبيات يا مولاى

كونراد : يا جاهل لو شاهدتَ إيزابيل لم تسأل ! لقد شاهدتها يوماً ..

ما زلتَ صغير السن كى تفهم ماذا يفعل الحب

إذا سيطر منذ النظرة الأولى ..

حين يصادف الإنسان قد ُأتخِم باللذات

أنثى كل ما فيها جديد بعد .. !

إيزابيل لا تنسى ..

(كأنه يناديها على البعد وهو يقذف بالقدح الفارغ) إيزابيل ؟!

إيزابيل : (وقد نسيت نفسها) .. نعم ..

(ثم تستدرك فتضحك ويسقط القدح الفارغ من يدها وتنحسر عنها الخوذة العسكرية فيسترسل شعرها) أولا .. لا ... نسيت .. أنا ...

(وتضحك وتكشف عن نفسها)

كونراد : (يتأملها) لم أشرب من الخمر بما يجعلنى أسكر ! .

(ويتقدم إليها ويمسكها بسوقية) .. إيزابيل !! يا فارسة المتعة ! ..

إيزابيل ...

إيزابيل : (بدلال) أنا والليل والوحدة والبحر

كونراد : (يحاول أن يطبع صوته بنغمة شعرية) وعيناكِ وأحلامى .

إيزابيل : (ضاحكة بمجون) يا للفارس الشاعر !

كونراد : وهذا السحر ..

(يقبلها فجأة فتنقلب غاضبة) .

إيزابيل : (غاضبة) أنا استخفيتُ فى ثوب الفروسية

كى أنجو من أطماع أمثالك

أتحسبنى سأستلقى وأستسلم إذ قبلنى كونراد ؟! يا لغرورك الشائن !

كونراد : لا بجمالك الوهاج إيزابيل ..

بهذا الرأس لم يُخلـَق لغير التاج

ما عبرتُ عن شئ سوى حبى

(يتحسس شعرها)

إيزابيل : (ساخرة بدلال) ! إعلان عن الحب ولمّا ...

كونراد : (مقاطعاً بلهفة) بهذا الدفء من حولك

بهذا السحر فى عينيك فى نهديك فى عِطفك

بكل كيانك الوهاج ... إيزابيل يا حبى ..

(يحاول أن يعانقها)

إيزابيل : (ضاحكة) لن تقتحم القلعة من هجمتك الأولى

كونراد : العاصفة الهوجاء والأمطار .. فلندخل

إيزابيل : لن تسقط أسوارى على رغمى ولا حتى أمام الفارس الفاتك

(تضحك)

كونراد : تعالى ندخل الآن إلى حصنى .

إيزابيل : لأنضم إلى ركب عشيقاتك ؟!

كونراد : لا .. لا تظلمى كونراد

(يصفق) خمراً أيها الساقى !

إيزابيل : كفى أوشكتُ أن أسكر من خمرك !

كونراد : ما خمرى وما كل خمور الأرض إن قيست إلى الرشفة من ثغرك

(يحاول أن يعانقها وصوت أقدام تقترب فتفزع)

إيزابيل : من القادم .. ؟

كونراد : لا تخشى .. تعالى ندخل الآن

إيزابيل : (مضطربة) .. فلنسرع !

(تتجه إلى بابه وهو ممسك بذراعها ، من اليسار يأتى الملك جى والملكة)

جى : لقد فتحوا لنا باباً من الأبواب .. فلندخل .

كونراد : إيزابيل يا أجمل حسناوات أورشليم

إيزابيل : (بدلال) أو .. يا فارس الفرسان يا كونراد ! .

(يسرعان إلى الباب هى وكونراد .. ولكن الملكين فى اندفاعهما نحو الباب المفتوح استطاعا أن يريا إيزابيل)

(الملكة تندفع صارخة إلى الباب وكونراد يصفقه بشدة فى وجهها)

الملكة : إيزابيل .. (ثم تنادى بصوت فاجع) إيزابيل !!

جى : إيزابيل فى أحضان من يسلبنا العرش

فهى شريكة فى الجرم

الملكة : (تقرع الباب) إيزابيل .. لا .... لا تصنعى هذا ..

أنت وريثتى فى عرش أورشليم .. إيزابيل ..

لا .. لا تتركى النزوة تلقى بك فى هاوية العار .

إيزابيل .. لا .. لا يا ملاك الطهر .. إيزابيل !!

(تتهاوى)

جى : افتح يا كونراد ..

صورٌ ليست بمدينتك ولكن هى إحدى مدنى ..

افتح أنا ملكك ..

الملكة تسقط إعياءً وتموت هنا صبراً وشقاء ..

أتتركنى أنتظر ببابك تحت العاصفة الهوجاء

وأنت تضاجع أخت امرأتى ؟!

الملكة : (تقف وتتشبث بالباب) إيزابيل .. يا أختى الطيبة القلب ..

مباركة عفتك .. فلا تبتذليها ! باسم ابن الرب !

صونى نفسك !

(ضحكات من الداخل)

كونراد : (من الداخل) إلى ديرٍ صلى فيه ودعينا نحن

(ضحك من الداخل)

(الملكة تقرع الأبواب فى حالة ثورة وتقزز وانهيار) .

الملكة : يا فرسان أورشليم .. إلىّ .. إلىّ ..

يا أتباعى فى صور .. يا ملح الأرض ونور العالم ..

لا يا كونراد .. أنا ذى أضرع تحت جدارك .. دع أختى ..

(الملكة تتخبط .. بينما تتعالى ضحكات إيزابيل وكونراد من الداخل فى خلاعة)

لا تجعل مجدى عاراً .. لا تجعل مجدى عاراً .

(تقرع صدرها ورأسها ثم تنهار تماماً)

إيزا .. بيل .. إيـ .. ـز .... ا .. بيل !

(إظلام ثم أمام مخيم ريتشارد والضوء يغمر المكان . فيليب أوغسطوس ملك فرنسا وكونراد)

كونراد : لا يا ملكى .. لا يا ملك فرنسا الباسل ..

كيف تعود إلى وطنك وهنا الثمرة قد نضجت ؟ .

بعد قليل تصبح أورشليم لكم ،

ويصبح لى ولإيزابيل العرش هناك

ونحن رعاياك الخلّص .

أتترك هذا المجد يئول لإنجلترة ؟ إلى ريتشارد ؟

فيعيد إلى عرش أورشليم جى المقهور المتردد ؟!

فيليب : بى غثيان مما يجرى .. بى سأم ! ..

فهناك ورائى فى وطنى بعض أمور تقلقنى ..

وهأنذا فى الشرق هنا يستأثر دونى بالسلطة ريتشارد كأنى ...

كونراد : (مقاطعاً) ابق لتصبح أنت هنا قائدنا الأعلى

فيليب : فرنسا تغلى بالعصيان .. وعرشى يوشك أن ينقض !

(تأتى إيزابيل)

إيزابيل : كرر ريتشارد الدعوة !

وسيأتى الآن صلاح الدين يفاوض ريتشارد .

فيليب : استأثر بالرأى فأرسل يدعو السلطان العربى ..

كأنى دوق فى دولته لا ملك غربى مثله .

إيزابيل : بل أعظم منه وأقوى يا مولاى ، وأجمل !

(ضاحكة بدلال)

كونراد : لن يصل إليه صلاح الدين !

فيليب : (فجأة) اسمع يا كونراد .. ضارب أنت على ريتشارد .

كونراد : ماذا تعنى يا مولاى .

فيليب : ألم تتعلم شيئاً من تجار فرنسا يا مركيز ؟!

أى نجاح يرجوه ريتشارد اليوم ؟!

أن يسترجع أورشليم !

وبهذا يصنع معجزة لم يصنعها أحد غيره

إيزابيل : لن يغزو أورشليم سواك

فيليب : (مستمراً) .. وما جدواها أورشليم إذا لم ننشئ دولتنا فى هذا الشرق ؟

إذا لم نستول على طرقات الهند ونمتلك البحر الأحمر ؟

كونراد : هذا حق يا مولاى !

فيليب : فاحذر أن يتفق صلاح الدين وريتشارد ..

هو يأمل فى الهدنة فوراً .. حسن جداً ! ..

فلنضرب أمل الهدنة !

إيزابيل : لن يرضى السلطان العربى المغرور بهدنة

فيليب : فكر يا مركيز قليلاً .. فكر ..

ما هو شرف صلاح الدين ؟! أورشليم !!

هو لن يترك أورشليم وفيه عرق حياة ينبض .. !

كونراد : أقسمتُ بربى أن أحرقه حياً فى مسجدها الأقصى

فيليب : لن يحدث هذا يا مركيز فلا تحلم ..

فاوض أنت صلاح الدين .

إيزابيل : (باستنكار) أيفاوضه يا مولاى !

فيليب : (بضيق) ألا يعرف كيف يفاوض ؟!

كونراد : ولكن كيف ؟ وقد حرضتُ عليه من يغتالونه ؟!

فيليب : هذا عبث لا ينفعك فلن تنتهى الحرب بموته !

هذا أتفه مما يجدر برجاحة عقلك ..

فاذهب من فورك فلتمنعهم من قتله ..

(كونراد لا يجيب)

إيزابيل : أطع مولاك ، ولا تتردد .. أسرع .. أسرع

(كونراد لا يتحرك)

فيليب : ألقِ إليه بأورشليم لتشبع فيه زهو المسلم ! .

خذ بدلاً منها مدناً تصلح مع صور

لتكوّن دولتنا المرتقبة فى هذا الشرق العربى ..

ثم طريقاً للبحر الأحمر .. وتزوج إيزابيل ..

فعلاقاتكما لا ترضى أحداً وهى تثير علينا لعنة ريتشارد المتزمت ..

أتفهم أنت ؟!

تزوج إيزابيل اليوم

وأعلن أنت تنازلها عن عرش أورشليم الضائع

وبهذا تضرب عصفورين بحجر واحد .

إيزابيل : أفهمت الخطة يا كونراد ؟

تصالح أنت .. وأغرِ صلاح الدين بريتشارد .

فيليب : وحرض ريتشارد المفتون لكى يجتث صلاح الدين ..

وأغرِ صلاح الدين بريتشارد

لكى يضعف الاثنان معاً .. وتعيش قوياً فى مملكتك ! .

كونراد : عرفت العلة يا مولاى عرفت العلة .

فيليب : العلة فى أنك أعمى وصديقتنا لا يشغلها شئ مثل مفاتنها !! ..
العلة فى أنكما لا تريان لأبعد من أستار الخدر .. اذهب !

إيزابيل : (لكونراد) أسرع قبل فوات الأوان لتمنعهم من قتل السلطان العربى .

فيليب : حياة الرجل تفيدك فى كل صراعك أكثر من موته .

كونراد : هذا حق .. هو ليس بريتشارد ! ..

فيليب : (ضاحكاً) إن كنتَ مشوقاً أن تقتل فأمامك ريتشارد

(ضحك وتأتى الملكة دون أن يشعر بها أحد)

إيزابيل : ومتى يرحل مولاى الملك الفاتن ؟

كونراد : صباح الغد .

إيزابيل : فالليلة .. ليلة إيزابيل !

كونراد : إيزابيل .. بالغتِ قليلاً فلترعى حرمة كونراد !!

فيليب : هذا شئ يسئمنى .

إيزابيل : أفى هذا الليل الصيفى الشرقى الأخاذ الساحر
تسأم أنت ؟
(تضحك بدلال)
أمعى تسأم .. لا يتكرر شئ منى حتى تسأم ..
لا .. لا شئ هنا يتجمد ..
إن الليل معى يتجدد ..
ضوء القمر معى يتجدد ..
متاع الحب معى يتجدد ..

(تضحك بخلاعة) .

الملكة : إيزابيل ! ويحك
أإلى هذا المدى هُنتِ على نفسك ؟! ويلك !
من فراش لفراش ؟! .. أى فحش أى فحش !

فيليب : (غاضباً) إن شأن الملكات عندما يُقبِلن أن يُعلِنَّ عن مقدمهن .

الملكة : (لإيزابيل) أعلى مستنقع الفحشاء يُرسِى أحدٌ أركان عرشه ؟!

فيليب : أجواسيس علينا ها هنا ؟

كونراد : هى جاسوسة ريتشارد !

الملكة : أأنا جاسوسةٌ يا سيدى ؟

عندما يفحش المركيز فى القول فهذا طبعه يغلبه .. أما الملك ..

(يغلبها انفعالها)

فيليب : (ثائراً) أهو درس فى السلوك ؟

الملكة : (وهى تنصرف منفعلة) . إنه لن ينفعك !

إيزابيل : عرفتْ أختى أكثر مما ينبغى !

كونراد : هى لن تنجو منى بالذى تعرف عنى .

إيزابيل : (تنظر إلى حيث انصرفت الملكة) .

أأنا مفحشة .. أى فحش (تبحث عن اتهام)

أنت يا من .. أنت معشوقة ريتشارد ..

أنت يا من سلمت لصلاح الدين حتى عرشها .

كونراد : بديع .. من هنا مقتلها !

سلمت لصلاح الدين حتى نفسها ..

إن ريتشارد تقى باطش فى كل ما مس الشرف !

(إظلام .. ثم فى مخيم صلاح الدين .. صلاح الدين والعادل)

العادل : كسرتنا تلك الأبراج .. وما من شئ قاومها !

صلاح الدين : فى هذا يبحث كيمائيو دمشق والقاهرة جميعاً .

عسى أن يجدوا ما يحرقها ..

نسألك اللهم التوفيق

(يدخل عيسى واجماً)

عيسى : يكرر ريتشارد الجبار الملعون المتغطرس دعوة مولانا السلطان إليه

العادل : لا .. لن يذهب .. ذلك وحش منتصر يزهو بالنصر

صلاح الدين : أأذل له إن رحت إليه ؟

عيسى : من رأيى ألا تذهب

صلاح الدين : إن كان يريد سلاماً حقاً .. فلأذهب .

عيسى : بل هو يستعرض قوته لا أكثر

صلاح الدين : أيهما أولى حقن الدم أم حفظ المظهر ؟

العادل : المظهر أحياناً جوهر .

صلاح الدين : أنا إن رحت له أفأنزل عن حق يتعلق بى أو تجب علىّ رعايته ؟!

عيسى : هو حق كرامة أمتنا

العادل : للهيبة حق يا مولاى

صلاح الدين : لن أنزل عن حق الأمة ..

لكن أنزل عن كبرى وغرورى .. عن زهوى الكاذب ..

العادل : بل عن شرف فروسيتنا

صلاح الدين : (مستمراً) لأحفظ ما هو أولى حقاً برعايتنا

عيسى : لكنك تبخس نفسك وتعرّضها ...

صلاح الدين : (مقاطعاً) أعرف ... أعرف ... سأحمل سخرية السفهاء ..
سأحمل تهماً بالباطل ..
وما هذا إلا تضحية منى .. تضحية لا تذكر .
كى أحفظ ما هو أكبر .. سواى يضحى بحياته !

العادل : ذهابك تضحية فادحة يا مولاى !

صلاح الدين : أيبعث فى طلب الهدنة وأنا محتاج للهدنة
ويأبى لى صلفى أن أذهب ؟!

عيسى : ستهدر أغلى ما نملكه وهى كرامتنا الحربية

صلاح الدين : أنا إن رحت فماذا أهدر ؟!

أمزيداً من خضرة أرضى تحرقها نار الأبراج ؟

أمزيداً من دم شعبى أم أنا أحقن هذا الدم

وأصون نضارة تلك الأرض ؟

أأهدر عِرضى ؟ أم أنا أحمى من ذؤبانهم المسعورة هذا العِرض ؟!

العادل : ذهابك هذا سيحطمنا ...

صلاح الدين : أن أحمى حتى القطرة من دم إنسان فرد واحد

عيسى : يا مولاى ..

صلاح الدين : (مكملاً) يلزمنى ألا أتردد .

(إظلام ثم داخل معسكر ريتشارد وقد ترأس المجلس وإلى يمينه ملكة أورشليم السابقة وزوجها جى وعلى يساره فيليب وكونراد وإيزابيل وعشرة من ملوك وأمراء أوربا موزعين ! .. إيزابيل عارية الأكتاف والصدر مثقلة بالجواهر كما نراها دائماً .. الملوك والأمراء تحت تيجانهم .. يتقدم كونراد وبيده صليبان أثريان يخطف بريقهما البصر ..)

كونراد : أيها السادة أصحاب الجلالة .

ريتشارد : (مقاطعاً فى تؤدة وفى عظمة وصلف)

أيها المركيز كونراد دى مونتيفرات يا مركيز صور ..

فلتخاطبنى بألقابى وباسمى

(ثم بغطرسة أوضح) ..

إننا ريتشارد قلب الأسد الحامى لأورشليم ذو الحق الإلهى المقدس ..

إننا عاهل أوربا السماوى مليك الإنجليز !

فيليب : (قلقاً) سيدى .. يا صديقى .

كونراد : (منحنياً مع خشوع أمام ريتشارد) قائدى .. مولاى .. عفواً .. زملائى الأمراء

إننى باسم الصليبيين فى الشرق ....

الملكة : (مقاطعة بثقة وتعالٍ) ليس من حقك أن تنطق إلا

باسم صور وحدها يا أيها المركيز كونراد ..

ما تنازلنا لكم عن مُلك أورشليم بعد ! .

لستَ إلا واحداً من أمراء المملكة

ريتشارد : مُلك أورشليم حق الملكة

الملكة : فأنا وحدى التى تملك حق النطق عن كل الصليبيين فى الشرق .. أنا ..

كونراد : (لريتشارد وفيليب) اسمحا لى أنا تعبيراً عن العرفان ،

عن بطريق أورشليم عن فرسان صور

امنحانى شرفاً إذ أحلى صدر كل منكما

بصليب ذهبى أثرى

مات فى ترصيعه مائة من أبرع الصناع ما بين يهودى ومسلم .

(يتقدم إلى ريتشارد فيبعده بإشارة من يده ثم يتقدم إلى فيليب فيتقبل الهدية) .

الملكة : (مشيرة للصليب) إن فى ياقوته الأحمر آثار دماء

وعلى لألائه تسطع حبات قلوب ودموع

ريتشارد : كل هذا باطل يا أيها السادة إن لم تستعيدوا أورشليم

جى : تاج أورشليم ما زال على رأس صلاح الدين ..

يا للعار !! أورشليم فى أيدى العرب !

كونراد : فى غد ترتفع الأيدى بالاستسلام إن نحن زحفنا

فيليب : (ضاحكاً) لم تكن تلك بحرب ..

إنها رحلة صيد يا عزيزى الملك القائد ريتشارد .

ريتشارد : بل هى الحرب كما لم تعرف الحرب أوربا ..

أفلم أجرح بها نحن ريتشارد مليك الإنجليز ؟!

كونراد : (ضاحكاً) أفلا تذكر يا مولاى هذا الفزع الممزوج بالدهشة

يغشى المسلمين

عندما أخذت أبراجنا قاذفة النيران تلقى بجحيم منهمر ؟!

فيليب : (ضاحكاً) صوبوا كل كرات النار والأحجار كى ترتد من بعد عليهم ..

ثم فروا هاربين

ريتشارد : لم يزل من دون أورشليم بحر من دماء .

إيزابيل : حقاً .. من دماء المسلمين !

ريتشارد : قسماً بالرب لولا أن جى جرد جيشاً

منذ عامين ولولا أنه حاصر عكا قبلنا ...

إيزابيل : (مقاطعة) إنه المركيز كونراد ... فاذكروا الفضل لأهله

ريتشارد : (مستمراً) ما استطعنا كلنا أن نتقدم

فيليب : نحن فى الحق مدينون لكونراد .

ريتشارد : أيها السادة لا يفتنكم نصر سريع فى لقاء واحد
واذكروا كم ذا خسرنا .

فيليب : لا تبالغ .. فصلاح الدين لا يؤبه به

ريتشارد : لا تقل هذا فما لاقيتُ مثله

الملكة : كل هذا باطل أيها السادة إن لم تستعيدوا أورشليم

إيزابيل : وإذا نحن استعدناها فمن يحكمها ؟

فيليب : قد ورثنا عن سليمان الحكيم ..
إن من فرط فى ابن ثم رباه سواه فهو أولى بالولد .

ريتشارد : ما استعدنا أورشليم
ليس هذا وقت توزيع الغنائم .

(همهمة من الحاضرين)

الهمهمة : هو كونراد .. إنه المركيز كونراد ..

فيليب : إنما المُلك لمن قام جسوراً يسترده

ريتشارد : لم يزل من دون أورشليم بحر من دماء قلت لك !

فيليب : (مكملاً) لا لمن ضيعه فى غفلة ..

الحاضرون : (كلهم معاً) ليس من يصلح للعرش ، كإيزابيل
وكونراد .. إذا ما أصبحا زوجين فى شرع الكنيسة .

أصوات : دون ريب مَن كإيزابيل ، وكونراد !!

ريتشارد : (مقاطعاً بانفعال) ما استعدنا أورشليم

الملكة : فإذا لم نستعدها فالدم المسفوك باطل

ريتشارد : وانتصاراتى والذعر الذى تصنعه الأبراج فى أعدائنا .
باطل أيضاً .. وقبض الريح ، باطل .. !

الملكة : كل هذا الكبرياء
وصهيل الخيل والأبواق والرايات والشارات باطل ،
وزفيف الريح والطبل المدوى والنفير الملكى ..

كل هذا باطل أيضاً وقبض الريح ، باطل !

ريتشارد : واقتحام الخطر المثقل بالموت ومجدى العسكرى
والأساطيل التى خر لها البحر سجوداً

الملكة : والنذور القدسية

ريتشارد : باطل أيضاً

الملكة : وحتى البركات البابوية

ريتشارد : كل هذا باطل أيضاً وقبض الريح .. باطل .

الملكة : ألم الجرحى وصبر الزوجة الولهى يغيب الزوج عنها لسنين
انتظار الأمهات ، وأنين الثاكلات ، وحنين الفتيات
كل هذا باطل أيضاً وقبض الريح .. باطل .

ريتشارد : جلد الحطاب فى الغابات ، صمت الصامدين .
نظرات اللهفة الحسرى ، بكاء الضارعين

الملكة : ودموعى .. والأنين

ريتشارد : كل هذا باطل أيضاً ، وقبض الريح .. باطل !

هو إهدار لما جاء له ابن الرب ، بهتان وزور .

هو تزييف وكفران إذا لم تستعيدوا أورشليم .

الملكة : إننا نحيا على الغيظ هنا !

إيزابيل : إننا نحيا هنا كالشهداء

ريتشارد : من غد لن تغرب الشمس على غيظكم أقسم لن يرجع عصر الشهداء !

فيليب : بعد ساعات سنجتاح جيوش المسلمين .. استعدوا .

ريتشارد : يا صديقى !! أنت ماض بعد ساعات إلى أرض فرنسا !!

كونراد : الطريق الآن مفروش لنا بالورد والريحان حتى أورشليم .

ريتشارد : طرقات النصر لا تفرش بالورد ولا الريحان يا مركيز ، لا ..

إنما تفرشها جمرات خالدات من جراح الشهداء .

اذكروا أنا خسرنا فوق ما كنا نقدر

جى : إنهم بضعة آلاف

ريتشارد : ولم يخسر صلاح الدين إلا عشرات

الملكة : أسروا منا الكثيرين ولم نأسر لهم حتى ولا نافخ بوق

ريتشارد :   نحن لسنا كصلاح الدين
هذا رجل يغرس الأقدام فى أرض الوطن

الملكة : ولديه كل طاقات البلاد العربية

إيزابيل : أى طاقات لدى تلك الشعوب الهمجية

ريتشارد :   إننى أرسلتُ للغرب لكى أطلب إمداداً جديداً
من جنود لم يعانوا صدمة الحرب المخيفة .
من رجال لم يجيئوا مستخفين فلاقوا شدة لم يعرفوها !

الملكة : قارنوا بين الذى يعمل فى أعماق جندى صليبى غنى
بالذى يعمل فى أعماق جندى فقير عربى !
إنهم قد حاربوا حرصاً على الموت كما لو أن هذا الموت غاية !

كونراد : إن مولاتى لا تقوى على أن تكتم العطف ولا الإعجاب نحو المسلمين .

إيزابيل : (ضاحكة) إنه عطف قديم !

فيليب : لِمَ لا نقتل أسراه لدينا ؟
إنهم عدة آلاف نساء وصغار وعجائز !

كونراد : لِمَ لا نقتلهم كى نفرض الرعب على سلطانهم ؟

إيزابيل : فيضطر إلى تسليم أورشليم كرهاً .

الملكة : (صارخة) لا .. كفى .. لا تلطخ مجدنا بالعار يا كونراد . كفى !

كونراد : (يغمز إيزابيل بسوقية) لا تلطخ مجدنا بالعار !! ها ها ..
كلمات خالدة !

إيزابيل : (هامسة لكونراد بنبرة خاصة) ليلتى الأولى بصور !

الملكة : أشهد العذراء لن يغمس قلب الأسد كفاً فى دماء الأبرياء .

فيليب : لِمَ لا ؟ كل ما نفعله فى الحرب جائز ؟

جى : وإذا رد علينا ؟ وله الحق فأسرانا لديه كلهم جند محارب ؟!

إيزابيل :   دينه وهو تقى وورع سوف يحمى كل أسرانا لديه ..
مثلما تعرف أختى !

الملكة : هو ذا !! مصيدة الرجل الفاضل نبله ؟!

ريتشارد : حسبكم .. أنا ما جئتُ لكى أقطع بالسكين لحم الأبرياء ..
أنا لن أبنى مجدى فوق تل من عظام وجماجم .

الملكة : انقلوا يا أيها الفرسان من نبل صلاح الدين شيئاً قد يفيد الغرب يوماً .

إيزابيل : (بابتذال) أنت لا تخفين يا أختى إعجابك به !

كونراد : (بسوقية) كيف تقوى امرأة معجبة أن تشهر السيف عليه !!

ريتشارد :   أذكروا إذ أعقبتْ جرحى حمى كدتُ أن أهلك فيها
إنه أرسل لى خير الأطباء العرب
وهو لم يبخل علينا بالدواء

إيزابيل : (ضاحكة) أو على أختى أيضاً .

فيليب : فلتصالحه إذن إن كنتما أصبحتما خير الصحاب

نحن لا نعرف ما بينكما ..

ثم ماذا بعد ؟ إنى راحل .. لم يعد عندى وقت .

ريتشارد : ريثما تأتى إلينا نجدات ، نحن نحتاج إلى فترة هدنة

فيليب : هكذا نخسر ما كنا كسبنا

كونراد : أى نجدات وأنتم كل أوربا ؟! اثنتا عشرة دولة !!

إيزابيل : وهو فرد واحد !

فيليب : فإذا لم يقبل الهدنة ؟

ريتشارد : نحن مهما يكن الأمر احتللنا مدناً كاملة .. إننا فى موقف أفضل منه

فيليب : هو مغرور ولا حيلة إلا الحرب كى نخلص منه

كونراد : نحن نحيا ها هنا كالمسيحيين من أجدادنا

إيزابيل : حين كان الوثنيون يجيئون بأطهار الرجال ..

كونراد : ثم يلقون بهم فى مهرجان صاخب بين أظفار وحوش جائعات .

إيزابيل : ليثيروا خامد الشهوة فى بعض النساء !

الملكة : ليس هذا بصحيح

إن هذا كذب .. هذا جحود وابتذال

طهروا القلب من الحقد .. كفى !

جى : قد دخلنا هذه الحرب لنسترجع أورشليم لابن الرب وحده

الملكة : (كحالمة) أورشليم حصن الكلمة ..

آه ما أبعدها عنى وما أقربها !

جبل الزيتون ، يا حاضرة الدنيا ، وكنز الآخرة !

قلعة الخير الذى أقبل ابن الرب به

ريتشارد : يا أورشليم السماوية .. لن يرجع ريتشارد بدونك !

(نفير وطبول)

حارس : (على باب الخيمة) سلطان مصر وسورية

ريتشارد : أدخله .. أدخله

(يدخل صلاح الدين وحوله العادل وعيسى ، كلهم متوتر الأعصاب .. وإن كانوا يكتمون)

صلاح الدين : سلام عليكم .

فيليب : لا .. لا سلام

(إشارات مصحوبة بهمهمة من الملوك والأمراء ترفض صلاح الدين)

كونراد : أجل لا سلام ..

صلاح الدين : تحيتنا هى هذا السلام

الملكة : (لريتشارد) هذا هو الملك العادل أعز أشقاء سلطان مصر وسورية وعيسى المسيحى من قادته ..

صلاح الدين : متى أصبحت طرقات الحياة مصائد يا ملك الإنجليز ؟

ريتشارد : وما ذاك يا ملك المسلمين ؟

صلاح الدين : تعرض لى عصبة من رجالك سدوا علىّ طريقى إليك ..

ريتشارد : رجالى أنا يقطعون الطريق ؟

الملكة : أنت تعامل قلب الأسد !

صلاح الدين : قتلنا ثلاثين منهم وفر البقية ،
ولكن أسرنا زعيم العصابة ..
فإن لم يسلمك من عاونوه ومن حرضوه
فلا كنت ريتشارد قلب الأسد !

فيليب : (هامساً لكونراد) يا أحمق الناس فماذا فعلت .. أما قلت لك ؟

ريتشارد : هاتوا الزعيم إلىّ .. إلىّ بهذا الأثيم !

كونراد : (لصلاح الدين) أجئتَ تهدد ؟ لا تَعدُ حجمك

فيليب : حدِّق لتعرف من ذا تخاطب

إيزابيل :   أنت أمام قوى لا تقاوم .. كل أوربا بتيجانها بطاقاتها وفرسانها

فيليب : فمن أنت فى مثل هذا الخضم ؟

كونراد : لستَ سوى قطرة لا ترى فى محيط كبير .

صلاح الدين : الكبرياء تميت القلوب !

(يدخل الحارس ويسلم رسالة إلى الملكة فتقرؤها همساً) .

ريتشارد : أين زعيم اللصوص الذين أغاروا على ضيفنا فى الطريق ؟

الملكة : (تسلمه الرسالة) انتحر !

(الملك يقرأ الرسالة بنظرة خاطفة)

ريتشارد : (ينظر لكونراد) عساه انتحر (صمت) ما رأى كونراد ؟

صلاح الدين : (مشيراً إلى كونراد . وقد فهم) .. أنزل عقابك بالمجرمين !

فيليب : ما جئتَ تأمرنا ها هنا ..

كونراد :   أنت أسير ومن حقنا ذبح هذا الأسير

إذا هو لم يتواضع لنا

الملكة : لا تصمونا بعار الأبد !

صلاح الدين : لا شئ يدهشنى إن فعلت فمثلك من قبل باع المسيح

إيزابيل : لا تتظاهر هنا بالشجاعة يا من فررت من المعركة !

كونراد : سنقتل هذا الدعى العنيد ..

صلاح الدين :   لستُ أنا غير عبد فقير يجاهد فى الله حق الجهاد

فإن تقتلونى .. فيا حبذا الموت موت الشهيد

(عيسى الذى كظم طويلاً ينفجر بغتة ويده على مقبض سيفه يواجه كونراد وفيليب)

عيسى : لا .. قسماً بالعشاء الأخير .

براعيتى سانت كاترين عاشت تناضل ضد رجال قساة

طغوا فى البلاد .

رجال ككونراد قد أكثروا فى الحياة الفساد .

بخلد الشهيدة بالأنبياء وبالأولياء ..

بمجد الكنيسة فى أورشليم

بآلام سيدنا تحت تاج من الشوك فوق عذاب الصليب

لن تلمسوا شعرة منه حتى تذوقوا جميعاً عذاب الجحيم !

(يشهر سيفه ويقف ليحمى صلاح الدين)

صلاح الدين : لا .. أغمد السيف يا صاحبى ..

لا يُشهَر السيف فى غير حرب بمجلس ريتشارد قلب الأسد

(عيسى يغمد سيفه) .

العادل : (يواجه الجميع منذراً) هناك مئات من الدارعين

على أهبة حول هذا المعسكر

فإن هم أحسوا بريح الخطر ..

صلاح الدين : (يقاطعه ضاحكاً) حسبك ما جئتم بالوعيد !

ريتشارد : (متنهداً) تمنيتُ لو أن لى صاحباً واحداً منكم

مثل عيسى الجسور ..

إيزابيل : أهذا المسيحى ضد الصليب ؟ (تضحك ساخرة) .

كونراد : ما هو إلا عميل حقير !

صلاح الدين : أنا ما أتيتُ إليكم هنا كى تهينوا صديقى

فلولاك يا ملك الإنجليز لما جئتُ قطعاً .

كونراد : لو لم تجئ لقبضنا عليك

إيزابيل : فقف صاغراً

كونراد : (مكملاً) لساقوك لى حافياً فى الحبال

وجروك تحت لهيب السياط وقد وُضِع القيد فى معصمك !

صلاح الدين : (لريتشارد) كف كلابك عنا .. كفى !

كونراد : أكلب أنا ؟

إيزابيل : أأنا كلبةٌ . وريثة عرش أورشليم كلبة ؟

كونراد : أتسكت عن مثل تلك الإهانات يا ملك الإنجليز الأبى ؟

أيرضيك هذا ؟ أكونراد كلب ؟ أجبنى ، أجب

صلاح الدين : أنت كلب عقور !

إيزابيل : يا للإهانة ! كيف سكت عليها وأنت ..

كونراد : (مقاطعاً) سأغسلها بدم العربى .

(يشهر سيفه وينقض على صلاح الدين بغتة .. يتراجع صلاح الدين بقفزة بارعة .. الكل يقف مشدوهاً .. صلاح الدين يشهر سيفه وينقض . فى ضربتين يطيح بسيف كونراد ، يقع كونراد أرضاً وقدم صلاح الدين على صدره)

إيزابيل : (صارخة) يا ويلتاه سيقتله الملك العربى !

صلاح الدين : (وسيفه إلى عنق كونراد) هأنتذا الآن تقعى أمامى ككلب ذليل

وعيناك تلتمسان الحياة !

إيزابيل : (لأختها) ألا تشفعين لكونراد عنده ؟

صلاح الدين : قم يا جبان .. وهبتك ريتشارد قلب الأسد .

(صلاح الدين يأخذ سيف كونراد ويعطيه للعادل ثم يترك كونراد مترنحاً .. يغمد صلاح الدين سيفه ويتجه لريتشارد)

فلو أنه جاءنا زائراً أو أتى كى يحج

لقابلته عند باب الكنيسة ..

إيزابيل : (لكونراد) خذ منه سيفك .. هذا كثير

فيليب : (لكونراد) أأنت أسير هنا أم أمير ؟ لا تعطِ سيفك

(كونراد صامت منكسر)

إيزابيل : (وهى تنظر لصلاح الدين بإكبار) يا لشجاعة هذا الرجل !

صلاح الدين : (مستمراً) وكنا فرشنا إليها الطريق بهدب العيون

إيزابيل : (مستمرة) قوى لعمرى .. نبيل جميل .. فيا لسعادتها زوجته .. !

صلاح الدين : (مستمراً) وكنا أقمنا له مهرجاناً

إيزابيل : (مستمرة) رقيق لعمرى على سطوته !

صلاح الدين : (مستمراً) ولكنه جاءنا غازياً ..

إيزابيل : (مستمرة) عظيم لعمرى فى قوته .. !

كونراد : (بضيق بالغ) كفى .. إيزابيل ..

إيزابيل : (مستمرة) تفيض الفحولة من سمرته !

ريتشارد : (لكونراد) تجاوزت حدك فى حضرتك ! .. لنا بعد هذا حساب عسير !

ريتشارد : (للجميع) دعونى قليلاً وسلطان مصر وسورية

(يخرج الجميع . أما إيزابيل فما زالت حتى وهى تخطو خارجة تتأمل صلاح الدين بإعجاب . فى أثناء خروج الملوك والأمراء يقف ريتشارد مع صلاح الدين يتكلمان بصوت غير مسموع من ناحية .. وإيزابيل وكونراد وفيليب فى ناحية أخرى)

إيزابيل : (ما زالت تنظر إلى صلاح الدين) يهز كيانى حتى الأنامل هذا الرجل !

كونراد : كفى غزلاً فيه يا فاجرة !

إيزابيل : لقد كنتَ من تحته منذ حين كعصفورة بين أظفار نسر ؟

فقل أين سيفك يا فارسى

فيليب : (لإيزابيل) أمثلك يحمل أركان مُلك .. على أى شئ إذن يرتفع .. !

كونراد : (بسوقية) على قدمين أحبا العلا !

(يخرجون الآن ولم يعد غير ريتشارد وصلاح الدين)

صلاح الدين : لا شرط للسلم غير العدالة

ريتشارد : فشرطى إذن أن تعود الأمور

لما قبل حطين أى أن تعود لنا أورشليم

وكل إماراتنا السابقة

صلاح الدين : أنا لست أفهم .. ماذا تريد ؟ أأنت بحق تريد السلام ؟

ريتشارد : نعم .. فلتـُعِد جميع الأراضى التى حكمتها الفرنجة فى صليبية ..

صلاح الدين : كل الأراضى هنا للعرب .

ريتشارد : نحن فتحنا جميع البلاد هنا بالسلاح

صلاح الدين : ونحن استعدنا جميع البلاد هنا بالسلاح ..

ريتشارد : أورشليم دولتنا والإمارات قد أصبحت كلها حقنا
منذ قرن بأسره !

صلاح الدين : لن ينشئ الغزو حقاً لمغتصِب مُلك غيره .

ريتشارد : ألستَ ترى ملء هذا الثرى شهداء الصليب ؟

صلاح الدين : وما كل هذا الأديم الذى يترامى جليلاً أمام العيون
وتمشون من فوقه هازئين ؟
ما كل هذا سوى ما تخلف فى الأرض من شهداء الكفاح .

ريتشارد : أناتك يا ملك المسلمين

صلاح الدين : (مستمراً) ورجع النواح الذى يستثير أنين الرياح
ذلك ما خلفته الحروب !

ريتشارد : فى الوسع ألا أطيل الحوار

صلاح الدين : لقد طال أكثر مما يجب

ريتشارد : ما أستغل هزيمة جيشك أو ضعفكم ..

صلاح الدين : (مقاطعاً) لسنا ضِعافاً كما تحسبون

ريتشارد : (مكملاً) لقهرك يا ملك المسلمين

صلاح الدين : دعنا وهذا فما تنتهى الحرب فى معركة

ريتشارد : ألستُ أنا القائد المنتصر ؟

صلاح الدين : إن الصراع طويل طويل

ريتشارد : إذن فلنصل لأقل القليل

صلاح الدين : (مقاطعاً) أقل القليل وكل الكثير هو الانسحاب .

ريتشارد : سنعقد ما بيننا هدنة إلى أن نرى كيف تمضى الأمور ..

صلاح الدين : لا بأس من هدنة .. نصف عام ..

ريتشارد : على أن تسلمنى أورشليم غداً فى الشروق .

صلاح الدين : ولو مت خلف أسوارها !

ريتشارد : كن فى انتظارى على بابها

صلاح الدين : القدس عادت لأصحابها

ولن يسلموها وإن هلكوا كلهم دونها .

وإن لم يعد منهم غير واحد ..

ريتشارد : (فى ضيق) وبعد ؟ وبعد ؟

صلاح الدين : (مكملاً) سأبقى أنا ..

ريتشارد : إذا أنت لم تعطها فى غد طائعاً راضياً ..

صلاح الدين : (مقاطعاً) لا .. لن يكون !

ريتشارد : ستسلمها كارهاً بعد غد ..

صلاح الدين : لن تبلغوها ..

وإن لم يعد غير أشلائنا

تدافع عنها فلن تبلغوها ..

لن تبلغوا القدس مهما يكن !

ريتشارد : إذا نحن لم نستعد أورشليم فما من سلام .

لا بد أن أستعيد المدينة

مهد القداسة حصن الجلالة مثوى المسيح ..

فينعم بالعدل أهل الصليب .

صلاح الدين : (مقاطعاً) إذا كنت تنشد أن يطمئن النصارى هنا ..

فهم الآمنون ..

وهم ها هنا إخوة المسلمين .

ريتشارد : (مكملاً) وكى يطمئن الحجيج الذين ....

صلاح الدين : وإن كنت تطلب أمن الحجيج .. فمن ذا اشتكى ؟

أقم بيننا فترة كى تقابل كل الحجيج .

تحدث إليهم .. إلى من تشاء

إذا كنت قد جئت من أجل هذا فعد فى سلام

ريتشارد : يا ملك المسلمين استمع لى .

صلاح الدين :   فإن كنت جئت لتغتصب الأرض منا ، فلا .

لا .. لن نسلم حتى ذراعاً من الأرض طوعاً ..

ريتشارد : إذا نحن لم نستعد أورشليم ستسقط هيبتنا للأبد !

صلاح الدين : فإن كنت جئت لكى تملأ النفس فخراً وكبراً بفتح القدس ..

ريتشارد : أى أورشليم .. !

صلاح الدين :   فإياك نفسك ..

إياك ريتشارد قلب الأسد ..

اسأل ضميرك فيما أتيت ؟

أجئت إلينا بهذا العديد لتعقد روما أكاليل غار على جبهتك ؟

ريتشارد : وا أورشليم ..

صلاح الدين :   وتجثو أوربا على ركبتيها لمجد الملك

وتغدو هناك الإله الجديد

ريتشارد : يا أورشليم ..

صلاح الدين : فإنك والله تخدع نفسك فلتحترس !

ريتشارد : وا ... أورشليم !

صلاح الدين :   وما كل ما يملأ القلب زهواً

أمام دموع صغير يتيم يموت أبوه لعيناً هنا ؟

ما كل هذا أمام الضياع تعانيه أرملة واحدة ؟

ريتشارد : وا ... أورشليم !

صلاح الدين : لا تلقِ بالجند للموت من أجل فخر كذوب

ما ثمن الفخر ؟ آلام أمة .

سيمضى الفخار وتبقى الجراح وتبقى الدموع

أمن أجل تحقيق مجد لفرد تساق الألوف

لتهلك تحت سماء غريبة ؟

ريتشارد : وا شقوتى .. !

صلاح الدين : فلتحترس من أكاذيب نفسك .. إياك ريتشارد قلب الأسد !

ريتشارد : يا أورشليم !

صلاح الدين : أورشليم قاتلة الأنبياء ..

ريتشارد : خير مدائن مملكة الرب .. ماذا أقول ؟
أتفهمنى أنت ؟ . هيهات تدرك !!
لا لن أعود بلا أورشليم
ولن أفجع الآملين الذين أناطوا بريتشارد آمالهم

صلاح الدين : ويلك منهم ويا ويلهم !

ريتشارد : هنالك فى وطنى فى الجبال
وفوق السهول وملء الحقول .
فى كل منعطف من طريق
فى كل ركن من العالم الخارجى انتظار صبور مرير
سيرجع ريتشارد لا بالكنوز ولا بالعبيد ولا بالإماء .
ولكن بمفتاح أم المدائن ..

صلاح الدين : ريتشارد !

ريتشارد : هناك العجائز حول المدافئ
تجمعهن ليالى الشتاء بوحشتها

فى انتظار الأمل ..

صلاح الدين : قلب الأسد !

ريتشارد : هنالك روما وأخبار روما
هناك الكرادلة الحالمون
وفوق الجميع أبونا المقدس بابا الكنيسة
كلهم فى انتظار البطل ..

صلاح الدين : ريتشارد .. ريتشارد ! .

ريتشارد : هناك الرعاة بقطعانهم فى المراعى السعيدة
وأطفال كل القرى النائيات
هناك الكثيرون فوق جبال بلادى البعيدة
ينتظر الآن حطّابها ! .

صلاح الدين : ريتشارد !! ريتشارد !!

ريتشارد : وحتى النجوم وأفلاكها ...

صلاح الدين : ما بك ريتشارد قلب الأسد !

ريتشارد : الكل يأمل فى أن أعود إليه بمفتاح أورشليم ..

صلاح الدين : أمن أجل هذا أتيت إلينا تخوض القتال
وتصنع فى الأرض هذا الخراب ؟

ريتشارد : أتعرف كيف يكون امرؤ واحد أمل الكل يا سيدى ؟
أعانيتَ من مثل هذا العذاب ؟
فإذ أنت فرد وفرد وحيد
ورأسك ليس يطول السحاب ..
إذا بالجميع يصوغون حولك أحلامهم
وقد علقت بك آمالهم !

صلاح الدين : أنا الآن أفهم مأساة ريتشارد ! .

ريتشارد : لا .. لن أعود بلا أورشليم
وإلا فلستُ أنا فارس الأمل المرتجى
ولستُ بريتشارد قلب الأسد !

صلاح الدين : (بعيداً) لقد كنتُ من قبل أخشى عليه رجالاً .. ككونراد .
ولكننى لا أخاف عليه من اليوم إلا خيالات ريتشارد .

ريتشارد : (منتفضاً) غداً أسترجع أورشليم مدينة أقداس ابن الرب

غداً أحمى جبل الزيتون .

صلاح الدين : (يواجهه) بل تحرق غصن الزيتون !

ستار

الفصل الثانى

(معسكر جرحى فيه عرب وصليبيون .. بين الجرحى العرب محمود وهمام ..)

صليبى 1 : كيف عشتم كل هذا الدهر فى حر كهذا ؟

همام : طال بى شوقى لمصر !

صليبى 2 : إنه جو شرس !

محمود : آه . وا شوقى لمصر !

صليبى 3 : كلما طالت بنا الحرب تساءلت لماذا
هذه الحرب وما المطلوب منا ؟

صليبى 1 : أفلا ماء هنا ؟ هو حر مفترس !

محمود : (يعطيه إبريق ماء بجواره) تفضل يا أخى ، اشرب .

صليبى 1 : أنت تدعونى أخى ولقد جئتُ لقتلك ؟

صليبى 2 : فى بلادى تمطر الآن على سفح الجبل

محمود : آه لو تأت أبراجهم قاذفة النار اللعينة !

صليبى 1 : نضج الكرم وما زلتُ بعيداً

همام : إنهم فى قريتى يبذرون الآن حبات الذرة .

محمود : كم من الأعوام مرت يا أخى همام والقرية ما زالت تشوقك ..

همام : أوَ ما عانيتَ هذا الشوق أنت ؟

محمود :   إنه الشوق الذى يعرفه أهل القرى

عندما تبعدها عنهم هموم ومشاغل !

همام : قريتى تبعد عن قريتكم ساعة مشى ..

محمود : نحن فى الهم سواء ..

صليبى 4 : (يتألم ومحمود يحاول أن يساعده)

ابتعد عنى يا كافر لن أقبل شيئاً منك

نحن أعداء ألِداء فدعنى .

محمود :   ما الذى يجعلنا نحن عدوين لدودين إذن

ولماذا جئتَ كى تقتلنى ؟

صليبى 1 : أنا ما جئتُ لكى أقتل إنساناً هنا

صليبى 2 : (لمحمود) أنت من حاول أن يقتلنى فى الحرب أمس !

محمود : عندما يدهم دارك لص فاتك يشهر سيفاً

ما عسى تصنع به ؟

صليبى 1 : هكذا صرنا لصوصاً فاتكين !

صليبى 2 : ما الذى تصنعه امرأتى الآن هناك ؟

صليبى 3 : أنت لا تعرف ما نسمع عبر البحر عما تفعلون ..

صليبى 1 : ونداءات رجال الدين . ضاعت أورشليم !

صليبى 3 : أدركوا قبر المسيح الحى فالسلطان يبنى فوقه قصراً منيفاً للحريم !

صليبى 1 : المسيحيون فى المشرق قد صاروا عبيداً أو إماء !

صليبى 2 : هكذا جاءوا بنا .

وتركنا الزوجة الحانية الحلوة والطفل الرضيع !

محمود : (لجار عربى) ما الذى يشرد بك ؟!

عربى : ابتعد عنى يا ملحد قد كلمتَ من جاء لكى ينهب أرضك !

محمود : إنهم جرحى وأسرى عندنا

العربى : أنت إذ تحنو على الكفار ، كافر !

محمود : كلكم يقذف بالإلحاد والكفر الذى لا يعجبه

صليبى 2 : إنه فى مثل هذا الوقت تمضى امرأتى للنبع تسقى بقراتى

همام : آه من يرجعنى الآن إلى القرية كى ألقى عليها نظرة ثم أعود ؟ .

صليبى 1 : وأنا من يا ترى يرجعنى الآن لحقلى ؟!

محمود :   يا حقول القمح فى ليل الحصاد

آه كم بَرَّح بى الشوق إليك !

همام : وظلال التوت والنهر وترجيع السواقى

صليبى 1 : وهدوء يملأ النفس إثارة

همام : وسكون حولنا تهمس فيه ذكريات ومُنى

محمود : وحكايات بطولات الرجال الغابرين

همام : وروايات عن الجنية الحسناء فوق الشاطئ المهجور تدعو من يمر

محمود : فإذا راق لها جرته للنهر ليحيا معها آخر الدهر سعيداً . فاستقر ..

همام : وأحاديث العفاريت وأخبار الثعابين الخطيرة .

محمود :   وما يملؤنا خوفاً مشوباً بالجسارة ..

وابتسامات العذارى وأياديهن فوق الثغر من فرط الحياء

صليبى 2 : ووجوه ترقص البهجة فيها رغم أهوال الشقاء

صليبى 1 : ورنين الأفق الموحى وأصوات المساء

محمود : وانتفاضات الصباح العذب ، والروعة فى صمت الظهيرة .

همام : وصدى الأصوات تشدو بالغناء ..

محمود : والشروق !!

(تدخل كوكب مع بعض فتيات ونساء فى ثياب التمريض يعالجن الجرحى)

صليبى 1 : والشروق الرائع الملهم من خلف الجبال ..

محمود : وشعاع الفجر من فوق الندى ..
آه ما أروعه الفجر على وجه الحقول ..

صليبى 1 : وأنين غامض فى الكون والهمس الحزين

همام :   ودخان يتعالى من بيوت الخيرين الكرماء

معلناً أن طعاماً جيداً يُطهَى لكى يأكل منه من يشاء ..

محمود :   وعيون رقت النظرة فيها موحيات بالعزاء ..

نظرات حانيات يحتضن المرهق العانى ويأسون الجراح !

همام : وصدى المزمار يأتى من بعيد

محمود : وانفساح الأرض بالخضرة والنخل وعطر الياسمين .

صليبى 1 : (صارخاً) يا إلهى لِمَ جئنا ها هنا ؟! خدعونا كلنا ..

(كوكب الآن تصل إلى محمود)

محمود : (فى دهشة) من ؟! كوكب ؟! هل أنت هنا ؟

كيف بالله أتيت ؟!

(كوكب تندفع إلى محمود شاهقة تريد أن تحتضنه ولكنها تتماسك)

كوكب : أنت يا محمود ؟ يا ربى

لقد خيل لى أن لن أراك ..

صليبى 1 : قبليه إن تكونا عاشقين ..

همام : (فرحاً) كوكب ؟ . أهلاً بك .. هل جاء خيال الظل أيضاً ؟

(كوكب تبتعد عن محمود فى خجل لتعالج جراح همام) .

صليبى 1 : عجباً .. لا شئ يدعو للخجل !

كوكب : (لهمام) لا تخف .. جرحك سطحى طفيف ..

محمود : (متنهداً) وأنا جرحى غائر !

كوكب : (مستمرة لهمام) إنه عن لفحة من نار برج
نحمد الله على هذا .. استرح ..

محمود : قد تطوعت إذن فى الجيش يا كوكب لكن منذ كم ...

كوكب : (مقاطعة) نحن آلاف هنا يعملن من خلف الصفوف ..

محمود : (فجأة) أتزوجتِ .. ؟

همام : وخيال الظل يا كوكب ؟

كوكب : إننا بالأمس قدمنا عروضاً للجنود

محمود : أتزوجتِ ؟ أجيبى ..

كوكب : لم تعد تكتب شيئاً لخيال الظل يا محمود ، فالحرب احتوتك

محمود : أنت ما راوغتنى من قبل يا كوكب ، قولى
هل تزوجت ؟ (صمت) أجيبى .

(تقترب منه جداً)

كوكب : لِمَ لم تسأل علينا ؟

محمود : هل تزوجت ؟

كوكب : أنت لم ترسل سلاماً فى مدى خمسة أعوام إلينا

محمود : فلتجيبى

كوكب : بعد هذا كله تسألنى الآن ؟!

محمود : وإذن أنت تزوجت ؟! تزوجت ؟!! متى ؟

كوكب : لا .. لا تنفعل ..
إن هذا قد يضر الجرح .. مهلاً

محمود : أى جرح بعد جرح القلب يا من خنت عهدى ؟! .

كوكب : أى عهد ؟! .. أأنا خائنة ؟ ما خنت شيئاً !

محمود : أتزوجت ومحمود يمنى النفس أن يرجع يوماً ما لمصر
ثم يختارك زوجة !

كوكب : أصحيح ! ؟

محمود :   آه يا كوكب ما أعظم أن ينتظر الإنسان شخصاً
لا يرى فى هذه الدنيا سواه

كوكب : زالت النضرة عنى ..

محمود : لم تزالى كشعاع الفجر نـُضرة .

كوكب : لم أزل أذكر ذاك الفجر فى بيتك فى مصر ، إهاناتك لى

محمود : أفلا تنسين هذا أبداً ؟!

كوكب : ثم هذا الخوف مما قد يقول الناس عنك !

محمود : لم يكن خوفى من أجلى بل من أجل كوكب !

كوكب : قلت : محمود إذا عاد فلن يرضى بنا

محمود : وأنا تحت ظلال الموت ، والأهوال حولى والقنا مشتجر

لم أزل أذكر كوكب !

عشتُ .. أحلم !!

كوكب : كم تمنعتُ .. تمنعتُ طويلاً وانتظرتك !

محمود : ومن السارق أحلامى وأشواقى إلى عش سعيد مطمئن ؟!

كوكب : هو لم يسرقك يا محمود ، لكن

محمود : من فتاك ؟

كوكب : تاجر كان أحنى من أبى ، كان فى سن أبى

محمود : أهو الآن بمصر ؟

كوكب : مات من عامين فى الحرب هنا ..

محمود : أجميل الوجه حلو النفس فتان ذكى ؟

كوكب : مات !

محمود : أترى أحببته .. وهو أحبك ؟

كوكب : مات .. مات .. !

محمود : هل تمتعتِ بلين العيش فى حضن الرجل ؟

كوكب : إنه مات .. ألا تفهمنى .. ؟

محمود : أفما زلت تحبين الرجل ؟

كوكب : أفلا ترحمنى ؟ إنه مات .. وما خلف غير الحسرات

ودموع شرقت بالذكريات ..

(تبكى) مات .. مات ؟!

محمود : لِمَ تبكين ؟! اهدئى ..

(يدخل صلاح الدين ومعه العادل فتتماسك بسرعة وتسرع باستقباله فهى رئيسة مجموعة المتطوعات) .

صلاح الدين : ما أخبار الأسرى الجرحى .. ؟

كوكب : فى أحسن حال ..

صلاح الدين : جئتُ هنا أتفقدهم .. كيف عنايتكن بهم ؟ .. وأخوتنا العرب الأبطال ؟

كوكب : تفضل .. فلتسأل محموداً ..

همام : جرحى التأم بمرآكم ..

صلاح الدين : (يحييها) أهلاً بك زوجة محمود ..

كوكب : (مأخوذة) زوجة محمود ؟! يا مولاى أنا كوكب ..
أتذكر نائب سلطنتك ومؤامرته ؟

صلاح الدين : أنت فتاة خيال الظل ومنقذتى ..
وكيف تركت خيال الظل ؟

كوكب : لم أتركه جئت به .. أعمل فى الجبهة من عام ..
أنا أعمل متطوعة فى مستشفى ميدانى

صلاح الدين : وكيف يسير خيال الظل هنا .. ألديك جديد بعد ؟

كوكب : ما من أحد يكتب لى !! محمود شغلته الحرب

صلاح الدين : وفـِّر وقتاً يا محمود لكى تكتب ..
فمن الفن جهاد أيضاً ..

كوكب : وبعض ذوى الأخيلة الضحلة والعقم الفكرى أسَفَّ
بفن خيال الظل السامى
إذ يعرض أجساداً عارية وإشـارات جنسيـة

وقد يتملق منا الضيق بما تصنعه فينا الحرب

صلاح الدين : ولا ينتبه لضوء الفجر وراء الآفاق الوردية ..

العادل : ولا أذناه تلتقطان

دبيباً من خطوات الشعب الزاحف نحو حياة أفضل ..

كوكب : بعضهم يسترضى فينا روح السخط على الأخطاء

لكى يكسب من هذا الشهرة !

صلاح الدين : هذا باطل

محمود : نقد الخطأ لكى نبدو شجعاناً هو أسهل مركب !

كوكب : أما مدح صواب الحاكم فهو الأصعب .

محمود : يجلب سوء الظن عليك ..

ويغرى بك سفهاء القوم وأرخص أنواع اللُوَّام .

صلاح الدين : لعل الحكمة فى أن يُعدَل بين المدح وبين الذم .

وهذا يتطلب شجعاناً ، أهل بصائر وأولى حكمة

(صلاح الدين يتجول بين الأسرى الصليبيين)

صلاح الدين : كيف الحال ؟

صليبى 1 : حمداً للرب ..

صلاح الدين : (للصليبى 1) ماذا تعمل فى وطنك ؟

صليبى 1 : فلاح من وادى الرون

صلاح الدين : إن يداً تصنع للأرض الخضرة وحياة الأشياء
عليها ألا تهوى بالمعول أبداً فوق الأحياء !

صليبى 1 : هذا حق .. لكن .. لكن ما الحيلة ؟

صلاح الدين : (مستمراً) تلك يد باركها الله فمن واجبها ألا تهدم
وتقوّض بنيان حضارة (لآخر) وأنت ؟

صليبى 2 : أنا راعٍ من نورماندى .

صلاح الدين : (للثالث) وأنت ؟

صليبى 3 : أنا حداد من لندن ..

صلاح الدين : (للرابع) وأنت ؟

صليبى 4 : (يشيح بوجهه) لا أتحدث مع كفار

صلاح الدين : أعرف صنفك .. سفاح محترف أهوج !

محمود : (فجأة) يا مولاى .. أتسمح لى فى أن أتزوج ؟!

صلاح الدين : وبمن تتزوج ؟

محمود : (ضاحكاً) وبمن أتزوج يا مولاى ؟ بإيزابيل ؟! .

همام : ما تنفعه إلا كوكب

كوكب : (بدلال) لم تسألنى يا محمود ..
ما هذا ؟ لم أعطك ردى يا محمود

لتسأل مولانا السلطان موافقته .

همام : (ضاحكاً بنبرة خاصة) !! إم م ؟ يا كوكب ! .. أعلينا نحن ؟!

صلاح الدين : أهذا وقته ؟

العادل : ما من شئ مثل الحرب

يثير بأعماق الجندى الرغبة فى أن يتزوج

صلاح الدين : أيفعلها ليؤكد معنى الاستمرار وكى يتحدى خطر الموت ؟!

العادل : إن طبيعتنا فى هذا تثبت أن غريزتنا

أقوى .. فالحب يظل هو العاطفة الأعلى .. الأسمى ..

صلاح الدين : يقود جميع عواطفنا ..

ويظل يناضل فوق ضراوات الأشياء ..

وفى وجه الأخطار جميعاً حتى الموت ..

تأكيداً لوجود الفرد أمام العدم .

همام : من لى أنا أيضاً بفتاة

طيبة ! كى أثبت أن الحب هو الأبقى حقاً ..

صلاح الدين : (ضاحكاً) هذا شئ يأتى عَرَضاً لا ينفعنا فيه البحث .. !

صليبى 1 : ما أعجبهم .. رغم كوارثهم ما زال الواحد منهم

يملك أن يضحك ويحب ! .

صليبى 2 : ولذا ينتصرون أخيراً مهما نبدأ بهزيمتهم

صليبى 3 : فلنتعلم هذا أيضاً فيما نتعلمه منهم

(يدخل عيسى مندفعاً سعيداً)

عيسى : بشرى !! بشرى يا مولاى !!

توصل كيمائيو دمشق لمحلول يُخلَط بالنفط

إذا ما قـُذِف على أبراجهم الحربية ذابت منه ذوباناً

(صلاح الدين والعرب فى قمة ابتهاجهم حتى ليعانق صلاح الدين قائده عيسى .. الصليبيون فى ذهول)

صلاح الدين : يا للبشرى يا عيسى !! نجت القدس إذن يا عيسى .

عيسى : سترى تجربة فى معملك .

(صمت)

ولكن القدر المطلوب لحرق الأبراج الهائلة يكلف أموالاً طائلة ...

صلاح الدين : فلنبذل ما يمكننا .

عيسى : (مستمراً) ونفطاً أكثر مما يوجد فى المشرق

صلاح الدين : فلنستنجد بالمغرب .. النفط بحار فى المغرب !

العادل : يا مولاى !! أمير المغرب ؟؟؟

(إظلام .. ثم فى معسكر صلاح الدين عدد من الأمراء العرب فيهم أمير المغرب وبعض القواد المصريين)

أمير المغرب : كل شئ مائع .. أنا لا أفهم شيئاً .. أكسبنا أم خسرنا ؟

محمود : بل كسبنا يا أمير المغرب العالى المقام

أمير المغرب : (بسخرية) ولماذا أحرقت أبراجهم كل الحقول ؟

(يضحك بعصبية)

محمود : اسألوا من زوَّد الأبراج بالنفط اسألوه

عيسى : آه لو نملك ما يكفى من النفط هنا لأذبناها جميعاً !

أمير المغرب :   إننى أرسلتُ نفطاً لكم ..
أشربتم كل هذا النفط ؟ . قل لى

محمود : أنت لم ترسل ولا حتى الذى يكفى قناديل المساجد

عيسى : قد خسرنا عدداً من خيرة الشجعان فينا .. استشهدوا
مات همام صديقك !

محمود :   رحم الله الفتى .. مات همام وما حقق ما يحلم به ..
(يتنهد) لم يشاهد قريته .. !

(يأتى العادل مهموماً)

العادل : أمراء العرب ، الموقف فى القدس خطير
إنه يطلب منكم تضحيات ..
أحرقتْ أبراجهم كل المراعى والحقول

أمير المغرب : ها هنا فى القدس ما زلتم تبيحون الخمور

ولهذا سلط الله عليكم هذه النيران كى تحرقكم ! ..

عيسى : القدس يجوع ..

العادل : إننا ننتظر الأموال والميرة والعسكر من مصر ، ولا أنباء بعد ..

محمود : طال والله غياب القافلة

أمير 1 : ما هو المطلوب منا ؟!

العادل : المطلوب ميرات وجند ..

أمير المغرب : بعدما مرغتم شرف الإسلام فى الأوحال ؟ إنى منسحب !

العادل : انتظر يا سيدى

أمير المغرب : أفلم أعرض عليكم أن أقود الجيش لكنكم لم تستجيبوا ؟!

عيسى : أى جيش يا أمير ؟

العادل : نحن فى معركة كبرى ولا وقت لإجراء حساب

أمير المغرب : ولهذا تخسرون !

محمود : ما خسرنا .. إن للحرب تكاليف علينا كلنا ..
فلتؤدوا دوركم ..

أمير المغرب : إنكم لن تكسبوا الحرب إذا لم أقدكم
قد خسرتم وخسرتم ..

العادل : بل كسبنا

أمير المغرب : إن هذا كذب !

محمود : هو صدق مثلما إنك تنطق ..

(هتافات من الخارج)

هتافات : عاش السلطان المنتصر .. عاش صلاح الدين الفاتح .

أمير المغرب : إنكم لن تكسبوا شيئاً سوى

طنطنة جوفاء عن نصر مزيف .

هذه الجعجعة الخرقاء عن مجد صلاح الدين وحده !!

إننى منسحب .. هذه ليست بحرب

إنها محض تظاهر .

محمود : كل هذا وتسميه تظاهر ؟! ..

الضحايا ؟! كل قتلانا تظاهر ؟!

هذه النار التى تشوى لحوم الناس والخضرة .. هل هذا تظاهر ؟! ..

الجراحات التى تنزف والجوع .. تظاهر ؟!

هذه اللهفة للنجدة ، والدمع الذى غص به الحلق .. تظاهر ؟

كل هاتيك البطولات التى حققها الجندى فى الحرب .. تظاهر ؟

أنت فى القدس ألا تدرك هذا ؟!

بعد قرن كامل

ثم ها نحن أولاء اليوم فى القدس فهل هذا تظاهر ؟!

أمير المغرب : لِمَ لم يأت لنا السلطان ؟ فليأتِ إلينا

العادل : فلندعه إنه يعتكف الآن لكى يتلو آيات من القرآن وحده

أمير المغرب : يغلق الباب عليه ثم يبكى كالنساء !

(هتافات من الخارج)

هتافات : يحيا السلطان صلاح الدين

عيسى : إيه يا عذراء قودى خطوات القافلة !

أمير المغرب : إنهم قوم جياع .. أعرفنا جائعاً يدخل حرباً

(للأمراء) أعرفتم جائعاً يقوى على أن ينتصر ؟

محمود : أعطنا القمح أما عندك فيض منه تعطيه ؟ أعِنَّا

فجهاد المسلم الصادق بالنفس وبالأموال فرض لا تبرع

أنت أثريت من الحرب فقد بعت الصليبيين قمحاً ودقيقاً

بعتهم نفطاً بأضعاف الثمن .

أدِّ هذا الفرق فى السعر لنا ..

أمير المغرب : (لمحمود) أنت جاسوس صليبى إذن !

أنت جاسوس علينا !

عيسى : وتظاهرتَ لنا أنك قد قاومتهم

عندما هاجم أسطولك صياداً صليبياً رمته

عند شطآنك ريح عاصفة !

أمير المغرب : أنت ذمى وجاسوس صليبى بحق ! و .. جبان .. ولكع !

محمود : وملأت الأرض زهواً بانتصاراتك فى البحر عليهم
انتصارات على أشلاء صياد وزورق !

العادل : ليس هذا وقت إجراء الحساب ..
نحن نحتاج إلى جند وزاد أيها السادة فالقدس تجوع .

محمود : فى فمى طعم الدم النازف من قلبى الممزق !

أمير المغرب : (فجأة) إننى منسحب .. منسحب

العادل : انتظر أرجوك .. لم نفرغ .. لماذا تنسحب ؟

أمير المغرب : ربما .. ربما هبت على القافلة الكبرى رياح
من صحارى القدس عاقت من سراها .

العادل : إننى أخشى عليها من رياح الغرب لا شئ سواها ..

أمير المغرب : (صارخاً فجأة) أنا لست أعرف بعد أى الجانبين قد انهزم .

عيسى : إنا لمنتصرون حتى اليوم

أمير المغرب : يا أيها الأمراء حتـّام السكوت ونحن تسلمنا الهزيمة للهزيمة ؟
حتام تنتظرون
والأعداء ينتزعون من أيدى صلاح الدين أرض بلادنا ؟ ..
فى كل معركة يسلمهم مدينة !! ..
إنى لأعرف عن صلاح الدين ما لا تعرفونه
فلتسلموا أمر القيادة قائداً صلب الشكيمة !

العادل : يا أيها الأمراء لا تهنوا فما استولوا على بلد هنا
إلا وقد سقطوا على أسواره قتلى وجرحى !

محمود : لم يأخذوا منا مدائن إنهم أخذوا خرائب

أمير 1 : إنى سئمتُ الحرب .. حرب بعد حرب بعد حرب ..

أمير المغرب : أين المغانم ؟! كلها ذهبت لمصر !

أمير 2 : ولم يعد غير المغارم ..

محمود : بل مصر قد دفعت تكاليف القتال جميعها
دفعته من أموالها ورخائها
وبزهرة الشبان من أبنائها ..
أيموت خيرتنا لتحرير البلاد من العدو وتسألون عن الغنائم ! ..

أمير المغرب : اذهب فقل لوليك السلطان أنـَّا لا نـُرَى عند الهزائم .

محمود : إن الهزيمة ليس فى الميدان لكن الهزيمة فى النفوس
ولأنت منهزم إلى الأغوار من أعماق نفسك !

(يدخل صلاح الدين بغتة)

صلاح الدين : الحرب معركة العزائم إنكم أهل العزائم

أمير 1 : لا يا صلاح الدين عشر سنين فى الصحراء ، ركضاً
فى السعير ، وفى أعاصير الشتاء !
ننساب من جبل إلى وادٍ إلى جبل جديد

أمير 2 : أنظل فى هذا العراء ننام بين الوحش أو فوق الخيول
ولا نرى غير الرمال أو الحديد !

أمير المغرب : أين المرائى الفاتنات

وزينة الدنيا التى أوصى بها الله العباد الصالحين !

أمير 2 : إنى لتقتلنى الملالة والكلالة من زمن !

أمير 3 : إنى أتوق إلى فراش مطمئن ..

محمود : ما تلك غير ضريبة كى نصنع الزمن السعيد ..

أمير المغرب : لن يأتى الزمن السعيد !

صلاح الدين : الحرب ليست ما ترون . الحرب معركة القدس

أمير 1 : فلتعطِ ريتشارد المدينة يا أخى كى ننتهى !

صلاح الدين : (لبقية الأمراء) أترون هذا كلكم ؟

أمراء : (باستنكار) لا بل نموت ولا نسلم فى القدس !

أمير 2 : هو لن يعود بغيرها فاذهب وصالحه وسلم ..

أمير 1 :   يا أيها الأمراء .. كل جيوش أوربا الرهيبة ما أتت إلا لتأخذها
وإن طال المدى ..

أمير 2 : سيحاصرون القدس من أقطارها

أمير 1 : وسيهدمون القدس فوق رءوسنا

أمير 2 : لِمَ لا تساومهم عليها ؟!

أمير 1 : خذ غيرها

صلاح الدين :   إنى بنيتُ بساعدى أسوارها
وحملتُ أثقال الحجارة كى أقيم حصونها ..
ورفعتُ من أجلاد فتيان البلاد جدارها
ورفعتُ فوق مآذن البلد المقدس والقباب الشامخات منارها
وسللتُ كل سيوفها : علماءها فقهاءها صُناعها أحبارها ..
لا كى أسلمها الصليبيين ، بل لأصونها ..

أمير المغرب :   الحرب عندك يا صلاح الدين تعنى كبرياءك وحدها
أما لنا فهى الحياة . اذهب فحارب أنت وحدك ..

أمير 1 : سلمهم القدس التى جاءوا لها

واقنع بملك الشام وحدك بعد مصر ..

أمير المغرب : يكفيك هذا المُلك كله !

صلاح الدين :   أنا لستُ أطلب رقعة أخرى من المُلك العظيم .. أتفهمون ؟

لكن أجاهد فى سبيل الله حتى أسترد حقوقه وحقوقنا

وحقوقكم لو تفهمون !

إنى لأسبقكم إلى ظهر الحصان

وما تركتكم لأهوال العراء ونمتُ وحدى

تحت سقف أو أظلتنى الحوائط

قد عشتُ أكثركم معاناة وأولكم مخاطرة وأدناكم معيشة ..

أنا لا أمُن عليكم ..

لكننى ما كنتُ أصنع كل هذا كى أمد رواق مُلكى

أو لأغنم أو لأرضى كبريائى ..

لا .. بل لتأمين الرعايا

ضد غائلة الظلام وضد غاشية الفساد

لا بل لتحرير البلاد ..

أنا لم أجاهد كى أعود

ببعض أسلاب وأمجاد ولكن بالعدو مصفدين ..

وبذاكم قد تأمنون وترفعون رءوسكم

بل تدعمون عروشكم لو تعقلون ! ..

لكنكم أعماكم طمع الحياة وزهوها ،

فقست قلوبكم فصارت كالحجارة أو أشد !

سأسير منذ غد أهاجمهم بيافا

لن أقيم محاصراً فى القدس لا ..

سأسير وحدى إن تأزمت الأمور لكى أدافع عن مصير المؤمنين ..

أمراء : بل نحن خلفك .

أمير 1 : أنا منسحب

أمير 2 : وأنا كذلك !

أمير المغرب : أنا قد سحبتُ الجيش من يومين إلا
ثلة الحرس الخصوصى الأمين ..

صلاح الدين : إنا لمنتظرون حتى يأتى المدد الجديد وذلك الزاد الكبير
فإذا أتى سرنا لمعركة المصير ..
والله يفعل ما يريد .

أمير المغرب : ومتى تجئ القافلة ؟!

صلاح الدين : محمود خذ حرساً وقابلها .. تجهز للمسير

أمير المغرب : ما عندكم نفط ولا مال فكيف تحاربون

(يضحك بعصبية وشماتة) من أجل ذلك يهزمونكم وأنتم تنظرون .

محمود : شر البلايا ما يكابده الكريم من اللئيم إذا اغتنى !

صلاح الدين : الآن نفسد كل آبار المياه

ونحرق الزرع الذى استولوا عليه ..

فليهلكوا عطشاً كما هلكت أوائلهم بحطين وبدر ..

استدرجوهم كى يفيضوا من كمائنهم إلينا ..

فليزحفوا .. فليزحفوا حتى إذا ملأوا السهول

تبوأوا من حولهم كل التلال ..

فالنسر يربض فى الأعالى ثابتاً متربصاً

حتى إذا امتلك الفريسة فى السفوح انقض يدهمها فلا منجاة بعد

ولا فكاك !!

أمير المغرب : (بنبرة خاصة وصلاح الدين يذهب ووراءه عدد من الأمراء العرب والقواد المصريين)

هى خطة مثلى (ثم لنفسه) اقتنصتك أيها النسر .. اقتنصتك ! ..

العادل : فى أمان الله يا محمود سِر .. وارجع سليماً
ومعافى يا أخى بالقافلة ..

عيسى : كان مقدوراً لها أن تصل الأمس فما أخرها ؟!

محمود : لم يعد بعد طعام ها هنا يكفى احتياجات المدينة

(أمير المغرب يتابع باهتمام شديد)

العادل : لم أشاهد طيلة العمر صلاح الدين فى هذا الضنى ..

محمود : وجهه عان وعيناه أسى .

العادل : هو مشغول بأمر القافلة ..

عيسى : هى تعنى الزحف كى نسترجع يافا ثم حيفا ثم عكا ..

محمود :   وهى تعنى فوق هذا كله
أن تظل القدس فى أيدى العرب

العادل : هى تعنى عنده كل المصير ..

أمير المغرب : (مهرولاً) هكذا .. بئس المصير !!

(يخرج مسرعاً)

محمود : إننى ماض بجيشى للقاء القافلة ..

عيسى : يا يسوع احرس طريق القافلة ..

محمود : فإذا مت هناك ..

عيسى : لا تقل هذا .. فديتك

محمود : يا أخى فى الله (يعانق عيسى بحرارة) . شكراً

العادل : أنا لم أعرف على وجهك هذا الظل فى كل المعارك .

محمود : أذكرانى يا خليلىّ إذا ما لم أعد ..

العادل : يا صديقى فلتعد فى خير حال ..

محمود : إن حزناً غامضاً يغمرنى مثلما يتركه فينا الغروب ..

عيسى : لا تقل هذا وأنت الساخر الضاحك .. ما هذا النحيب ؟

محمود :   أوشكت شمس حياتى أن تغيب ..

يا خليلى أذكرانى عند مولاى كثيراً ..

أذكرانى فى الشروق

العادل : ويك يا محمود أسرع !

محمود : (يمسك بذراعيهما) يا خليلى أذكرانى عند كوكب ..

عيسى : لستَ والله جباناً ..

محمود :   زهرة تنبت من بين الخرائب ..

زهرة حمراء يا عيسى

سقاها الدم .. فى لون شعاع الفجر فى لون الأمل

واسِيَاها .. ذكِّراها بالشروق !

إنها تهوى الشروق ..

يا أخى العادل لا تجزع لموتى واصطبر ..

عيسى : يا يسوع احفظ طريقه ..

محمود :   يا خليلىّ أذكرانى فى الشروق ..

لم تكن تسعدنى فى هذه الدنيا مَرَاءٍ كالشروق ..

عيسى : إيه يا سيدتى العذراء قودى خطواته

محمود : (منتفضاً) فلتقولوا لجميع الناس عنى

إنه قد عرف العلم جهاداً ..

عرف الفن قتالاً ..

عرف الدين نضالاً ..

إنه جاهد كى ينتصر العدل وكى تعلو رايات الحقيقة ..

فليواصل كل من آمن بالله ، وبالحق ، وبالعلم ، وبالفن ، طريقه .

(يعانق العادل) .

(إظلام ثم يسقط الضوء على ريتشارد وأمير المغرب يبسط خريطة أمام ريتشارد)

ريتشارد : ماذا تطلب يا هذا ؟

أمير المغرب : أنت هنا تشكو من نقص المؤن وقد

تلفت آبار الماء جميعاً !!

ريتشارد :   الداهية صلاح الدين !! أحاصره فيحاصرنى ..

كأنـَّا أسدان اقتتلا ..

أمير المغرب :   القافلة بها ثروات وبها ماء وبها زاد ،

وبها مدد من جبّارى مصر وهم أقوى الأجناد .

هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ازحف أنت بكل جيوشك كى تحتلوا ذلك التل

فجنودى بالتل الآخر .

والقافلة المصرية فى الوادى ما بين التلين

بهذا تسقط فى فخ لن تنجو منه

فلا يبقى لصلاح الدين سوى أن يُذعِن .

(يضحك بعصبية)

هو من علمنى الخطة .. هى خطته كى يسحقكم ..

ريتشارد : وماذا تطلب من ثمن لخيانة أهلك

أمير المغرب : أنا أحتج وأنسحب .. أ .. أنا منسحب ..

ريتشارد : لا أنسى لك ما ساعدتَ به الأسطول ولا خدماتك

مهما يكن السعر مغالى فيه علينا

فلولا هذا ما وُفـِّقنا حتى اليوم

فنفطك ساعدنا حقاً ..

أمير المغرب : أنتم أهل كتاب أوصى بكم الله تعالى ورسوله ..

ريتشارد : لكنى أحتقر الخونة !

أمير المغرب : الوقت يضيع وهذا الملك الأوربى يؤنبنى .. سأروح لكونراد

ريتشارد : لا تطلب منى أن أحترمك ..

لا تطلب أكثر من ثمنك ..

وما ثمنك ؟ .

أمير المغرب : أطلب رأس صلاح الدين .

ريتشارد : هذا ثمن غال جداً ..

هذا ثمن لا يرتفع إليه هبوطك ! .

أمير المغرب : فلنتقاسم ما نغتنمه

ريتشارد : لا .. لى القافلة بما حملت ..

أمير المغرب : حتى الأموال ؟

ريتشارد : لك عُشر الأموال فحسب

أمير المغرب : ولكى نتعاون فيما بعد .. إذا ما احتجت لخدماتى
أفلا تمنحنى مملكة فى هذا الشرق العربى ؟ .

ريتشارد : سأساعدك على أن ترث صلاح الدين

أمير المغرب : لكن سراً ..

ريتشارد : طبعاً يا أحمق ..
فتضم المشرق للمغرب وتصير أميراً للإسلام !

أمير المغرب : هذا ما كنا نبغى ..
لكنا لا نعرف ما يدعى بأمير الإسلام لعلك
تقصد ما يدعى بأمير المؤ ....

ريتشارد : أنا لا أفهم هذا الشئ (يضحك)

أمير المغرب : فاترك لى أموال القافلة وخذ ما فيها من زاد وعتاد ..

ريتشارد :   ستأخذ عشر المال فحسب

فإن لم ترض به ثمناً

فسأذهب وحدى للقافلة فأغنمها ..

(يلوح بالخريطة التى أعطاها له)

وها هو ذا رسم الموقع

وأبعث بك لصلاح الدين

مجروراً فى ذيل حمار ، لا فرس ، تكريماً لك .. !

(يضحك) .

أمير المغرب : أأنا .. وأنا أغنى منكم ؟ .

ريتشارد : (مكملاً) ليقطع رأسك بخيانتك ..

أمير المغرب :   ولكيلا تكشف عن سترى

فيقتلنى فى بلدى من هم أقرب لى حتى من أهلى

اشتمنى إن حضر بمجلسكم يوماً ما رجل عربى

وأنا سأظل ـ فلا تغضب ـ أشتم كل رجال الغرب وأنا سبَّاب متمكن !.

(يضحك بعصبية) .

ريتشارد : ما أحقر هذا !! قبض الثمن .. انتهت اللعبة !

أمير المغرب : هذا للمظهر لا أكثر ..

لأظل أمام الناس ـ كما عرفوا ـ حامى الإسلام

عجل .. عجل .. جيشى من عدة أيام

يعترض القافلة فعجل ..

(يخرج أمير المغرب مسرعاً)

ريتشارد : (للسماء وهو يصلى) يا سيدتى العذراء الطاهرة القلب

يا ابن الرب ..

يا كل رعاتى القديسين

أشهدكم أنى لا أقتل ، لا أغدر ..

فجيوشكم تشكو الجوع ..

لا يغضب أحد منكم حتى لأطرد من ملكوت الرب ..

(يقف يفتح صدره) يا أوربا المنتظرة عودة ريتشارد

سأعود إليكِ بأورشليم .. أورشليم !

ستار

الفصل الثالث

(قاعة صلاح الدين بالقدس حيث يقف هو وعيسى فى قلق وأسى وأصوات استغاثات تتعالى من الخارج)

الاستغاثات : أيها السلطان أين القوت ؟ .. الشعب يموت !

أيها السلطان عار عندما تأكل والشعب يجوع ..

وزعوا ما عندكم بين الجميع ..

صلاح الدين : فلتسامحهم بما قالوه يا ربى فهم لا يعرفون

عيسى : (مصلياً) أنت يا من تحمل الآلام عنا يا يسوع ..

أيها الروح القدس .. إيه يا سيدتى العذراء قودى خطوات القافلة

صلاح الدين : مر يومان وما عاد لنا محمود بعد !

عيسى : كلما مرت علينا لحظة يصبح الموقف أصعب !

صلاح الدين : رب لا أسألك اللطف فحسب

إنما أضرع يا مولاى أن رُدَّ القضاء !

عيسى :   فليعد محمود الطيب حياً ومعافى ..

(يصلى) يا يسوع احمِ طريق القافلة ..

(العادل يجئ منفعلاً)

العادل : لن تجئ القافلة !

عيسى : فهى القاصمة الظهر بحق .. !

صلاح الدين : ولماذا يا إلهى كل هذا ؟!

العادل : جاءنى الآن من المركيز كونراد

أن ريتشارد قد انقض على القافلة المنتظرة !

صلاح الدين :   مستحيل !! مستحيل !!

إن ريتشارد ـ وإن كان عدوى ـ فارس شهم نبيل

هو لا يصنع هذا .. مستحيل !!

عيسى : ما رأينا منه يا مولاى هذا النبل قط

العادل : أنت لم تـُطعَن طوال العمر إلا من رجال

كنتَ أحسنتَ إليهم

أو رجال خِلتـَهم أهل ثقة .

صلاح الدين : قسماً لن يُطعَن الإنسان من حيث وثق !

عيسى : (مكملاً) أو رجال ظفروا بالعفو عن أخطائهم

بعد أن أوقعتهم فى قبضتك !

العادل : هكذا هم جعلوا من نبل أخلاقك فخك !

صلاح الدين :   إن هذا لطريقى ليس عنه من محيص .

أنا لن أعدل عنه يا خليلىّ وإن عُلـِّقتُ به !

الاستغاثات : نحن جياع يا سلطان ..

هلك الزرع وجف الضرع .. الخبز الخبز ..

القوت القوت .. القدس يموت ..

العادل : يعرض المركيز كونراد علينا

فوق ما نحتاج من زاد وأقوات وميرات إذا

أنت وافقتَ على ما يطلبه ..

صلاح الدين : لا تناور ما الذى يطلب أرناط الجديد ؟

العادل : إنه يعرض أيضاً رأس ريتشارد جزاء
عادلاً عن غدره بالقافلة ..

صلاح الدين : (مصدوماً) رأس ريتشارد ؟! ..
فظيع .. ! والثمن ؟

العادل : إنه لا يطلب القدس فما
تعنيه فى شئ كما تعنى لنا
إنه يطلب أن تعطيه صيدا وبيروت إلى جانب صور
وطريقاً آمناً لخليج العقبة .

عيسى : هكذا .. ؟ يطلب تأمين طريق الهند له ؟

العادل : وسيعطينا مئونات كِثافاً ..
ضعف ما تحمله القافلة المصرية المرتقبة !

الاستغاثات : يا صلاح الدين أدركنا رعاياك عرايا وجياع
أدرك الأطفال فالألبان جفت فى صدور الأمهات ..

(صلاح الدين فى ألم بالغ)

صلاح الدين : أرنى هذا الكتاب ..

رب ألهمنى الصواب

العادل : (وهو يسلمه رسالة كونراد) أنت أيضاً جائع

أكثرنا جوعاً وهذا رجل يعرض الميرة فانظر ما ترى

(صلاح الدين يقرأ الرسالة بلا صوت فى أثناء حوار عيسى والعادل اللذين ينظران إليه)

عيسى : أثر البرد على السلطان .. إجهاد طويل

ثم هذا البرد والجوع معاً !

العادل : نحن فى المأزق يا عيسى بحق

الدروع السابغات اليوم لا تحمى صدوراً قدر ما تخفى الخرق ! .

أنخوض الحرب من غير كساء أو عتاد أو مؤن ؟

عيسى : قد تهاوت دولة الإفرنج من أيام حطين ولكن

طالت الحرب علينا فتخلى من تخلى

لم يعد يثبت للحرب سوى عسكر الشام ومصر والجزيرة .

العادل : وقليلون سواهم ..

عيسى : ضد من ؟ ضد أوربا جميعاً اثنتى عشرة دولة !

العادل : هو ذا من يعرض الصلح علينا والسلام المطمئن ..

عيسى : (فى حيرة) غير أنى يا صديقى .. إن هذا رجل لا يؤتمن ..

الاستغاثات :   أيها السلطان أدركنا رعاياك جياع ..
هجم البرد وما فى القدس قوت أو وقود للمدافئ ..
هاجمتنا من ضواحى القدس قطعان الذئاب الجائعات .

(صلاح الدين فرغ من قراءة الرسالة وقد أصبح حزيناً جداً)

العادل : يا أخى ماذا ترى ؟

صلاح الدين : ما أرى إلا العمايات .. سقوطاً وخيانة !!

العادل : نحن لن نعطى للأعداء درساً فى الأمانة !

صلاح الدين : إننى أرفض هذا كله ..

سِر إلى ريتشارد سلمه الرسالة

العادل : فإذا كان صحيحاً أن ريتشارد غدر ؟

صلاح الدين : هو لا يغدر بى .. إنه يحفظ لى سبقى إليه بالجميل !

العادل : ليس فى الحرب جميل

عيسى : أنت فى الحرب إذا لم تقتل الخصم قتيله

العادل : إنما يغلب فيها أكثر الحزبين بطشاً وضراوة .

عيسى : أكثر الحزبين مكراً .. بل .. وغدراً ..

الاستغاثات : هلك الزرع وجف الضرع ماذا يصنع الطفل الرضيع ؟ .

عيسى : (كأنه يصلى) يا يسوع ..

العادل : إن للأطفال حقاً ..

عيسى : أترى نصبر حتى يهلك الناس هنا جوعاً وصبراً ؟

العادل : فلنفاوض ذلك المركيز أن يبعث بالميرة فوراً
من طعام وكساء وغطاء ..
ولكى يثبت أن الأمر جد لا احتيال .
فليحاصر جيشه عكا .

عيسى : فلنطالبه بأن يُدخِل فيها فرقة من جيشنا ..

صلاح الدين : (بإصرار) اذهب الآن إلى ريتشارد سلمه الرسالة

عيسى : (مكملاً) ثم لا نقبل منه رأس ريتشارد ولا رأس أحد

العادل : فليسلم لك ريتشارد أسيراً

الاستغاثات : نحن جياع .. نحن عرايا نحن جياع

العادل : كل ما نطلبه الآن طعام وكساء
وهو ذا المركيز يعطى ما تشاء

(صلاح الدين يعانى من ضغط الاستغاثات ، فيصرخ حذر الانهيار)

صلاح الدين : لا . أبى الله علينا كل هذا .. ..

إننا لا نقبل النصر من الشيطان .. من أظفار خائن

إن نصر الله لا يُسعَى إليه فى طريق من خطايا ..

عيسى : نحن لا نوغل فى الباطل إذ نصنع هذا ..

العادل : إن هذا لهو الحق بعينه !

الاستغاثات : أدركونا بطعام .. ا

صلاح الدين : يا أخى العادل فلتذهب إلى ريتشارد

رُح وسلمه كتاب الخائن الغادر كونراد ..

العادل : ولماذا نغلق الباب علينا دون كونراد ؟

صلاح الدين : يا أخى اذهب قلت لك .. !

العادل : لِمَ لا نقبل عرضه ؟

صلاح الدين : أفتعصانى يا عادل ؟! سِر

العادل : يا أخى يا قائدى ..

يا أيها السلطان فكر وتدبر ..

صلاح الدين : قائد يعلن العصيان جهراً .. !!

عيسى : نحن لم نعص لمولانا طوال العمر أمراً ..

العادل : غير أنى .. أنا ما كنت لأعصاك .. ولكن

أنا ما بين ولائى لك أو للحق حيران فأيان المفر ؟

صلاح الدين : لست والله جباناً لتفر

الاستغاثات :   برح الجوع بنا .. إنه جوع وبرد

هو ذا الشعب يموت .. أيها السلطان أدركنا بقوت

(صلاح الدين يعانى فى صمت يتمزق وهو يبكى)

العادل : ما الذى يمسكنا الآن على الهون هل الحق غبى

أم كليل ؟ أهو أخرس ؟ ..

صلاح الدين : لا .. بل الحق اضطرام واقتحام ..

العادل : أيظل الحق كالمشلول ، والباطل ذو ناب وظفر ؟

صلاح الدين : لا .. بل الحق إذا شاء شرس ..

الاستغاثات : أدركوا شعب القدس

فسننقض على كل قصور الأمراء ..

وعلى قصرك أنت .

العادل : إننى أعرف ما الحق وما الباطل مما نحن فيه

صلاح الدين : ليست العبرة فى أن تعرف الحق ولكن أن تكونه

العادل : إن هذا الأمر لا يقوى عليه عارفوه

صلاح الدين : ما الذى يجعل محروماً على الرغم من الحرمان لا يهوى لإغراء الضلالة ؟

عيسى : عزة يمنحها الصبر لمن يقوى عليه ..

صلاح الدين : ما الذى يجعل رُباناً شجاعاً مؤمناً يرفض إن

حاصرته قوة الأعداء تسليم السفينة ؟

عيسى : إن عند الرب للموت مخارج

صلاح الدين : ولماذا يؤثر الربان أن يغرقها

ثم لا يلبث أن يغرق فيها برجاله ؟

العادل : يا أخى السلطان سلمنى الرسالة ..

(يأخذ العادل الرسالة ويسرع إلى الخارج من اليسار .. فى حين يرتفع صوت كوكب فاجعاً من ناحية اليمين)

كوكب : أيها السلطان .. أدركنا ألا تدرك هول الفاجعة ؟!

عيسى : إن هذا صوت كوكب .

(تندفع كوكب إلى السلطان ممزقة مولولة وعلى ثوبها الممزق بقع دماء)

صلاح الدين : اهدئى يا أمة الله اهدئى ..

كوكب : مات محمود حبيبى !

(صلاح الدين وعيسى يشهقان مأخوذين .. صلاح الدين يعتريه الوجوم)

عيسى : (صارخاً) يا إلهى .. كيف ؟ .. لا .. محمود ؟! مات !

صلاح الدين : لم أكن أعرف إذ أرسلتك الساعة يا محمود أنى لن أراك ..

(يحاول أن يتماسك بلا جدوى)

يا صديقى .. أنت يا أنقى ويا أغلى الرجال ..

ولدى .. يا فارس الفكر العظيم ! ..

عيسى : (يمسك به مواسياً) ملكى .. يا قائدى .. لا يا أخى !

كوكب : إننى شؤم على الذى يقرب منى .. إننى بنت الضياع .

صلاح الدين : (فاجعاً ناظراً إلى الفراغ) يا أخى ، وابنى .. وأستاذى ومن يرشدنى .

أيها الضاحك مهما تدلهم الحادثات ..

ليت أنى لم أكن أرسلته ! إننى ضيعته !! ..

أنا من ضيع فى هذا الخواء المجدب المفعم بالمأساة أغلى الناس عندى !

(ينهار باكياً)

عيسى : أنت من علمنا الصبر أمام النائبات !

كوكب : (كسيرة بصوت يبلله الدمع) كل شئ ينتهى !!

كلنا للموت ،

لا أجهل هذا غير أنى ..

لم يدر فى خاطرى فى أى يوم أن محموداً يموت ..

هو ذا مات وما خلف لى غير ضياعى فأعِنِى ..

أيها السلطان لا تبك كما أبكى أنا ..

أترك الدمع لنا .. أيها الشامخ لا تضعف أعِنِى ..

صلاح الدين : (لنفسه) آه ... محمود يموت ! ؟ الأمر لله ! ولكن كيف مات ؟!

(متماسكاً متأسياً ومواسياً) ..

كلنا لله لا يبقى سواه .. !

كوكب : (فى نبرة مأساوية .. وأحياناً يتعالى نحيبها فى رفض)

كل شئ ضاع

يا مولاى .. ضاع ..

الشعاع الحلو ضاع ..

الصفاء الباسل المقتحم الشامخ ضاع ..

صانع الفجر الجديد

صائغ الآمال فى نبض النشيد

طائر المستقبل الغريد .. الرغبة فى الأعماق أن نقتحم المجهول ..

حلم القلب بالعدل ، جلال الكلمات ..

شرف الفكر الجسور ..

انتفاضات المعاناة .. اصطخاب السلف الصالح ضاع ..

كبرياء العلم ، نور الفكر ضاع

ثورة العزة فى وجه المذلات .. انتصار الطهر

إذ تطغى الملذات .. تحدى الظلم والطغيان ضاع ..

قلق اللهفة كى تسعد كل الناس .. البسمة فوق القسمات

الطيبات .. الضحكات ..

كل هذا أيها السلطان ضاع ..

الحياء العذب ضاع

الجسارات ، النبالات ، الطهارات ، الحنين الباسم الواثق .. ظل الحب ضاع

المنى والليل والفرحة والأنسام والبهجة والشعر وضوء الفجر ضاع

كل هذا أيها السلطان قد ضاع فقل لى كيف ضاع ؟

إيه يا ربى لماذا ؟! . ضاع محمود وما خلف لى غير الحريق !

صلاح الدين : (وهو يسيطر على نفسه بصعوبة وتغرق كلماته المواسية فى دموعه ويختنق بزفراته)

اصبرى لقضاء الله يا كوكب .. طوبى للشهيد

حبذا مجد الشهادة !

كوكب : كان محمود يحب الفجر يا مولاى لا يفتنه مثل الشروق

وهو ذا قد ضاع منى فى الشروق .

يا حبيبى لم يعد فى عالمى بعدك إلا كِسَف الظلمة

يا ضوء حياتى لم يعد بعد شعاع

(ثم منهارة) يا حبيبى إن كل العمر ضاع

لم يعد غير دموعى وحنينى ..

وجنونى والضياع .. !

عيسى : كيف مات ؟!

اهدئى يا كوكب الآن وقولى كيف ضاع ؟!

كوكب : رحت كى أعرض للجند الذى أقبل من مصر يسوق القافلة ..

عيسى : ثم ماذا .. ؟

كوكب : إنه آخر ما ألفه محمود لى !

صلاح الدين : أكملى يا أمة الله .. استمرى ..

كوكب : نحن كنا عند واد ضيق بين التلال ..

ضحكات ، وأمانى عِذاباً ، وانطلاقاً

وإذا فى قمة التل جنود عرب عسكروا فى الانتظار

باغتونا بسهام وبأحجار ثقال

صلاح الدين : أجنود عرب ؟ لا .. لا .. محال !

كوكب : عسكر المغرب يا مولاى كانوا ...

صلاح الدين : (مقاطعاً) ليس هذا خـُلـُق المغرب ، فالمغرب من خير العرب

عيسى : إنه كيد الأمير !!

كوكب : ردهم عسكرنا

وانشغلنا نحن بالجرحى فعادوا من جديد ..

وتقاتلنا نهاراً ومضى ليل كئيب ونهار

ثم جاء الليل من بعد بهول مدلهم

فإذا جيش الصليبيين بالأبراج يرمى بسعير

قد علا قمة التل المقابل

آه يا مولاى .. جيش هائل ضخم كثيف

قاده السفاح ريتشارد اللعين .

صلاح الدين : أهو ريتشارد بنفسه ؟!

كوكب : هكذا انقض من التلين جيشان علينا

كان هم العسكر المصرى أن يحموا من النار متاع القافلة .

صلاح الدين : ثم ماذا بعد ؟

كوكب : انتهى الأمر بنهب القافلة

صلاح الدين : ورجالى .. أين آلاف الرجال ؟

كوكب : وأتى الفجر حزيناً أرجوانى الضياء

وغشت حمرته وجه السماء ..

وعلى الأرض الدماء ..

وإذا دائرة الأفق حوالىّ كطوق من لهيب ودماء (مسرعة)

كل شئ حولنا أو فوقنا أو تحتنا

لم يكن غير حريق وأنين ودماء

وإذا بى حيثما طفت أرى الأشلاء لا شئ سواها والدماء .

ورجالاً ملأوا الدنيا ضجيجاً وزحاماً واضطراباً وابتساماً

أصبح الواحد منهم بغتة تمثال فحم !!

(حنونة مفعمة بالفجيعة) وإذا وجه مضئ

يرقب الفجر ، وما فارقت الومضة عينيه ولا البسمة ثغره !!

خافق النبرة ، كالخفقة أسيان يغمغم .

وسمعناه يقول :

فلتصوغوا من دمى المسفوح للإنسان فجره

عانقوا المستقبل الزاحف من خلف الدماء !

(تبكى) كان محمود هناك !

صلاح الدين : لم أقف طيلة عمرى .

موقفاً أغيظ من هذا (للسماء) اشفِ صدرى .

أنت جبار السماء !!

كوكب : ذهب الكل وإذ بأمير المغرب المجنون يأتى صارخاً :

إيه يا محمود قم فاركع لمولاك أمير المؤمنين !

وإذا بالوحش ينقض عليه

والفتى محمود فى غيبوبة الموت يغنى للشروق ..

هكذا مُزق محمود وما زال يغنى للشروق .

أخذ الراية فى أحضانه ثم انتهى .

عانق النسر ومات .

عانق الفجر ومات !

صلاح الدين : يا إلهى .. نقمة تشفى الصدور !!

كوكب : غير أنى فجأة أنشبت أظفارى فى ذاك الرجل .

جحظت عيناه فلم يجرؤ على أن يستجير

كدتُ أن أخنقه لولا رجال من خيال الظل .. قاموا كلهم دونى

وقالوا :

فلنقيده لكى نذهب للسلطان

صلاح الدين : (منفجراً) أين هذا الوحش ؟

(تذهب كوكب وتسحب أمير المغرب المقيد بالحبال وحوله رجال خيال الظل يدفعونه أمام صلاح الدين فيقع صارخاً فى دهشة)

كوكب : هو ذا فى القيد يا مولاى ، لكن

لم يزل ريتشارد حراً لم يقع !

أمير المغرب : أيها الكفار إنى لأمير المؤمنين ..

كيف قيدتم أمير المؤمنين ؟

أنا من يحمى حمى الإسلام وحدى .

أقتلوا السلطان .. فالسلطان كافر !

كوكب : إنه نذرٌ إلى الله إذا أظهرك الله على ريتشارد أن

أخضب كفىَّ بدمائه

الأمير : (مستمراً) إننى أحكم بالكفر وبالموت عليه .

صلاح الدين : (لأمير المغرب) أيها الدود الذى يقتات من لحم الضحايا

عد إلى القبر الذى أقبلت منه !

(يضحك أمير المغرب ضحكات هيستيرية)

أمير المغرب : أنت من أنت لكى تشتمنى وأنا صرت أمير المؤمنين

أنت من أنت إذن .. ؟

صلاح الدين : أنا قاضيك وجلادك .. فاصبر ..

(إظلام .. ثم ضوء على ناحية من المسرح فيها كونراد وريتشارد وملكة أورشليم وأختها إيزابيل والملوك والأمراء الصليبيون فى شبه نصف دائرة .. يسقط الضوء عليهم جميعاً للحظة .. ثم ينحسر إلى كونراد وريتشارد والملكة .. كونراد يقف خطيباً)

كونراد : (لريتشارد) سيدى عاهل أوربا السماوى الجليل

قائدى الطاهر ذا القلب النبيل

أنت يا من بارك الرب خطاه

ملكى .. يا فارس الفرسان يا ريتشارد يا قلب الأسد

سيدى يا قائدى يا مليك الإنجليز

ريتشارد : لا تــُطِل يا أيها المركيز .. قل

حسبنا القول الوجيز .

كونراد : سادتى يا من تركتم دست سلطانكم من خلفكم

وركبتم خطر البحر إلينا

ها هنا ، تدفعكم ريح من الحقد المقدس

الملكة : ليست الأحقاد ما جاءت بهم

إنه الحب العظيم

دعوة ابن الرب من عليائه أن يستعيدوا أورشليم

كونراد : (بحركة نفاق شديد لريتشارد) قائدى .. يا سيدى .

احمِنى من شغب المتهمة

الملكة : (كأنها تصلى) رب إنى أسجد الساعة فى هيكل قدسك

فرجال الدم والغش يصيحون عليك

إنهم خلفى بالخنجر يا ربى فلا تغلق أمامى باب حصنك

كونراد : أنظروا ما يفعل الآن بكم حب أثيم

عاش فى قلب امرأة !

قد عجزتم كلكم عن أن تعيدوا أورشليم ..

إن هذا الحب مسئول عن الكارثة التى حاقت بنا

إن هذا الحب قد دمرنا .. شوهنا ..

قاد أنقى ملكات الشرق كى تهوى فى قاع الدنس

سلمت لصلاح الدين حتى جسمها الحر الصليبى المقدس !

الملكة : أشهد العذراء هذا كذب محض افتراء وضلال ونجس !

كونراد : هكذا تسقط من كانت على عرش أورشليم مثالاً للشرف

إنها فى فحشها لن تعترف !

هكذا تسقط أنقى الملكات .

إنها أودع من كل حمامات أورشليم .. طهور ! .

فغدت تـُحسَب بين الساقطات !

ثم صارت مثل من يمشون فى النوم - ولا يدرون - نحو الهاوية .

ككرات الثلج إذ يهوين يكبرن فيهوين فيكبرن فيزددن انحداراً .

هكذا حوّلها الحب إلى جاسوسة

لصلاح الدين والشهوة تغتال ضمير العاشقة

كل أسرار الصليبيين عنده ..

هاجِموا مخدعه يوماً تروا خطتنا فى مخدعه .

الملكة : يا إلهى فتح الغش فمه .. !

كونراد : زوجتى طاهرة الأعراق إيزابيل ذات الصون لم ترض بهذا

فجفتها وهى من كانت لها أماً وأختاً ..

إن ذات الصون إيزابيل زوجتى آثرت

أن تنصر الحق الصليبى على حق الأخوة ..

الملكة : إيه يا رب السموات ألا تنقذنى ؟!

إنه أحبولة تخنقنى

(كونراد يتحدث إلى زوجته إيزابيل التى تظهر عارية الكتفين والصدر مثقلة بالجواهر الباهرة النادرة .. الحديث غير مسموع .. نرى إشارات متبادلة بينهما)

الملكة : (مستمرة) يهدم الشرير مجدى ، يلصق العار بطهرى

ثم لا تحفر للشرير حفرة ؟

أنزل الضربة بالشرير يا رب السماوات وإلا خنقتْ شعبك أحبولة مكره ..

جنِّـب العالم هذا الشر ، يكفى أننى أكتوى الآن بشره ..

إيه يا سيدتى العذراء صونينى من الغش ، فمن غيرك حصنى ؟ .

أفرغى الأمن بقلبى .. أدركينى

أنا فى وجه اتهام مثل هذا يجفل المنطق منى !

كونراد : (مستمراً) هكذا ضاعت علينا أورشليم .

وجثت هيبة أوربا أمام النسر يغشى بجناحيه اثنتى عشرة دولة

هكذا حاصرنا النسر هنا من غير ماء أو طعام

وهى فى مخدعه تشرب ما شاءت وتطعم .

هكذا يحيا الصليبيون فى عار المذلة

(فى مكان آخر بالمسرح يستلقى الضوء على صلاح الدين وأمير المغرب .. راكعاً أمامه فى الحبال)

أمير المغرب : على قدميك أعفـِّر رأسى الملكى ارحمنى .. ارحمنى ..
ارحم أطفالى

(الضوء على صلاح الدين وكونراد وحدهما وكأنهما على البعد يتجادلان)

صلاح الدين : ألم تتذكر يا حاقد أطفال سواك
وأنت توطئ أرض بلادك للمحتل
ليسحق بسمات الأطفال ؟
لأى مصير يدفعنا الحقد الأعمى ؟

كونراد : أنظروا أى مصير قادنا الحب إليه ؟
إنها قد أهدرت كل التقاليد ، تناست
إنه لا نصر فى الحرب إذا لم يلهب الحقد السواعد !

صلاح الدين : أنسيتَ تعاليم الإسلام :
أحب لغيرك ما أحببت لنفسك ؟ . أم
أعماك الحقد ، وجبروت يمنحه للجبار الظلم ؟

فصرت كوحش أسطورى لا يرويه غير الدم ؟

كونراد : وبهذا سَقَطَتْ .. سيطر الحب عليها يطرد الحقد المقدس ..

صلاح الدين : طمستَ بقلبك نور الحب فغشـَّته ظلمات الزيف !

بذاك لـُعِنت !

كونراد : نحن إن لم نملأ الأعماق بالبغضاء نصبح فقراء

عندها لا يجد الإنسان ما يدفعه كى يسحق الأعداء سحقاً ،

هكذا لن ننتصر ..

هكذا .. لن نتحرر ..

صلاح الدين : لن يتحقق للإنسان من الحرية ما ينشده

إن لم يعرف كيف يحب .

كونراد : إنها خانت وهذا ثمن الحب .. وما أغلى الثمن !

صلاح الدين : خيانة أهلك كانت ثمناً لضغينتك ..

هذا الدم فوق الصحراء ، هذا الألم المتوحش يفترس الشعب ،

والأمل الدامى يصبغه جرح القلب ،

ما كان يعوض عن نصر كى نتعزى ..

بل أفدح ثمن للبغضاء !

كونراد : املأوا الأعماق ، بالحقد على أعدائكم

تصبحوا سادة الدنيا وتحيوا فى سلام ..

صلاح الدين : طهروا الدنيا من الحقد تعيشوا فى السلام

كونراد : أحرقوها .. إنها أولى بأن تحرق مثل الساحرات

صلاح الدين : لهذا تلعن فى دنياك وآخرتك

ويحق عليك عقاب المفسد والخائن ..

فليقطع رأسك ..

(إظلام على صلاح الدين .. الضوء على ريتشارد وكونراد والملكة)

كونراد : هكذا تنزل من أيديكم ضربة الرب عليها .. أحرقوها ..

(ريتشارد يقف منتفضاً بكل عنفه بعد أن طال صمته)

ريتشارد : هكذا ضربة الرب لمن خانوه . يذوون وقوفاً

ويذوب الشحم منهم

ثم يهوى لحمهم قطعة من بعد قطعة

ويغيض النور من أعينهم فى دمعهم دمعة فى إثر دمعة ! ..

أى عار أيها الفارس يا حامى الصليب ..

أيها المركيز فلتسقط أمام الرب كل الأقنعة !

أنت لن تخدع عين الله فالله يرى وجهك الشائه

مهما تخفه تحت القناع !

أيها المركيز يختال علينا بالخطايا والذنوب

لا ... بأمجاد السموات بنيران الجحيم .

أنت لن تترك تستشرى وتغلو فى الخداع .. !

أنظروا يا أيها السادة ، ما يخفى القناع ..

أنت طالبت بأن تحرق أتقى الطاهرات ..

إنها لم ترتكب ذنباً سوى أن كشفتك

أنت أغريت عليها أختها وتحايلت إلى عرش أورشليم بها يا عارها !

فهى أيضاً خدعتك

هو ذا المركيز .. أقوى فارس

يحمى الصليبيين فى المشرق مخدوع وخادع ..

هو مخدوع وإن غالط علمه ..

زوجة المركيز ذات الصون ليست غير بئر للقمامة !

إيزابيل : (صارخة فى الظلمة فلا ضوء عليها) لا تطعن فراشى

فغداً يخرج منه كل حكام أورشليم ملوكاً كالشموس

ريتشارد :   اسألوا تجار أوربا ..

اسألوا فيليب من أية بئر يرتوى فارسنا هذا التعيس .

ها هنا مستنقع من عَفَنٍ لا قيادات اثنتى عشرة دولة !

الملكة : أذكروا إذ نحن من عدة أيام نعانى ها هنا الجوع الزرى

فصنعنا بعض ما يرفضه الرب لإنقاذ الجنود

ولدى المركيز مال لا يبيد .

(ضوء على نحر إيزابيل العارى المزين بأفخر الجواهر)

وعلى الصدر الذى عرّته ذات الصون عقدٌ واحدٌ

يكفى لإطعام ألوف وألوف ..

اسألوا أنفسكم ما كل هذا الجوهر النادر

قد رصع جسم الطاهرة ؟

إيزابيل :   أسكِتوا من جعلتْ عرش أورشليم فراشاً للدعارة !

(ثم للملكة) أسكتى يا من سلمتْ لصلاح الدين حتى نفسها

الملكة : اسألوا تجار أوربا بكم باعوا لمركيزكم هذا الشريف ؟

بطريق الهند يا سادة ! هل جئتم هنا

غضبةً من أجل أورشليم أم جئتم لكى

تنشئوا مُلكاً عظيماً لأمير فاسد وفتاة فاجرة ؟

كونراد : ليس من حق التى باعت أورشليم بعشق آثم أن تتهم ! .

الملكة : أيها المركيز يا من تدعى الغيرة يا مصيدة الطهر .. كفى ! ..

أنت ما حاربت للعذراء .. ما جاهدت من أجل الصليب

إنما من أجل مجدك ..

إن مجد الرب فى عليائه يجأر منك !

إن فى أعماقك الوحشية العمياء كهفاً

مظلماً لا قلب فيه بل ضياع

شلت البسمة والنبضة منه والشعاع !

كونراد : أخرسوها .. ارجموها بخطاياها ارجموها ..

الملكة : هالك أنت لعين !

ضرسه السكين عيناه إلى هاوية تفضى ، حناياه خرائب !

قسماً لن ينظر ابن الرب لك ! ..

ليت أن الله قد صورنا وفق الطباع ..

وإذن ما صيغ أمثالك إلا كالأفاعى والعقارب ..

أنت ريح من جحيم البغض قد هبت على خضرة أيام الأمل ..

أنت بهتان وغش وشرور ودجل ..

أنت عار يصم المعبد والمحراب والشمس وأقداس الطهارة ..

آه يا عار الصليبيين إن لم ينزلوا ضربة الرب عليك ..

إيزابيل : أخرسوها .. كيف لم تفتك بها يا أيها الطاهر ريتشارد العظيم ؟ .

إيه يا أتقى الملوك اغضب لهذا الشرف المُهدَر واضرب ..

كونراد : أيها السادة ما صبركم ؟

أحرقوا من لطخت هيبتكم فى مخدع الفسق وباعت أورشليم ! .

ريتشارد : بل أورشليم بما فيها من الأقداس والزيتون والأمجاد يبصقن على وجهك جهراً ..

قد تآمرت على تسليم أورشليم غدراً ..

وتآمرت على رأسى ، علينا .. وتآمرت على كل الجنود ..

اسمعوا يا أيها السادة ماذا صنع المركيز كى لا تتركوا الشرير يحتال عليكم .

أيها السادة قد باعكم النخاس سراً .

رأس ريتشارد .. دماء الجند ، بل حتى أورشليم لكى

يشرى بها تاجاً وعرشاً

إنما تشرى بها قبراً ونعشاً .. اقرأوا يا أيها السادة هذا

(ملوحاً برسالة كونراد لصلاح الدين)

إنما يعرضنا فى السوق .. لكن صلاح الدين يرفض !

الملكة : أنزلوا الضربة بالخائن كى تشفى قلوبٌ فى الصدور

ولكيلا يشمخ الباطل ، والحق كسير !

ولكيلا يصبح الكذاب والخادع والشرير صناع المصير

خلصوا منه الصليبيين يا من جئتمو

ها هنا كى ترفعوا راياتكم فوق النسور

ريتشارد : اسحبوه فى ذيول الخيل كى يُصلب حياً

تحت أسوار أورشليم .. وقوموا الآن للزحف العظيم

(ريتشارد والملكة صارخين) .. أورشليم !!

الملكة : (وحدها) أورشليم .. !!

(إظلام على قرع طبول ونفير ثم الضوء على قاعة صلاح الدين بالقدس .. أمراء عرب وقواد نعرف منهم العادل وعيسى والأميرين واللذين كانا يريدان الانسحاب فى مشهد سابق)

عيسى : حمداً لله طحناهم فى معركة لن ينسوها !

العادل : امتلأ الليل بقتلاهم والنسر الأحمر ينقض

الأمير 1 : من لم تقتله منهم ضربات السيف وطعن الرمح

تساقط عطشاً أو جوعاً .

عيسى : شكراً ليسوع (يشير إلى صدره بعلامة الصليب) حميت القدس !

الأمير 2 : فضل صلاح الدين علينا لن أنساه مهما أنس
فلولاه ما حاربنا ..

العادل : ولما جرؤ الواحد منكم أن ينظر لعيون بنيه أو امرأته ..

عيسى : بصبر صلاح الدين بتلك القدرة أن يتحمل حتى ظلم أحبائه ...

العادل : وكل شماتة أعدائه ..

عيسى : بتلك السيطرة الخارقة على الأهواء

أمير 3 : بضبط النفس .. كسبنا الحرب

أمير 2 : وأبطلنا كيد الأعداء .

أمير 3 : صُنــَّا القدس .

أمير 1 : ولكن أيسلم ريتشارد ؟!

عيسى : ليس لديه خيار بعد !

العادل : إن الحرب صراع دامٍ بين الجزع وبين الصبر ..

أمير 3 : سلم سلم يا ريتشارد

(إظلام ثم ضوء على ريتشارد منهكاً جريحاً حزيناً)

ريتشارد : قولوا له عنى : كفى ! ..
إنى لأعرف نبله وسموه ،
إنى لأعرف حبه للسلم رغم شجاعته ،
قولوا له وهو الذى يسعى لعمران البلاد :
ما فى دوام الحرب مصلحة لأى الجانبين ..
أكلت ديارى هذه الحرب الضروس ....
فتآكلت ، وتآكلت حتى النفوس ...
وأنا هنا لا ماء بعد ولا طعام .. ولا أمل !
أفسدتم الآبار دونى والحريق يشب من حقل لحقل ..
قولوا له عنى : كفى .. هلكت بلادى من وراء البحر قام أخى يثل العرش منى
وأنا هنا لم ألق غير مرارة النكران تنهشنى
وغاشية التجنى ..

الشمس يخطئها النهار هناك والقلب المغرد ... لا يغرد

كل شئ يرتعد .. وأنا هنا ملحى فسد ..

قولوا له عنى : كفى !

سلـِّم أورشليم التى أوصى بها ابن الرب للخلصاء من أتباعه

وسنعقد الصلح المكين المطمئن لكى يدوم

كى تستريح الشمس من دورانها تحت الغيوم

خذ ما تشاء من الإمارات الصليبيات ، خذها كلها

إن شئت ، وأترك أورشليم ، لكى يظللنا السلام

قولوا له عنى كفى !

(إظلام على ريتشارد وضوء على صلاح الدين فى ناحية أخرى من المسرح)

صلاح الدين : لا .. لن أسلمها إليك فلا سلام بدون عدل .

طوبى لصناع السلام ..

(إظلام ثم الضوء مع موسيقى النصر يغمر قاعة صلاح الدين كلها .. فيها عيسى والأمراء والقواد وبعض أفراد الشعب وضجة .. بهجة .. هتافات من الخارج والداخل) .

الهتاف : عاش السلطان المنتصر .

أمير 1 : ملأت قلوب الناس بحبك .

أمير 2 : ملأت بيوت الناس بخبزك ، وبدفئك .

الأمير 3 : نهنئكم بالنصر الساحق يا مولاى .

صلاح الدين : حمداً لله .. أهنأتم أخاكم عيسى بالعيد .

وسائر إخوتنا فى الله ؟ .. الليلة عيد الميلاد ..

(حركة تهنئة وسلام مرح .. يتلقاه عيسى وبعض الآخرين) .

أصوات : أعاد الله العيد عليكم بالبركات .. وبالإقبال ..

(ملكة أورشليم السابقة تدخل بكل عظمتها فى ثوبها الملكى والتاج على رأسها كما تعودت أن تظهر دائماً) .

الملكة : (لصلاح الدين) جئت أحج

شكراً لك عما ألقاه من كرمك وسماحة نفسك

صلاح الدين : اِهنئى سيدتى الفاضلة بعيد الميلاد الأمجد

جعل الله حياتك أعياداً متصلة ..

الملكة : أقول كفى ! . قد فاض الدم حتى ليخضب وجه الليل

أصبحت الظلمة حمراء .. !

صلاح الدين : برغمى هذا يا سيدتى !! ما الحيلة ؟

أنا أيضاً تنزف أعماقى بجراحى ..

فى أعماقى فاض الدم .. فقدتُ أخاً وابناً وصديقاً وكثيرين من الشهداء

يا ربى أسألك الصبر ! .

الملكة : بعد قليل يسقط ثلجٌ أبيضٌ .. بشرى ...

صلاح الدين : يا أهلاً بالخير القادم !

الملكة : (مكملة) أو تطهيراً للعالم

صلاح الدين : فليتطهر وجه الأرض من الآلام

الملكة : حمل يسوع آلام البشرية فوق صليب الصلبوت القدسى

معصوب الجبهة بأكاليل الشوك البرى الوحشى

صلاح الدين : نبى الرحمة وبشير بخلاص الروح

الملكة : ولد وحيداً ، عاش طريداً كى ينتهى عذاب العالم !

فى مثل الليلة ولد يسوع ،

وهذا الجزء من الدنيا يئن من الظلمة والفوضى ،

ولد يسوع ..

(للسماء) الزيتون بأرضك يغرق فى طوفان ودم ودموع ..

أفما آن لفجر آخر أن يشرق

من ليلة ميلاد يسوع ؟!

صلاح الدين : جاء عليه سلام الله وروح الله وكلمته

نوراً للناس يزكيهم ويطهرهم ..

وبعد قرون جاء رسول الله محمد الأمى

صلى الله عليه وسلم

ليُتِم رسالة مَن سبقوه ..

يعيد صياغة هذا العالم ..

كى يصلح سكناً للأحياء .

(يدخل ريتشارد منكس الرأس تحت قلنسوة راهب تكاد تخفى وجهه فى ثياب الحجاج ، منظره يثير ريبة الجميع ولكن صلاح الدين يتعرف عليه ويسكت)

عيسى : (ويده على سيفه) من هذا ؟ من ؟

أمير 1 : (متجهاً إلى ريتشارد) من أنت .. أجب ..

أمير 2 : (لصلاح الدين) أقم لك حرساً يا مولاى فهنا الفاجر والبر .

(يحيطون بريتشارد وهو لا يتكلم ولا يرفع رأسه) .

صلاح الدين : دعوه .. ودعونى معه (يحف إلى ريتشارد)
أهلاً بك أهلاً ..

(يخرج بعضهم ويتردد الآخرون .. العادل وعيسى غاضبان)

العادل : اغتالوا عمر بن الخطاب وعلياً إذ لم يتخذا حراساً ..

صلاح الدين : أنجا عثمان مما قـُدِّرَ والحراس يحيطونه ؟

العادل : دعنى فأفتش عما يخفى تحت عباءته القدسية

صلاح الدين : قلتُ دعونا يا سادة .

(يخرجون ويتلكأ العادل وعيسى وأعينهما على ريتشارد)

العادل : فلنبق على مقربة منه يا عيسى مفتوحى الأعين

عيسى : والأيدى تمسك بالسيف .

(خرج الكل الآن ولم يعد غير الملكة مع صلاح الدين وريتشارد .. الذى يخلع قلنسوته ويرفع رأسه الذى ظل منكساً)

صلاح الدين : أهلاً بك فى ثوب الحج الورع الطاهر !

يا قائد أوربا يا ليتك لم تأت إلينا إلا فى ثوب الحجاج .. (صمت)

ريتشارد : تعثر فرسى وأنا آت بالجثث الإنسانية .

صلاح الدين : رحم الله جميع القتلى ..

ما منهم إلا من سقط دفاعاً عما يؤمن به

ريتشارد : (مكملاً) فلم أتبين ما هو منها عربى بين الجثث الأوربية

الملكة : حسم الموت صراع الناس ..

صلاح الدين : مهما يختلف الأحياء .. فجثث الموتى تتشابه ..

ريتشارد : أقول كفى .. هذا يكفى .. !

صلاح الدين : ألست بعطشان أو جائع ؟ .

ريتشارد : أطعمنى بعض رجالك وسقونى .. شكراً ..

الملكة : لو نتعلم شيئاً منهم !

ريتشارد :   حتى ما كنا نبغى من تلك الحرب ..
أصبح يا سلطان العرب غموضاً يتناهى لغموض .

صلاح الدين :   ما من شئ أوضح عندى مما نبغيه نحن ..
أما أنت ...

ريتشارد : أنا ذا جئتُ إليك بنفسى لأصالحك على شرطك

صلاح الدين :   كنت على ثقة من أنك لن تمضى فى حرب ما ،
إرضاءً لعناد فيك
أو بحثاً عن زهو باطل ..

الملكة : أو مجد حربى زائل !

صلاح الدين : هذا هو حقاً ما أعرف عن قلب الأسد الباسل ..

ريتشارد : قلب الأسد أتى ليمد طواعية يده بالود . أتقبل كفى الممدودة بالصلح إليك ؟

(يمد يده فيسلم عليه صلاح الدين)

الملكة : (متأثرة) ما أروع هذا .. يوشك دمعى أن ينهل

ريتشارد : أأناديك بلا ألقاب رسمية ؟

صلاح الدين .. يا من بهر الفرسان الأوربيين

نبل فروسيته النابع من تلك الأخلاق العربية ..

الملكة : مرحى ريتشارد !

ريتشارد : حين أقارن بين صنيعك وفِعَالى

أكاد أذوب إلى أعماقى من خجلى .. بل من ندمى ..

بل من عارى !

صلاح الدين : طـُويت صحف بمآسيها ..

جف القلم بما هو كائن

(صمت) وعفا الله عما سلف .

ريتشارد : غرستُ بأحلامى جنات .

أقمتُ قصوراً ومدائن ..

زرعتُ بأرضك آمالاً يا أورشليم ..

مُلك كالشمس على الوديان القدسية !

حلمت بغابات الزيتون .. جبال النور .. حقول البركات العلوية ..

خفقات طيور ربانية ..

برءوس الشجر يقوم عليها الأفق تميل لكى تسجد

بتراتيل عذارى المعبد ..

بمواكب تزخر

بهتافات جموع تزأر ..

أمواج عباب بشرى تزحف راكعة لتحيى أمجادى الحربية ..

وإذا بعيونى مهما تنظر لا تشبع ،

وأذنى لا تمتلئ بشئ مهما تسمع !

ويلك ويلك يا ريتشارد !

الملكة : هذا باطل .. !

ها هى ذى كل الأنهار

تفيض إلى بحر الرغبات اللجى الطامى الزاخر ..

وليس البحر بملآن !

صلاح الدين : أحلام تخلق أحلاماً ..

أطماع تتولد منها أطماع أخرى أكبر ..

تيه متلاطم .. !

الملكة : أنهار تجرى للبحر وأمطار تنهمر عليه .. وليس البحر بملآن ..

ريتشارد : وماذا بعد ؟ أى حصاد مما تصنعه يا ريتشارد ؟!

أى حصاد من أحلامك ! قبض الريح .. !

الملكة : وهذا باطل .

ريتشارد : وأنا أيضاً ؟! أنا ذا باطل ..

أنا ذا ملك مثل الشمس ، لكنى ملك مهزوم ..

(منكسراً) ملك مهزوم يستسلم ! .

صلاح الدين : (مواسياً) كان بوسعك أن تنتظر الإمدادات الأوربية ثم تواصل ..

الملكة : وهذا أيضاً قبض الريح !

ريتشارد : فقدت حربى معناها ..

(يطلق زفرة عميقة) إيه .. ! انتصر النسر الأحمر !

الملكة : ظل منيعاً ونبيلاً

معتصماً بأعالى القمم وأغلى القيم

فوق فخاخ الصيادين .

ريتشارد :   ثم انقض يمزقنا (مبتسماً بمرارة) واستطعمنا ..

فى بعض لحوم فرائسه تجديد شبابه !

الملكة : ما من نسر يتعب أبداً

ما من نسر يهرم أبداً !

ريتشارد :   ألهذا اخترت النسر شعاراً ؟

جبار الأجواء الخالد !!

الملكة : ما من جدوى .. النسر منيع فى وكره

ريتشارد : قضى الأمر فما من جدوى ! .

صلاح الدين :   أوربا ما زالت تملك أن ترسل حشداً أقوى ..

لكنك عن طوع تتفضل مشكوراً تعرض سِلماً ..

الملكة : أمسيح أنت .. ما أنت بشر .. ! ..

أتواسى حتى من نكبوك إذا انـهزموا !

فلو أنـهم قد هزموك لما رحموك !

ريتشارد : لا أتصور رجلاً مثلك يلقى ما لاقى منى

ويأبى حتى أن يشمت ! ..

الملكة : وهم من حسبوا فى نبلك ضعفاً يقتنصونك منه !

صلاح الدين : إن فضائلنا قوتنا ،

هى قلعتنا هى أسوار مدائننا .

وبعض الناس كأنـهم المدن المفتوحة لا أسوار لتحميها

أولئك مدن منتهكة ! .

ريتشارد : سأنـهى الحرب ..

لن نصبح مثل الأسدين إذا اقتتلا

(الملكة تضحك لأول مرة .. فجأة وهى تشير إلى صلاح الدين وريتشارد بخفة طفلة مرحة وكأنـها تخيلت صورة بالغة الإضحاك) ..

الملكة : ولا يبقى إلا الذيلان

(ضحك)

صلاح الدين : (ضاحكاً مشيراً إلى ريتشارد) لا يبقى منا إلا ذيلك !

(ضحك)

ريتشارد : (ضاحكاً مشيراً إلى صلاح الدين) أو ذيلك !

الملكة : أى شروط يفرضها سلطان العرب علينا اليوم ؟

ريتشارد : أى شروط يفرضها المنتصر ؟
(صمت)
أنا أصغى لشروطك فتكلم .

صلاح الدين : ما من شرط ..
فلنتعاهد ألا تغزوا منذ اليوم
أية أرض عربية ..

ريتشارد : تعاهدنا

الملكة : تعاهدنا ..

(ريتشارد والملكة يمدان يديهما وصلاح الدين يمد يده ، وتلتقى الأيدى)

صلاح الدين : ما أنبلك بهذا الثوب .

ثوب الحجاج الأبرار ..

عد لبلادى حين تشاء ..

لا معتدياً بل ضيفاً أو مثل الحجاج الورعين .

تجد ترحيباً وهتافات لم تعرفها فى بلدك

أو حتى فى أحلامك .

الملكة : هتافات ! ؟ بهرج أبهة ؟ هذا أيضاً .. هذا باطل !

ريتشارد : جندىٌ يبذل فى صمت ليدافع عن معتقداته ..

ويضحى .. حتى بحياته

أفضل من ملك منتصر عاد بموكبه الظافر

يتلقى كل مكافآته ..

هتاف الشعب ، أكاليل الغار الفضية ..

قصائد شعراء تتغنى ببطولات جلالته

وتخليد التاريخ له ولحكمته الملكية !!

صلاح الدين : أفضل من هذا أو ذاك زعيم يقهر فى الأعماق

دواعى الصلف ليدعم قيماً إنسانية

رجل يعلو فوق الشامت والمتخرص والمتهكم والمتقول
فوق الإعجاب المنتظر .
رجل يعلو فوق الكِبر .
ليعرف أن القوة ليست فيما نسفكه من دم
بل فيما يمكن أن نحقن من هذا الدم ..

ريتشارد : فهمتُ الآن لماذا توضع فى أديرة بلادك صورك

الملكة : ولماذا حارب تحت لوائك أقباط ومسيحيون

ريتشارد : فليشهد ملكوت الرب .. فلتشهد معى العذراء .
أنا ذا أشهد قبل رحيلى أن صلاح الدين الفارس
قد علمنى ما لم أعلم
أفرغ قلبى من أحقادى ..
قابل إجرامى بالحسنى وهو الأقوى حتى قلم أظفارى

الملكة : وأنا واخجلى منك لأنى لم أحفظ لك معروفك
حين مننتَ علىّ بزوجى الراحل وهو أسير عندك

صلاح الدين : تعزيتى لك عن فقده

الملكة : لقد عاهدتك ألا يدخل زوجى حرباً أبداً ضدك !

لكنا قد حاربناك وأشقيناك ..

أتصفح عن هذا أيضاً ؟

صلاح الدين : غسلنا بالدم يا سيدتى كل الماضى

فعفا الله عما سلف .

ريتشارد : يا أرواح القديسين

لم أفعل ما يغضبكم إلا كى أسترجع لكم أورشليم ..

يا كل الشهداء .. أصيخوا ..

أنا ذا أقسم بالعذراء كصليبى ومسيحى

باركه بابا روما

أن صلاح الدين المسلم يحميها خيراً منى .

صلاح الدين : حين تعود إلى وطنك يا قلب الأسد ، لفلاحيك وحطابيك

حين تعود لمن ينتظرك فى روما .. أو مملكتك

فاحمل عنا للبسطاء سلام الإخوة فى البشرية ..

الملكة : (متأثرة تحاول السيطرة على نفسها) إنك تبكينى بنقائك !

صلاح الدين : (مكملاً) قل لعجائز يتجمعن على المدفأة خلال الليلات الشتوية

يتسامرن بقصص عنك .

قل للراعى فى الغابات

قل للبابا فى روما

للحطابين المنتظرين رجوعك يا ريتشارد الطيب فوق جبال نائية

وكل كرادلة أوربا .

قل إن الدنيا تتسع لكل الناس .

وعلينا أن نتعايش فيها .

فحياة الناس معاً خير

الملكة : قلتُ لنا هذا من قبل .. تلك دروسك لن أنساها

لو كان أريد بنا خير لوعيناها .

الحرب بما تصنع لا تصلح قانوناً لحياة الناس

بل هى دستور للموت !!

لو أنى استوعبت دروسك منذ لقيتك فى حطين !!

(ضجة فى الخارج وصوت كوكب)

كوكب : دعنى أدخل يا عادل فالأمر خطير

ريتشارد : ما هذا .. ؟

صلاح الدين : دعها تدخل يا عادل .. وتعالوا كلكم معها .

(تندفع كوكب إلى صلاح الدين دون أن تشعر بوجود ريتشارد والملكة ويدخل وراءها الآخرون) .

كوكب : يا مولاى صلاح الدين ..

احذر من رجل يأتى فى ثوب الحجاج .. احذر ..

ما هذا الرجل سوى السفاح الغادر ريتشارد الملعون .

صلاح الدين : هو ذا ريتشارد .. !

ريتشارد : لـُعِنتُ بما يكفى يا رب !!

كوكب : قاتل زوجى ؟!

(كوكب تنتزع سيف العادل فجأة وتنقض على ريتشارد ولكن صلاح الدين يقف دونـهما) .

صلاح الدين : لا يا كوكب

كوكب : نذرى لله تعالى أن أخضب كفى بدمائه

صلاح الدين : أيُرجـِع هذا زوجك لك ؟!

(ريتشارد يربت على كتف كوكب)

ريتشارد : سيدتى الحسناء كفى .. سألتك عفوك يا حسناء !

كوكب : يا حسناء ! الحسناء ؟!

ارفع يدك فلم تتعود كتفى مس يد الغرباء

ولا القتلة ! .

ريتشارد : كيف أواسيها يا ربى .. كيف أعوضها عما ..

كوكب : (مقاطعة) مُلكك لا يصلح عوضاً .

الملكة : يا سيدتى لا يثأر أحد فى السلم لما عاناه زمن الحرب ..

فلنبدأ عهداً آخر ..

تعلمنا من سلطانكم أن الدم يفضى للدم ..

أن حصاد الحقد الشر

أن الحرب فخاخ الموت وليست قانون الأحياء !

كوكب : يا زوجى !! يا محمود !!

لكم جاهدت وكم قاسيت ليأتى هذا الزمن الآخر ،

وأنت تغنى للمستقبل ؟

تحب وتحلم أن يشرق فى الدنيا الحب ..

بفجر الأمن بنور السلم ؟! يا محمود !! (تبكى)

صلاح الدين : لا يا كوكب .. لا .. لا دمعة بعد اليوم .

حقن الدم ..

الآن سيبذل كل منا ما يملكه من عرق ،

لنبنى فوق الأرض الحرة ،

ما هدم العدوان علينا ..

أعيدوا الخضرة للأرض المحترقة وامحوا بالبسمات بقايا الدمع .

ريتشارد : والآن أأرحل لبلادى ؟ أتسمح لى بعناقك يا

أعظم إنسان لاقيته !؟

(صلاح الدين يفتح ذراعيه ويتعانقان)

الملكة : وأنا راحلة معه .. لن أنسى الدرس العربى !

صلاح الدين : مرعيين بعين الله ..

(للحاضرين) اصطفوا فى الموكب بتحيات للملك وللملكة .

الملكة : الملكة !! أمسيح أنت ؟! .. لن أنساك . ؟

صلاح الدين : أخى العادل خذ حرساً يجدر بالملكين

سِر بهما حتى المرفأ ..

حتى تقلع كل سفائنه الملكية .

(القواد يقفون على صفين كل يشهر سلاحه .. العادل لا يجد سيفه ، يضطرب ويأخذه من كوكب معاتباً بإشارة طيبة)

صلاح الدين : (ضاحكاً) يا عادل أتسلم سيفك ؟ .

العادل : ماذا أصنع مع كوكب ؟

(ضحك)

صلاح الدين : (يعانق ريتشارد) عد بجنودك يا ريتشارد ..

عد لبلادك فاملأها يا قلب الأسد بأمن القلب ودفء الحب ..

عد بالفرحة للزوجات ..

عد بالبسمة للأطفال وللأبناء

عد بالبهجة للآباء ..

فلنتعاون عبر البحر لنصنع فجر زمان الخير ..

زمن يشرق فيه العدل ويحكمه سلطان العقل

ويظلل فيه هذا العصر السِلِم الدائم .

ليصير به الإنسان الحر أخا الإنسان .. !

(يسير الملكان بين صفين)

صلاح الدين : فرسانى حيوا ريتشارد الفارس .. دقوا الأجراس .

تحيات للفارس ريتشارد وللملكة .

(يخرجون)

كوكب : (تكاد تبكى) فلتخلد ذكرى الشهداء

صلاح الدين : ما ضاع دم الشهداء هباء يا كوكب ..

فليرتد على آثارهم قصصاً ..

فليخلد محمود فى إحدى القصص الكبرى

بخيال الظل .

كوكب : من ذا يكتبها غيره ؟!

صلاح الدين : ما ضاع دم الشهداء هباء ..

فهم من صنعوا هذا النصر ..

سنصنع من قطرات دمائهم القدسية فجر زمان حر قادم .

كوكب : عد يا مولاى لقاهرتك

وأعد للكلمة معناها ونبالتها

أعد للحق شجاعته

وللكلمات وضاءتها

أنقِذ مبتدعى الكلمات

أعد للفن جسارته وللحرية هيبتها ..

أنقذ مبتدعى الكلمات ..

عد كى تصلح فى مصر المحروسة ما أفسده

بعدك فيها ، النخاسون وتجار الذمم الخربة ..

أنقذ مبتدعى الكلمات الصادقة الوضاءة من إحباط الخيبة !

صلاح الدين : سنعود الآن لخير مدائن هذا الكون .. مدينتنا ذات البركات !

كوكب : لكم شغلتكم عنها الحرب !

هنالك تنتظرك معركتك

وهى المعركة الكبرى ..

المعركة هى القاهرة

ونصرك يا مولاى بحق هو أن تكسب معركتك تلك ! وإلا ضاع

دم الشهداء وضِعتَ هباءً يا محمود ! .. يا محمود !

(تستحضر صورة محمود وصوته وصلاح الدين خاشع .. يظهر طيف محمود فى ضوء كالحلم وكأنه يتحدث من خلال كوكب .. على حين تتواكب من حوله جموع شهداء عرفنا بعضهم من قبل)

طيف محمود : هى ذى معركتك يا مولاى :

أن ترسى فوق الأطلال ركائز عالمنا المنشود ..

على الرحمة والعدل معاً ، وليس الرحمة دون العدل

وإلا خنت دم الشهداء وحلمهم بحياة أفضل !

كوكب : وضِعت هباء يا محمود

صلاح الدين : يا للأمل الدامى حين يصوغ

شعاع الفجر القادم

من كلمات الليل الداجى !

كوكب : عد يا مولاى لقاهرتك

ولا تشغل عنها بسواها بعد اليوم

وإلا أهدرك التاريخ

ولم يذكرك بغير اللوم !

محمود :   فما زالت قاهرتك

برغم طبول النصر هنا وهناك

تجرع فرحتها بالدم !

صلاح الدين :   أعدى رحلك يا كوكب

سنعود إلى البلد الطيب

كوكب : أتعود إلى قاهرتك حقاً يا مولاى ؟! ..

فاشحذ سيفك كى تضرب

فلتضرب من خنق الكلمات

اضرب صناع الظلمات

أنقذ مبتدعى الكلمات !

محمود : (وقد ازداد طيفه وضوحاً) ستعود للبلد الأمين بكبرياء الفاتحين !

صلاح الدين : لا بل أعوذ به تعالى من فتون الكبرياء

محمود :   (مستمراً) وبكل زهو الظافرين !

لكن أتعرف ما يدور هناك فى البلد الأمين ؟ ..

حدّق لتعرف .. لم يعد فيها أمان ..

لا شئ فيها غير ذل الصمت والصبر المعذب والهوان !

كوكب : لا شئ فى البلد الأمين سوى السكون

محمود : لكنه ليس السكينة

كوكب : خير الرجال استشهدوا والقاعدون عن القتال

الخائرون الفاسدون المترفون

هم الذين بأرضها يتحكمون

ويبطشون ويفتكون !

محمود : فى مهرجان النصر لا يعلو سوى رجع النشيج على الضحايا

كوكب : وهناك فى الطرقات لا يعلو سوى صوت الخطايا

محمود : ورنين عربدة الذين يتاجرون بقوتنا وبرزقنا وهمومنا وعذابنا ..

كوكب : وجحود من أثروا بما جمعوه من ثمن الدماء !

صلاح الدين :   أنا لم أخض غمرات تلك الحرب إلا كى أطهر هذه الأرض الحزينة

من حشود الغاصبين فيسعد البلد الأمين !

محمود : لا شئ فى البلد الأمين سوى انتظارك أن تنحى عنه غاشية الهموم !

فهناك أشلاء من القلب الممزق تحت أسوار المدينة !

وهناك آلاف الثكالى النائحات عزاؤهن هو القصاص !

كوكب : لا شئ فى البلد الأمين سوى التطلع للخلاص ..

صلاح الدين : (كالمحاصر) إن لم يعش أهلى هنالك فى السكينة والأمان فكيف آمن ..

لِمَ إذن قاتلتُ أعداء البلاد !

كوكب : إن السكون هناك يفترس السكينة ..

محمود : كى يسلم البلد الأمين وتأمن الدنيا جميعاً

اضرب رؤوس الفاسدين ولا تهادن !

كوكب : إن أنت لم تجتث أصل الشر أردتك الشرور .. فلا تهادن !

محمود : حرر بلادك من تجاسر تابعيك على الحياة ولا تهادن

كوكب : ومن الضراوة والمرارة والجنون ولا تهادن !

محمود : فلا يضيق الصامدون ولا يضل المؤمنون

كوكب : حرر بلادك من عتاة المالكين .. ولا تهادن

محمود : ومن الخديعة والأكاذيب الزرية .. لا تهادن !

كوكب : فلا يضيع الصادقون ولا يسود الكاذبون ! ولا تهادن !

صلاح الدين :   سأعود للبلد الأمين لكى أصون طهارة البلد الأمين
حيث الحياة وكل ما فيها سيصلح بعد حين !

محمود :   حيث الندى فوق الحقول كأنه دمع الصباح
حيث النخيل بكل طاقات الشموخ يصد عادية الرياح ..
حيث الدماء تسيل من قلب الشجىّ ، ولا جراح !
حيث العيون الباسمات تجمدت فيها الدموع ..

كوكب : حيث الرجال الصامدون يواجهون سهام أرتال اللصوص بلا دروع !
حيث العفاف بدا كما لو كان عجزاً فى العفيف
وحيث يمتهن الشريف !
وحيث يشقى الطاهرون
وحيث يزرى بالطهارة والنساء الطاهرات

محمود : حيث التغاضى عن ذنوب الآخرين يُعَدّ من حيل الضعيف
حيث الفضائل خابيات والرذائل باهرات !
حيث العدالة أصبحت عمياء عاجزة تقول ولا تبين !
والرحمة البلهاء تغرى المجرمين وتستفز الطيبين

كوكب : حيث النبالة رثة الأثواب عاطلة ملطخة الجبين !

محمود : اذهب إلى البلد الأمين وطهر البلد الأمين من الخطايا والشقاء

كوكب : ولا تهادن ..

محمود : اذهب إلى البلد السعيد .. حيث التلال الصامدات سجدن من تحت المآذن ..
وهناك لا تدع العدالة تستباح ولا تهادن .

كوكب : أمسك بميزان الأمور .. ولا تهادن

محمود : لا تجعل العفو الغرير يفل عزم عدالتك !

كوكب : ولا تهادن

محمود : إن التوازن بين حلم الصابرين وبين واقعنا محك شجاعتك

فاضرب هناك ولا تهادن ..

محمود : لا تنس فى صخب المعارك ما تريد مدينتك !

لا تجعل الكلمات ترجيعاً لرأى الحاكمين

كوكب : لا تنشغل ببناء أسوار القلاع وقد تهدم سور بيتك !!

محمود : لا تغض عينك عن مرائى بؤس أهلك ! ..

كوكب : لا تنشغل بسواك إلا إن أقمت بناء نفسك ! .

وإذن ستصلح إن أقمت بناء نفسك أن تقيم بناء غيرك ..

محمود : ولا تهادن

كوكب : وإذن ستصلح أن تكون إضافة تغنى الحياة .. لا زوقاً هرئ الجوانب خائراً يرجو النجاة !

محمود : اضرب رءوس الزائفين ولا تهادن ! ..

محمود : أقم السلام برغم قارعة الظلام على ركائز من رماح

كوكب : لا تنخدع بكلام محترفى الكلام

محمود : احذر من القول المنمق فهو سم فى العسل

كوكب : لا تستهن بمكائد الأعداء مهما يصغروا فهم كبار فى المكائد

محمود : اختر رجالك من ذوى الرأى السديد وإن هُمُو غلظوا معك ،

واحذر ذوى الحاجات والأطماع مهما يظهروا الإذعان لك !

كوكب : أقم البناء على دعامات الإخاء .. وشده بالحزم يستقم البناء

محمود : كيلا تضيع دماؤنا .. نحن الذين نصوغ من دمنا الشروق وروعة الزمن السعيد ..

نحن الذين تهب من دمنا على دنياكم روح الكفاح

وبذاك تصنع من دمى وأنا الشهيد .. منارة الفجر الجديد

كوكب : وبذاك تصنع من دم الشهداء فى ظلمات هذا الليل بارقة الصباح !

ستار ختام

نبذة تاريخية عن صلاح الدين الأيوبي

من موقع أعلام وشخصيات مصرية

عُرف في كتب التاريخ في الشرق والغرب بأنه فارس نبيل وبطل شجاع وقائد من أفضل من عرفتهم البشرية، وشهد بأخلاقه أعداؤه من الصليبيين قبل أصدقائه، إنه نموذج فذ لشخصية عملاقة من صنع الإسلام.. هو محرر القدس من الصليبيين وبطل معركة حطين.

وُلد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ـ والذي أُشتهر بـ "صلاح الدين الأيوبي ـ في عام 1138، بقلعة تكريت التي لم تقيم بها أسرته بعد ولادته إلا مدة يسيره، ليقيما عند عماد الدين زنكي بالموصل. ولما ملك نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين، الذي تعلم من نورالدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد.

وقد شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية في مصر صراعاً محموماً بين "شاور" و"ضرغام" على منصب الوزارة، ولم ينجح واحد منهما في حسم الصراع لمصلحته، والذي انتهى بالقضاء على الوزيرين المتنافسين سنة (564هـ = 1168م)، وتولى "أسد الدين شيركوه" قائد حملة نور الدين منصب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي، ثم لم يلبث أن تُوفي شيركوه فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الذي كان في الثانية والثلاثين من عمره. وكانت المفارقة أن يتولى صلاح الدين السُّني المذهب الوزارة لدولة شيعية، وأن يدين في الوقت نفسه بالولاء لنور الدين الزنكي سلطان حلب التابع لدولة الخلافة العباسية، وتحولت مهمته من منع مصر من السقوط في أيدي الصليبيين إلى السعي في ردها إلى أحضان الخلافة العباسية.

ولكي ينجح صلاح الدين في تحقيق هدفه كان عليه أن يقوي المذهب السني في مصر؛ واستغرقت هذه المهمة ثلاث سنوات، فعزل القضاة الشيعيين، وأحل محلهم قضاة من أهل السنة، وأنشأ عدداً من المدارس لتدريس الفقه السني. حتى إذا وجد أن الأجواء مستعدة للإعلان عن التغيير، أقدم على خطوة شجاعة، فأعلن في الجمعة الأولى من شهر المحرم (567هـ = سبتمبر1171) قطْع الخطبة للخليفة الفاطمي الذي كان مريضاً وملازماً للفراش، وجعلها للخليفة العباسي، فكان ذلك إيذانا بانتهاء الدولة الفاطمية، وبداية عصر جديد.

قضى صلاح الدين السنوات الأولى بعد سقوط الدولة الفاطمية في تثبيت الدولة الجديدة، وبسط نفوذها وهيبتها على كل أرجائها، وبعد وفاة "نورالدين محمود" سنة (569هـ = 1174م) تهيأت الفرصة لصلاح الدين الذي يحكم مصر نيابة عنه، أن يتطلع إلى ضم بلاد الشام إلى حكمه؛ لتقوية الصف الإسلامي، وتوحيد الجهود - وهو ما استغرق أكثر من 10 سنوات في الفترة من 1174 وحتى 1186- استعداداً للوقوف أمام الصليبيين، وتحرير الأراضي المغتصبة من أيديهم، ثم أعلن عن استقلاله عن بيت نورالدين محمود وتبعيته للخلافة العباسية، وأصبح حاكماً على مصر.

اطمأن الناصر صلاح الدين إلى جبهته الداخلية، ووثق تماماً في قوتها وتماسكها، فانتقل إلى الخطوة الأخرى، وانصرف بكل قوته وطاقته إلى قتال الصليبيين، وخاض معهم سلسلة من المعارك كُلّلت بالنصر، ثم توج انتصاراته عليهم في معركة "حطين" سنة (583هـ = 1187م)، وكانت معركة هائلة أسر فيها ملك بيت المقدس وأرناط حاكم حصن الكرك، وغيرهما من كبار قادة الصليبيين. والذي ترتب عليه، أن تهاوت المدن والقلاع الصليبية، وتساقطت في يد صلاح الدين؛ فاستسلمت قلعة طبرية، وسقطت عكا، وقيسارية، ونابلس، وأرسوف، ويافا وبيروت وغيرها، وأصبح الطريق ممهداً لأن يُفتح بيت المقدس، فحاصر المدينة المقدسة، حتى استسلمت وطلبت الصلح، ودخل صلاح الدين المدينة السليبة في (27 من رجب 583هـ = 2 من أكتوبر 1187م)، وكان يوماً مشهوداً في التاريخ الإسلامي.

لعل صورة الفارس المحارب صلاح الدين قد طغت على الجوانب الأخرى من شخصيته، فأخفت بعضاً من ملامحها المشرقة وقسماتها المضيئة. وأول عمل يلقانا من أعماله، هو دعمه للمذهب السني؛ بإنشائه مدرستين لتدريس فقه أهل السنة، هما المدرسة الناصرية لتدريس الفقه الشافعي، والمدرسة القمحية لتدريس الفقه المالكي، وفي الوقت نفسه قصر تولي مناصب القضاء على أصحاب المذهب الشافعي، فكان ذلك سبباً في انتشار المذهب في مصر وما يتبعها من أقاليم. وعُني صلاح الدين ببناء الأسوار والاستحكامات والقلاع، ومن أشهرها "قلعة الجبل"؛ لتكون مقراً لحكومته، ومعقلاً لجيشه، وحصناً منيعاً يمكّنه من الدفاع عن القاهرة، غير أن صلاح الدين لم يتمكن من إتمام تشييدها في عهده، وظلت القلعة مقراً لدواوين الحكم في مصر حتى وقت قريب، وأحاط الفسطاط والعسكر وأطلال القلاع والقاهرة جميعاً بسور طوله 15كيلومتر، وعرضه ثلاثة أمتار، وتتخلله الأبراج.

كما استقرت النظم الإدارية؛ فكان السلطان يرأس الحكومة المركزية في العاصمة، يليه نائب السلطان؛ وهو المنصب الذي استحدثه صلاح الدين لينوب عنه في أثناء غيابه يليه الوزير، وكان يقوم بتنفيذ سياسات الدولة، ويلي ذلك الدواوين، مثل:

"ديوان النظر" الذي يشرف على الشئون المالية، و"ديوان الإنشاء" ويختص بالمراسلات والأعمال الكتابية، و"ديوان الجيش" ويختص بالإشراف على شئون الجيش، و"ديوان الأسطول" الذي عُني به صلاح الدين عناية فائقة لمواجهة الصليبيين الذين كانوا يستخدمون البحر في هجومهم على البلاد الإسلامية، وأفرد له ميزانية خاصة، وعهد به إلى أخيه العادل، وقد اشترك الأسطول في عدة معارك بحرية في سواحل مصر والشام، منها صدِّه لحملة أرناط على مكة والمدينة.

اشتهر صلاح الدين بسماحته وجنوحه إلى السلم؛ حتى صار مضرب الأمثال في ذلك، فقد عامل الصليبيين بعد استسلام المدينة المقدسة معاملة طيبة، وأبدى تسامحاً ظاهراً في تحصيل الفداء من أهلها، وكان دخول المسلمين بيت المقدس دون إراقة دماء وارتكاب آثام صفحة مشرقة ناصعة، تُناقض تماماً ما ارتكبه الفرنج الصليبيون عند استيلائهم على المدينة سنة (492هـ = 1099م) من الفتك بأهلها المسلمين العُزَّل وقتل الألوف منهم. وفي أثناء مفاوضات صلح الرملة التي جرت بين المسلمين والصليبيين مرض السلطان صلاح الدين، ولزم فراشه، ثم لقي ربَّه في (27 من صفر 589هـ = 4 من مارس 1193م)، وكان يوم وفاته يوما لم يُصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين.

****

<u>نبذة أخرى من موسوعة ويكبيديا :</u>

الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب (1138 - 1193م)، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر وامتد سلطانه إلى مدن الشام و شمال العراق و بلاد اليمن و الحجاز. اشتهر بلقبه السابق صلاح الدين في دمشق قبل أن يصبح سلطاناً لمصر وتسمى بالملك الناصر، استولى على أغلب مدن مملكة بيت المقدس وفتح عاصمتها القدس الأمر الذي أدى لقيام الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ملوك فرنسا وإنكلترا وألمانيا.

ولد صلاح الدين في تكريت عام 532 هـ/1138م (حالياً في العراق) في ليلة مغادرة والده نجم الدين أيوب قلعة تكريت حينما كان والياً عليها. وهم من أصول كردية .

وكان نجم الدين والد صلاح الدين قد انتقل إلى بعلبك حيث أصبح والياً عليها مدة سبع سنوات وانتقل إلى دمشق وقضى صلاح الدين طفولته في دمشق حيث قضى فترة شبابه في بلاط الملك العادل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك دمشق . وكان من القادة في جيش نور الدين، أرسله نور الدين من دمشق في الحملات في الشام وإلى مصر ليستكمل عمل عمه أسد الدين شيركوه على رأس الجيش الذي أرسله من دمشق لمواجهة الصليبين في الشام وفي مصر بسط سيطرته عليها والعمل على صد الحملة الصليبية، وفي ذات الوقت ليستكمل انتزاعها من الفاطميين الذين كانت دولتهم في أفول، فنجح في عرقلة هجوم الصليبيين سنة 1169 بعد موت عمه شيركوه، وقمع تمرداً للجنود الزنوج، كما فرض نفسه كوزير للخليفة للعاضد، فكان صلاح الدين هو الحاكم الفعلي لمصر.

بدايته :

كان الوزير الفاطمي شاور قد فر من مصر هرباً من الوزير ضرغام لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة وقتل ولده الأكبر طيء بن شاور فتوجه شاور إلى الشام مستغيثا بالملك نور الدين زنكي في دمشق وذلك في شهر رمضان 558 هـ ودخل دمشق في 23 من ذي القعدة من السنة نفسها فوجه نور الدين معه أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وخدمة جيش الشام وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش هدفان؛ قضاء حق شاور لكونه قصده، وأنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك.

وكان نور الدين كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق على رأس الجيش وفي جمادى الأولى سنة 559 هـ فدخلوا مصر وسيطروا عليها واستولوا على الأمر في رجب من السنة نفسها.

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل لشاور مقصودة وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالإفرنج عليه فحاصروه في بلبيس، وكان أسد الدين

قد شاهد البلاد وعرف أحوالها. ولكن تحت ضغط من هجمات مملكة القدس الصليبية والحملات المتتالية على مصر بالإضافة إلى قلة عدد الجنود الشامية أجبر على الانسحاب من مصر. وأعاد الملك نور الدين بن عماد الدين زنكي الكرة بإرسال الجيش من دمشق لمجابهة الصليبيين. وبلغ إلى علم نور الدين في دمشق وكذلك أسد الدين مكاتبة الوزير الخائن شاور للفرنجة وما تقرر بينهم فخافا على مصر أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد هناك فتجهز أسد الدين في قيادة الجيش وخرج من دمشق وأنفذ معه نور الدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقاربا لوصول الإفرنج إليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والإفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة.

وتوجه صلاح الدين في قيادة الجيش إلى الإسكندرية فاحتمى بها وحاصره الوزير شاور في جمادى الآخرة من سنة 562هـ ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا إلى دمشق.

عاد أسد الدين من دمشق إلى مصر مرة ثالثة وكان سبب ذلك أن الإفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون مصر ناكثين العهود مع أسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين في الشام لم يسعهما الصبر فسارعا إلى مصر أما نور الدين فبالمال والجيش ولم يمكنه المسير بنفسه للتصدي لأي محاولة من قبل الإفرنج، وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله وسار الجيش.

يقول ابن شداد :

«لقد قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت من دمشق مع عمي باختياري وهذا معنى قول القرآن "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"»

(البقرة:216)

وكان شاور لما أحس بخروج الإفرنج إلى مصر سير إلى أسد الدين في دمشق الشام يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة 564هـ ولما علم الإفرنج بوصول أسد الدين على رأس الجيش من دمشق إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بمال في مقابل ما خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلم أسد الدين أن شاور يلعب به تارة وبالإفرنج أخرى، وتحقق أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور

فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه، فقتله وأصبح أسد الدين وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة 564هـ ودام آمرا وناهيا وصلاح الدين يباشر الأمور مقرراً لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفسها فمات أسد الدين.

ولما بلغ صلاح الدين قصد الإفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات إليها ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره في شيء ثم نزل الإفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو يشن عليهم الغارات من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل فانتصر عليهم فرحلوا عنها خائبين فأحرقت منجنيقاتهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم عدد كبير.

في 1170 أغار صلاح الدين على غزة التي كان يسيطر عليها الصليبيون، وفي السنة التالية انتزع أيلة من مملكة بيت المقدس الصليبية وأغار على مقاطعتي شرق نهر الأردن وقلاع الشوبك والكرك.

<u>تأسيس الدولة فى مصر :</u>

بعد دخول صلاح الدين وسيطرته على مصر في البداية لم يكن مركز صلاح الدين مستقرا بسبب الاضطراب الذي سببه توالي عدد كبير من الخلفاء الفاطميين في مدد قصيرة، تحكم في قراراتهم سلسلة من الوزراء.

واستقرت الأمور لصلاح الدين ونقل أسرته ووالده نجم الدين أيوب إلى مصر ليتم له السرور وتكون قصته مشابهة لقصة يوسف الصديق عليه السلام، ولم يزل صلاح الدين وزيرا حتى مات العاضد آخر الخلفاء الفاطميين 1171 وبذلك انتهت الدولة الفاطمية وبدأت دولة بني أيوب (الدولة الأيوبية).

بعد موت العاضد سنة 1171، دفع صلاح الدين العلماء إلى المناداة بالمستضيء الخليفة العباسي والدعاء له في الجمعة والخطبة باسمه من على المنابر، وبهذا انتهت الخلافة الفاطمية في مصر، وحكم صلاح الدين مصر كممثل لنور الدين الذي كان في النهاية يقر بخلافة العباسيين.

<u>سلطان مصر :</u>

حدّث صلاح الدين اقتصاد مصر، وأعاد تنظيم الجيش مستبعداً العناصر الموالية

للفاطميين، واتبع نصيحة أبيه أيوب بألا يدخل في مواجهة مع نور الدين الذي كان يدين له رسميًا بالولاء ويتبع له .

و مع موت نور الدين سنة 1174 أسس صلاح الدين في مصر الدولة الأيوبية و اتخذ من القاهرة عاصمة لهذه الدولة ولقب "بالسلطان"، و مد نفوذه في اتجاه المغرب العربي.

اليمن :

كان شيركوه عندما انطلق إلى جنوب مصر للقضاء على مقاومة مؤيدي الفاطميين قد واصل الاتجاه جنوبا بحذاء البحر الأحمر باسطا نفوذه على اليمن ومُدخلها تحت حكم الأيوبيين.

دمشق والحجاز :

كان صلاح الدين قد تراجع في مناسبتين عن غزو مملكة بيت المقدس، وذلك في عامي 1170 و1172 حيث كان يسعى للإبقاء على أمن بلاد مصر والنوبة، فكاد هذا يكون سببا في وقوع مواجهة مباشرة مفتوحة بين صلاح الدين ونور الدين إلا أن موت نور الدين حسم المسألة، وكان ابنه الصالح إسماعيل طفلاً ، فعاد صلاح الدين إلى دمشق واستقبل فيها بترحاب كبير بينما انتقل الصالح إسماعيل إلى حلب وظل يقاوم حتى مقتله سنة 1181.

كان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق عند وفاة أبيه ثم إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام وكاتب شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين فتجهز من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا أنه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها في سنة 570هـ وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه، وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي، واجتمع الناس إليه وفرحوا به وأنفق في ذلك اليوم مالا جليلا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة، ثم بسط نفوذه على حلب والموصل عامي 1176 و1177 على الترتيب، وبينما كان يحاصر حلب يوم 22 مايو 1176 حاول الحشاشون اغتياله، فأجروا محاولتين كانت ثانيهما وشيكة إلى حد أنه أصيب. بعد ذلك فرض صلاح الدين نفوذه على الجزيرة وشمال العراق وأخضع الزنكيين في الموصل وسنجار والأرتوقيين في ماردين وديار بكر، كما بسط نفوذه على الحجاز. و عضّد صلاح الدين مُلكه بالزواج من أرملة نور الدين، عصمت الدين خاتون

الموصل :

لما أحس سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل بما جرى علم أن صلاح الدين قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه فأنفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائدا إلى حماة ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجر إلى أمور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى أن هزموا بين يديه وأسر جماعة منهم فمن عليهم وذلك في تاسع شهر رمضان من سنة570 هـ عند قرون حماة ثم سار عقيب هزيمتهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ولما جرت هذه المعركة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبر وأن عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته إلى نصيبين واهتم بجمع العساكر والإنفاق فيها وسار إلى البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وراسل ابن عمه الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ثم إنه وصل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى لقائه أقام على حلب مدة.

الحرب مع الصليبيين :

بينما كان صلاح الدين يعمل على بسط نفوذه على عمق سورية فقد كان غالبا يترك الصليبيين لحالهم مرجئا المواجهة معهم وإن كانت غالبا لم تغب عنه حتميتها، إلا أنه كان عادة ما ينتصر عندما تقع مواجهة معهم، وكان الاستثناء هو موقعة مونتجيسارد يوم 25 نوفمبر 1177 حيث لم يُبدِ الصليبيون مقاومة فوقع صلاح الدين في خطأ ترك الجنود تسعى وراء الغنائم وتتشتت، فهاجمته قوات بولدوين السادس ملك أورشليم وأرناط وفرسان المعبد وهزمته. إلا أن صلاح الدين عاد وهاجم الإمارات الفرنجية من الغرب وانتصر على بولدوين في معركة مرج عيون في 1179 وكذلك في السنة التالية في موقعة خليج يعقوب، ثم أرسيت هدنة بين

الصليبيين وصلاح الدين في 1180.

إلا أن غارات الصليبيين عادت فحفزت صلاح الدين على الرد. فقد كان أرناط يتحرش بالتجارة وبالحجاج المسلمين بواسطة أسطول له في البحر الأحمر، فبنى صلاح الدين أسطولا من 30 سفينة لمهاجمة بيروت في 1182، وعندها هدد أرناط بمهاجمة مكة والمدينة، فحاصر صلاح الدين حصن الكرك معقل أرناط مرتين في عامي 1183 و1184، ورد أرناط بمهاجمة قوافل حجاج مسلمين سنة 1185.

تروى مصادر فرنسية من القرن الثالث عشر أن أرناط قد أسرَ في غارة أختَ صلاح الدين وإن كان ذلك غير مشهود في المصادر المعاصرة ، سواء الإسلامية أو الفرنجية، بل يُذكر أن أرناط هاجم قافلة قبل ذلك وأن صلاح الدين أرسل حراسا لحماية أخته وابنها الذين لم يصبها أذى.

بعد أن استعصى حصن الكرك المنيع على صلاح الدين أدار وجهه وجهة أخرى وعاود مهاجمة عز الدين مسعود بن مودود الزنكي في نواحي الموصل التي كان قد بدأت جهوده في ضمها سنة 1182، إلا أن تحالف عز الدين مع حاكم أذربيجان وجبال حال دون تحقق مراده، ثم إن صلاح الدين مرض فأرسيت معاهدة في 1186.

في عام 1187 سقطت أغلب مدن وحصون مملكة بيت المقدس في يد صلاح الدين بعد أن هزمت القوات الصليبية في موقعة حطين بتاريخ في 4 يوليو 1187.

حيث التقت قوات صلاح الدين في معركة حطين مع القوات المجتمعة بقيادة غي دي لوزينيان نائب ملك مملكة بيت المقدس، وريموند الثالث كونت طرابلس، وفي تلك الموقعة كادت قوات الصليبيين تفنى.

فتح القدس :

دخلت قوات صلاح الدين القدس يوم 2 أكتوبر 1187 بعد أن استسلمت المدينة وكان صلاح الدين قد عرض شروطا كريمة للاستسلام، إلا أنها رُفِضت، فبعد بدء الحصار رفض أن يمنح عفوا للأوروبيين من سكان القدس حتى هدد باليان بقتل كل الرهائن المسلمين الذين كان عددهم يقدر بخمسة آلاف ، وتدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى، فاستشار صلاح الدين مجلسه ثم قبل منح العفو، على أن تُدفع فدية لكل فرنجي في المدينة سواء كان رجلا أو امرأة أو طفلا، إلا أن صلاح الدين سمح لكثيرين بالخروج ممن لم يكن معهم ما يكفي لدفع الفدية عن جميع أفراد

أسرهم.

قبل القدس كان صلاح الدين قد استعاد كل المدن تقريبا من الصليبيين، ما عدا صور التي كانت المدينة الوحيدة الباقية في يد الصليبين. من الناحية الإستراتيجية ربما كان من الأفضل لصلاح الدين فتح صور قبل القدس لكون الأولى بموقعها على البحر تشكل مدخلا لإمدادات الصليبيين من أوروبا، إلا أنه اختار البدء بالقدس بسبب أهميتها الروحية لدى المسلمين .

كانت صور في ذلك الوقت تحت إمرة كونراد أمير مونتفرات الذي حصنها فصمدت أمام حصارين لصلاح الدين. كان صلاح الدين قد أطلق سراح جاي ذي لوزينان وأعاده إلى زوجته سيبيلا ملكة أورشليم، فلجئا أولا إلى طرابلس ثم إلى أنطاكية ، وحاولا عام 1189 استعادة صور إلا أن كونراد حاكمها رفض دخولهما لأنه لم يكن يعترف بجاي ملكا، فذهب جاي لحصار عكا.

<u>ريتشارد قلب الأسد والحملة الثالثة :</u>

حفّز فتح القدس خروج حملة صليبية ثالثة، مُوّلت في إنجلترا وأجزاء من فرنسا بضريبة خاصة عرفت بضريبة صلاح الدين (بالإنجليزية: Saladin tithe)، قاد الحملة ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا في ذلك الوقت هم ريتشَارد (قلب الأسد) ملك إنجلترا، وفيليب أوغست ملك فرنسا، وملك ألمانيا فريدريك بربروسا الإمبراطور الروماني المقدس، إلا أن هذا الأخير مات أثناء الرحلة، وانضم الآخران إلى حصار عكا التي سقطت في 1191، وأُعدم فيها ثلاثة آلاف سجين مسلم بمن فيهم نساء وأطفال، في 7 سبتمبر 1191 اشتبكت جيوش صلاح الدين مع جيوش الصليبيين بقيادة ريتشارد في معركة أرسوف التي انهزم فيها صلاح الدين، إلا أن الصليبيين لم يتمكنوا من اجتياح الداخل وبقوا على الساحل وفشلت كل محاولاتهم لغزو القدس فوقع ريتشَارد في 1192 معاهدة الرملة مع صلاح الدين مستعيدا بموجبها مملكة أورشليم الصليبية في شريط ساحلي ما بين يافا وصور كما فتحت القدس للحجاج المسيحيين. العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد مثالا على الفروسية والاحترام المتبادلين رغم الخصومة العسكرية، فعندما مرض ريتشارد بالحمى أرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص، كما أرسل إليه فاكهة طازجة وثلجا لتبريد الشراب، وهو إلى جانب كونه فعلا كريما يعد استعراضا للقدرة، وعندما فقد ريتشارد جواده في أرسوف أرسل إليه صلاح الدين اثنين.

عرض ريتشارد على صلاح الدين فلسطين موحدة للمسيحيين الأوربيين والمسلمين العرب بطريق تزويج أخت ريتشارد بأخي صلاح الدين وأن تكون

القدس هدية زفافهما. إلا أن الرجلين لم يلتقيا أبدا وجها لوجه وكان التواصل بينهما بالكتابة أو بالرسل.

وفاته :

كانت المواجهة مع ريتشارد و معاهدة الرملة آخر أعمال صلاح الدين، إذ أنه بعد وقت قصير من رحيل ريتشارد، مات صلاح الدين من الحمى في دمشق في 3 مارس 1193، الموافق يوم الأربعاء 27 صفر 589 هـ. وعندما فُتحت خزانته الشخصية وجدوا أنه لم يكن فيها ما يكفي من المال لجنازته، فلم يكن فيها سوى سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا ولم يخلف ملكا ولا دارا، إذ كان قد أنفق معظم ماله في الصدقات .

صلاح الدين مدفون في ضريح في المدرسة العزيزية قرب الجامع الأموي في دمشق إلى جوار الملك نور الدين زنكي، وكان فلهلم الثاني إمبراطور ألمانيا عندما زار دمشق توجه إلى مدفن صلاح الدين ووضع باقة زهور جنائزية على قبره عليها نقش معناه "ملك بلا خوف ولا ملامة علّم خصومه طريق الفروسية الحق" ، كما أهدى نعشا رخاميا للضريح إلا أن جثمان صلاح الدين لم ينقل إليه وبقي في النعش الخشبي، بينما بقي الهدية في الضريح خاويا إلى اليوم.

في ساعة موته كتب القاضي الفاضل قاضي دمشق إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} {إن زلزلة الساعة شيء عظيم} كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته إلى الله مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضي عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المعدة ما لم يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك لمحزونون يا يوسف وأما الوصايا فما تحتاج إليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم والسلام}.

صلاح الدين في التراث :

<u>في الوعي العربي :</u>

شعار مصر الحالي منذ ثورة يوليو 1952 هو العقاب المصري الذي اكتشف في قلعة صلاح الدين بالقاهرة

بالرغم من أن الدولة التي أسساها صلاح الدين لم تدم طويلا من بعده، إلا أن صلاح الدين يُعَدُّ في الوعي العربي الإسلامي محرر القدس واستلهمت شخصيته في الملاحم والأشعار وحتى مناهج التربية الوطنية في الدول العربية، كما أُلِّفت عشرات الكتب عن سيرته، وتناولتها المسرحيات والتمثيليات والأعمال الدرامية. ومن أشهر وأعظم الأعمال الدرامية : المسلسل السوري "صلاح الدين الأيوبي" من إخراج حاتم علي وتأليف وليد سيف وبطولة جمال سليمان . لا يزال صلاح الدين يضرب به المثل على القائد المسلم المثالي الذي يواجه أعداءه بحسم ليحرر أراضي المسلمين، دون تفريط في الشهامة والأخلاق الرفيعة.

نسر العقاب الذي يرمز للدولة الأيوبية اتخذ كشعار للعديد من الدول العربية في العصر الحديث، إذ يظهر هذا النسر في العلم المصري، كما اتخذ شعارًا رسمياً في سوريا وكذلك لكل من ليبيا و فلسطين والعراق. وأصبح شعاراً لكل الجمهوريات العربية تقريباً .

<u>في الوعي الأوروبي :</u>

بالرغم من كون صلاح الدين خصما للأوربيين فإنه ظل في الوعي الأوربي نموذجا للفارس الشهم الذي تتجسد فيه أخلاق الفروسية بالمفهوم الأوربي، حتى أنه توجد ملحمة شعبية شعرية من القرن الرابع عشر تصف أعماله البطولية.

كما أن الشاعر دانتي أليجييري مؤلف الكوميديا الإلهية قد وضعه في المطهر مع عدد من الشخصيات التي عدها كافرة ـ وفق معتقده المسيحي الكاثوليكي ـ لكنها في نظره شخصيات صالحة وسامية أخلاقيا (وضع دانتي الرسول محمد في المطهر كذلك). كما أن صلاح الدين يُصوّر بشكل مقبول في رواية والتر سكوت التعويذة (The Talisman) المكتوبة سنة 1825.

عام 2006 جُسِدتْ شخصيةُ صلاح الدين في فيلم مملكة الجنة (Kingdom of Heaven) على نحو يُبرز جوانب الفروسية وكرم النفس في شخصيته وقد جسد الشخصية الفنان السوري غسان مسعود. ويدرك الأوربيون أنه بالرغم من المذابح

التي أوقعها الصليبيون عندما غزوا القدس في 1099 فإن صلاح الدين قد عفا عن كل المسيحيين الكاثوليك (الأوروبيين) وحتى عن الجنود المنهزمين طالما كانوا قادرين على دفع الفدية، في حين عومل الأرثوذكس (و منهم مسيحيون العرب) حتى بأفضل من ذلك لأنهم عادة ما كانوا يعارضون الغزو الأوربي الصليبي.

بالرغم من الاختلاف في العقيدة فإن القُواد المسيحيين امتدحوا صلاح الدين، خصوصا ريتشارد قلب الأسد الذي قال عنه أنه أمير عظيم وأنه بلا شك أعظم وأقوى قائد في العالم الإسلامي؛ كما رد صلاح الدين بأنه لم يكن هناك قائد مسيحي أشرف من ريتشارد.

قال عنه المؤرخون الأوربيون أن "من الحق أن كرمه وورعه وبعده عن التعصب؛ تلك الليبرالية والنزاهة التي كانت النموذج الذي ألهم مؤرخينا القدماء؛ هي ما أكسبه احتراما في سورية الإفرنجية لا يقل عن الذي له في أرض الإسلام."

يُذكر أن الجنرال غورو عندما دخل دمشق منتصراً بعد معركة ميسلون الشهيرة، زار قبر صلاح الدين الأيوبي وقال مخاطباً: "ها قد عدنا يا صلاح الدين!" في واحدة من أشهر فلتات اللسان التي وقع فيها زعيم غربي في العصر الحديث، ربما لا يوازيها إلا فلتة لسان بوش عندما وصف حربه بأنها صليبية!.

إسماعيل هنية بعد أن فازت حماس في الانتخابات واستلم رئاسة الوزراء، قدم إلى دمشق زائراً، وتوجه إلى قبر صلاح الدين وقال له "ها قد عدنا يا صلاح الدين!"، أراد هنية أن يقول نفس عبارة غورو ولكنه قصد بها معنى مختلفاً كلياً. فإذا كانت عبارة غورو عبارة تشفي وانتقام، فإن هنية قصد بها البشرى بقرب النصر وتحرير القدس التي حررها صلاح الدين في يوم من الأيام.

****

من جريدة "الجماهير" السورية

النـهج المقاوم في المسرح الشعري العربي

الاثنين 13-12-2010

د. أحمد منصور

يتفق الدارسون على أن أحمد شوقي هو رائد المسرح الشعري الأول في الوطن العربي حيث أغنى الشعر العربي بلون جديد من الإبداع، فقدم عدداً من المسرحيات الشعرية منها على سبيل المثال: قمبيز، مجنون ليلى، محمد علي الكبير، كما ساهم شاعر حلب عمر أبو ريشة بمسرحيته القومية "ذي قار" في هذا الإغناء . ولكن نقاداً وباحثين آخرين يرون أن عبد الرحمن الشرقاوي كان النقلة الفنية الحقيقية في المسرح الشعري العربي بعد شوقي الذي لم يكن مسرحه أكثر من قصائد شعرية غنائية، ولهذا قال عنه طه حسين: "إن مسرحيات أحمد شوقي ليس فيها من المسرح شيء" . كتب الشرقاوي مسرحيات شعرية لم تسلط عليها الأضواء بما تستحقه من دراسة رصينة ففيها النبض العربي المقاوم الذي لا يلين ... لا يهادن ...لا يرضخ بل يصرخ من أجل إحقاق القيم الإنسانية النبيلة واختط لتحقيق ذلك الشعر أسلوباً مجافياً للشكل والقافية، واختار النهج الواقعي للتعبير بصدق وألم عن هموم الشعب العربي وحركاته التحررية خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين . لقد استلهم الشرقاوي التاريخ العربي القديم: "صلاح الدين الأيوبي النسر الأحمر" كما استلهم التاريخ العربي الحديث: "مأساة جميلة" وكذلك استلهم الأدب الشعبي: "الفتى مهران" وكان من فرسان المسرح الشعري: صلاح عبد الصبور برائعته "مأساة الحلاج" وتحتاج لدراسة خاصة لا يتسع لها المجال هنا . إن الشعر المسرحي الذي كتبه شوقي وأبو ريشة يقول عنه النقاد إنه شعر يرى الأشياء من خلال بعضها، في حين المسرح الشعري يرى الأشياء في لحظة صراع متناوب أي أنه شعر صراع لا يتوقف إلا ليأخذ بعض الأنفاس ،وهذا من خصائص البناء الدرامي الذي يتمثل في شخصيات تنمو ومواقف تتطور وحوار غني بالأفكار يدور على ألسنة هذه الشخصيات، وبالتالي لا نجد أية غرابة في لغة هذا الشعر ولا تعقيد في تركيبه ولا خطابية في لهجته ولا غنائية في صوره . إن اللغة المسرحية ليست مجرد كلام بقدر ما هي فعل متطور يبني شخصيات تتصارع وتتآلف وتتقارب

وتتباعد . إن دراسة المقاومة في شعر الشرقاوي مجالها يمتد إلى الكثير من التحليل . فمسرحية "صلاح الدين ... النسر الأحمر" قد جاءت في جزأين: الجزء الأول: (النسر والغربان) يطرح فيها الشرقاوي أزمة الحاكم عندما تواجهه الحياة بتناقض صارخ بين الواقع والحلم، وبين المبدأ والضرورة وتصور الحب الذي تطارده القسوة . وفي مشهد يضم محمود المثقف الوطني ولإسكافي يدور الحوار: الإسكافي: إن العيش هنا علّمنا ألا نتحدى الأمراء أو نعترض الثور الهائج أو نسبح ضد التيار محمود: ولهذا شاع الظلم الظلم جبان لكن تأتيه القوة من ضعف المظلوم فلنثبت ونقاوم فمعنا الآن صلاح الدين فلو أنكم قاومتم معه الأمراء لما كابدتم هذا العسف وفي الجزء الثاني: تجري الأحداث بعد تحرير القدس محمود: إن فتح القدس واستردادها في ليلة الإسراء لطف في الإشارة صلاح الدين: ههنا في المسجد الأقصى ـ ويا للذكريات ـ سيق آلاف من الأطفال والأسرى وآلاف من النساء العادل: إنهم سبعون ألفاً صلاح الدين: هتكوا أو ذبحوا في ساحة المسجد حتى خاضت الخيل وخاض الجند للسيقان في بحر رهيب من دماء محمود: إنها سبعة أيام شداد تضم التاريخ كله صلاح الدين: أيها الأشرار ها نحن نعود هتافات: صلاح الدين ... ألا تنتقم لما صنعوا من قبل بنا ؟ العادل: إنهم لو هزمونا لصلبنا فوق أسوار المدينة صلاح الدين: يا إلهي ... إنهم قد لطخوا بالدم والأوحال وجه العصر كله لست ممن يعشقون الحرب لكني أخوض الحرب كرهاً لكي يقاوم المقهور من وطأة ما يقهره عبر العصور إن فضائلنا مقاومتنا هي قلعتنا ... هي أسوار مدائننا بالمقاومة صمد العرب أمام الغزوات الفرنجية البربرية وبالمقاومة حرروا القدس وإذا وصلنا في بحثنا إلى مسرحيته (مأساة جميلة) نسمع صوت المقاومة الحبيسة وهي تنطلق: العم: ضعي عينيك على دفترك ولوذي الساعة بالصمت فلتنشغلي بكتابك جميلة: تقذف الكتاب وتصرخ في تلك الصفحات السود يلفق تاريخ الإنسان هي سخرية بي وبعقلي وبوطني في تلك الكتب المسمومة! المغتربات المشوّومة عن وطني العربي الباسل! لن أقرأها سأمزقها العم: لا تصرخي فيسمع الجيران صوتك جميلة: أنا لا أبالي ... سأظل أصرخ ثم أصرخ كي أحرك نخوتك وأثير فيك عروبتك ... قم يا رجل أطلق صراخ الاحتجاج وقاوم وفي مشهد آخر بين جميلة وجاسر: جميلة: (تبكي صديقتها التي اغتالها الفرنسيون) عاشت أمينة مروعة الحياة يتيمة حتى إذا حمّ القضاء ماتت شهيدة ! جاسر: (يواجه جميلة) لا يا جميلة إن ما نحتاجه ليس الدموع بل الدماء الدمع يطفئ شعلة الحقد المقدس في الصدور. نخلص من هذا العرض السريع إلى التأكيد أن الشرقاوي بنهجه القومي العروبي قد أغنى المسرح الشعري العربي بلون متميز وفريد من الشعر الدرامي المقاوم للظلم وللاحتلال وقد أظهر القيم العظيمة لمقاومة الظلم وقيم مقاومة العدوان وتحرير الأرض: (صلاح الدين النسر الأحمر) وقيم مقاومة الاحتلال من أجل الحرية (مأساة جميلة) وهو في جميع إبداعاته يمثل الضمير العربي المتطلع إلى وحدة الأمة العربية ومقاومة المحتلين لأرضها، وأن السكوت والبكاء لا يحرران الأرض، وأن تحريرها يتم بطريق المقاومة والحفاظ على استمراريتها حتى تبقى شعلة مقدسة في الصدور .

صلاح الدين
النسر الأحمر

مسرحية مستوحاة من التاريخ ، ولكنها ليست سرداً لوقائع تاريخية .

إنها تعرض أزمة الحاكم عندما تواجهه الحياة بتناقض صارخ بين الواقع والحلم .. بين المبدأ والضرورة . وهى تصور آمال المثقف عندما تصطدم بواقعية المحترف ! وتصور الحب الذى تطارده قسوة الحياة .. هى مسرحية شعرية تعرض صراع السياسة مع المثل ، وصراع الحب مع الحياة ، وصراع المبدأ مع الضرورة ..

لهذا ، فقد أثارت ضجة عند عرضها ، وفهمها بعضهم على أنها تتناول أحداثاً معاصرة ، وأشخاصاً معاصرين .. ولم يكن هذا غريباً ، لأن القضايا التى تثيرها ذات طابع إنسانى عام .. يتجاوز حدود العصر والمكان .